

المفرد في مهمات التوحيد

تأليف
الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي
الأستاذ المساعد بكلية المعلمين في أربعا

دار الأمل

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ / ١٤٢٣ هـ

٢٠٠٢ م

الأردن - عمان - العبدلي - مركز جوهرة القدس - الطابق ٢ مكتب ٦٠٥
هاتف ٤٦٥٧٤٦٨ فاكس ٤٦٥٧٤٦٩ خلوي ٦٥٢٨٠٤ - ٧٩ - ٠٠٩٦٢
ص.ب. ٩٢٧٥٦٣ عمان ١١١٩٠ الأردن E-MAIL: AL_AALAM@YAHOO.COM

دار الأعلام

المفيد
في
مهمات التوحيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِنَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَرْقِبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

"أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة" (١)، "وكل ضلالة في النار" (٢).

ثم أما بعد: فإن الله ﷻ بعث نبينا محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. أرسله ربه ﷻ على حين فترة من الرسل، ودروس من الكتب، وقلة من العلم؛ حين حُرِّفَ الكَلِمُ، وبُدِّلَتِ الشرائعُ، واستند كل قوم إلى أهوائهم وآرائهم، ليُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. فأشرقت الأرض برسالته ﷺ بعد ظلمتها، وتألفت بها القلوب بعد شتاتها وتفرقها، وفتح الله بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلغلاً، وفرَّقَ بين الحقِّ والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغى، والصدق والكذب، والمعروف والمنكر، وطريق أولياء الله السعداء، وأعداء الله الأشقياء.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٢) هذه الزيادة أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢١٤/٣.

ولم يمّت رسولنا ﷺ حتّى بيّن للنّاس جميعاً ما يحتاجون إليه ، فتركهم على مثلِ البيضاء ليُلها كنهاريها ، لا يزيغُ بعده عنها إلاّ هالكٌ .

وقد اعتصم أصحابه من بعده بكتاب ربّهم ﷺ ، وسنة نبيّهم ﷺ ، ودعوا النّاس إليهما بالحكمة والموعظة الحسنة . ومن بعدهم قام علماء أمته ﷺ بمهمّة الدعوة إلى الله ﷻ خير قيام ؛ فوضّحوا للنّاس أمور دينهم ، وكان من أجلّ ما وضّحوه العقيدة، التي أولوها قدراً كبيراً من جهودهم، وجهادهم، وتعليمهم، وتأليفهم . ورغبة منّي في التشبّه بهم -رغم قصر الباع ، وقلة البضاعة- كتبتُ هذه الورقات المقتبسة من كتبهم^(١) ، سائلاً الله ﷻ أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم ، وفي ميزان حسناتي يوم الدين ، وصلى الله على محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أبها في ٢٩/٩/١٤٢٢هـ

(١) أصل هذا الكتاب : محاضرات ألقيتها على طلبة كليّة المعلمين ، في مادّة العقيدة الإسلاميّة

(١٠١س) "الإعداد العام" .

تمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف ببعض المصطلحات .

المبحث الثاني : مصادر العقيدة الإسلامية .

المبحث الثالث : ذكر بعض خصائص العقيدة الإسلامية .

المبحث الأول

تعريف ببعض المصطلحات

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : في بيان معنى العقيدة .

المسألة الثانية : في بيان بعض المسميات التي أُطلقت على العقيدة الإسلامية .

المسألة الثالثة : في بيان بعض المسميات التي أُطلقت على حَمَلَةِ العقيدة الإسلامية .

المسألة الأولى

في بيان معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح

قبل الحديث عن مصادر العقيدة ، وذكر بعض خصائصها ، لا بُدَّ من وقتين :
الوقف الأولى : في معنى العقيدة لغة :

- مادة "عَقَدَ" تدور بين عدَّة معانٍ، منها: الربط والشدّ، والعهد، والملازمة، والتأكيد^(١).
- ١- الربط والشدُّ بقوة . يُقال : عَقَدَ الحبلَ ، يَعْقِدُهُ عَقْدًا ، إذا ربطه وشدَّه بقوة .
 - ٢- العهد . يُقال : بين هذه القبيلة وتلك عَقْدٌ : أي عهدٌ . وجمعه عُقُود . ومنه قوله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: من الآية ١] ؛ أي أوفوا بالعهود التي أكثتموها .
 - ٣- الملازمة . يُقال : عَقَدَ قلبه على الشيء ، أو عَقَدَ قلبه الشيء ، إذا لزمه . ومن هذا الباب قوله ﷺ : " الحَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ "^(٢) ؛ فمعقودٌ في نواصيها : أي ملازمٌ لها ، حتى لكأنه عَقَدَ عليها .
 - ٤- التأكيد . يُقال : عَقَدَ البيعَ ، إذا أكَّده . ومنه العقد المكتوب في البيع ؛ إذ هو لم يُكتب إلا بعد إيقاع البيع وتأكيده .

الوقف الثانية : في بيان معنى العقيدة اصطلاحاً :

بعد أن عرفنا بعض معاني العقيدة في اللغة ، لنا أن نتساءل : ما هو معنى العقيدة الذي تعارف عليه أهل العلم ؛ إذ من المعلوم أن لكلِّ علمٍ مصطلحاته الخاصَّة به ، والتي تُعدَّ جزءاً من منهجيَّته ؟ .

(١) انظر من كتب اللغة : الصحاح للجوهري ٥١٠/٢ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٣٨٣ .
وأساس البلاغة للزمخشري ١٣١/٢-١٣٢ . والكشاف له ٤٦٦/١ . ولسان العرب لابن منظور ٣٠٠-٢٩٥/٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة .

فُتْحِيْب : الْعَقِيْدَةُ اصْطِلَاحًا هِيَ :

١- التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ فِيمَا يَجِبُ لِلَّهِ ﷻ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَالرَّبُّوبِيَّةِ، وَالْإِفْرَادِ بِالْعِبَادَةِ، وَالْإِيْمَانِ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنِيَّةِ، وَصِفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ^(١) .

٢- تَصْمِيمُ الْقَلْبِ، وَالْإِعْتِقَادُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ شَكٌّ فِي الْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالنَّبَوَاتِ، وَأُمُورِ الْمَعَادِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا يَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِ^(٢) . وَالْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ : الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ فِي رَبُّوبِيَّتِهِ، وَأَلُوْهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ .

٣- مَا عَقَدَ الْإِنْسَانُ قَلْبَهُ عَلَيْهِ، وَدَانَ لِلَّهِ ﷻ بِهِ^(٣) .

س : مَا هُوَ الرَّابِطُ بَيْنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ، وَالْمَعْنَى الْإِصْطِلَاحِيَّةِ ؟

ج : الْإِرْتِبَاطُ بَيْنَهُمَا ظَاهِرٌ ؛ لِأَنَّ هَذَا الَّذِي جُزِمَ بِالشَّيْءِ، وَصُمِّمَ عَلَيْهِ، قَدْ أَلْزَمَهُ قَلْبَهُ، وَرَبَطَهُ عَلَيْهِ، وَشَدَّهُ بِقُوَّةٍ، بِحَيْثُ لَا يَتَفَلَّتُ مِنْهُ أَبَدًا .

المسألة الثانية

في بيان بعض المسميات التي أطلقت على العقيدة الإسلامية

الملاحظُ أنَّ العقيدة لم تُرَدِّ بلفظها في الكتاب والسنة، وإن كانت قد وردت مادتها، كما في قول الله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: من الآية ٨٩]؛ أي يُؤَاخِذُكُمْ إِذَا حَنَسْتُمْ فِي الْأَيْمَانِ الَّتِي وَتَقْتُمُوهَا وَأَكَّدْتُمُوهَا . وكما في قوله ﷻ: "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"^(٤)؛ أي ملازمٌ لها إلى يوم القيامة .

(١) انظر الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأظرم ص ٧ .

(٢) انظر العقيدة الإسلامية وتاريخها للدكتور محمد أمان الجامي ص ٥ .

(٣) انظر الأسئلة والأجوبة الأصولية للمسلمان ص ٢٣ .

(٤) تقدّم تخريجه ص ٨ .

كذلك، لم يستخدم علماء الأمة في القرون المفضلة مصطلح "عقيدة"، وإنما استخدموا مصطلحات أخرى . وأوّل من استخدم هذا المصطلح - فيما أعلم - هو الإمام أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) في كتابه الذي وسمه بـ "أصل السنة واعتقاد الدين"، وتلاه الإمام أبو بكر الإسماعيليّ (ت ٣٧١هـ) الذي وسم كتابه بـ "اعتقاد أئمة الحديث"، وتبعه الأئمة؛ كأبي القاسم اللالكائي (ت ٤١٨هـ) في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، وأبي عثمان الصابوني (ت ٤٤٩هـ) في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث"، وأبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في كتابه "الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة"، وقوام السنة الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) في كتابه "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة"، وغيرهم .

ولنا وقفات مع المصطلحات الأخرى التي استخدمها العلماء بدلاً من مصطلح "العقيدة"،
 "ومن ثمرة الوقوف على أسماء هذا العلم : معرفة مصادره الأصيله"^(١) .

الوقفه الأولى : مع مسمّى "التوحيد" :

من مسمّيات هذا العلم : التوحيد .

تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً :

هو في اللغة مصدر من: وَحَّدَ يُوحِّدُ توحيداً؛ إذا أفردّه وجعله واحداً^(٢) . وهذا لا يتحقّق إلا بنفي وإثبات؛ نفي الحكم عمّا سوى الموحّد، وإثباته له . فنقول مثلاً في توحيد الألوهيّة : لا يتمّ للإنسان التوحيد ، حتّى يشهد أن لا إله إلا الله ، فينفي الألوهيّة عمّا سوى الله ، ويثبتها لله وحده^(٣) .

(١) أصول الدين عند الأئمة الأربعة للدكتور ناصر القفاري ص ١٤ .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ٤٤٨/٣ .

(٣) انظر المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٧/٢ .

فعلى هذا: يُطلق الواحد على المنفرد بخصائصه عمّا سواه. يقول ابن فارس : (وَحَدَّ : السواو والحاء والذال : أصلٌ واحدٌ يدلّ على الانفراد . من ذلك : الوحدة، وهو واحدٌ قبيلته: إذا لم يكن فيهم مثله . قال الشاعر :

يا واحدَ العُربِ الذي ما في الأنام له نظير

ولقيتُ القومَ مَوْحَدَ مَوْحَدٍ، ولقيتُ الرجلَ وحده. ولا يُضاف إلا في قوله: نسيحٌ وَحَدِه^(١). والتوحيد في الاصطلاح : إفراد الله بما تفرّد به ، وبما أمر أن يُفردَ به ؛ فنفردَه في ملكه وأفعاله فلا ربَّ سواه ولا شريك له، ونُفردَه في ألوهيته فلا يستحقّ العبادة إلا هو، ونُفردَه في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له^(٢) .

مدى المطابقة بين التوحيد والعقيدة :

حين المقارنة بين "العقيدة" ، و"التوحيد" كمصطلحين ، نجد أن العقيدة ليست مقصورة على توحيد الله تعالى فحسب ، بل هي تشمل التوحيد وزيادة ، فيدخل فيها مباحث شتى ؛ كالرسل ورسالاتهم، والملائكة وأعمالهم ، والكب السماوية ، واليوم الآخر وما فيه ، والقضاء والقدر وما يتعلّق به، والإمامة ، والصحابة . بل يدخل فيها أيضاً : موقف المسلمين من الفرق الضالّة ، وغير ذلك .

فهذا العلم الواسع بما يتضمّنه من مباحث ، وما يحويه من جزئيات يُسمّى "التوحيد" أيضاً، كما سمّاه بذلك علماء المسلمين . ولو تأملنا مدى المطابقة بين كلمة "توحيد" ، وبين مفردات العقيدة ، لوجدناها جزئية . وهذا يُثير تساؤلاً مفاده : إذا كانت المطابقة بين كلمة "توحيد" ومصطلح "عقيدة" بما يحويه من مباحث جزئية ، فلماذا سُمّي علم العقيدة بـ"التوحيد" ؟ ولمْ أطلق العلماء في القرون الماضية على ما صتّفوه من كتب في علم العقيدة اسم "التوحيد" ؟

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٠/٦-٩١ .

(٢) انظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ٥٦/١ . والأسئلة والأجوبة الأصولية للمسلمان ص ٤١ .

والجواب : إن تسمية العقيدة بالتوحيد من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه ؛ لأن توحيد الله ﷻ هو أشرف مباحث علم العقيدة. أمَّا المباحث الأخرى؛ من إيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، ومباحث الإمامة، والصحابة، وغيرها، فهي تعتمد عليه ، وتستند إليه ؛ إذ هو أساسها وجوهرها ، فهي تدخل فيه بالاستلزام .

الفرق بين العقيدة والتوحيد :

والآن ، وقد فرغنا من بيان معنى العقيدة والتوحيد ، نتساءل : ما الفرق بين المعنيين ؟ فنقول : العقيدة أعمُّ من جهة موضوعها؛ إذ هي تشمل التوحيد، وغيره من المباحث ؛ فيدخل فيها أركان الإيمان الستة، ويدخل فيها ردود علماء الإسلام على الديانات الأخرى، والفرق، والتيارات المعاصرة، وغيرها . بخلاف التوحيد الذي يقتصر على توحيد الله ﷻ، وهو أشرف أجزاء العقيدة . ويُلاحظ أيضاً أن مباحث الإيمان بالكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر يدخل في إطار العقيدة بالمطابقة . أمَّا في التوحيد فيدخل فيه بالاستلزام ؛ إذ يلزم من إيمانك بالله ﷻ أن تؤمن بملائكته، وكتبه، ورسله، والمغيبات التي أخبر الله عنها، وأخبرت عنها رسله، وبالقدر الذي يُجره الله في عباده وفق إرادته ومشئته.

مؤلفات في العقيدة تحت مسمى التوحيد :

- ١- استخدم الإمام البخاري ؛ محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) هذا المصطلح، حين سَمَّى الكتاب الذي خرَّج فيه أحاديث العقيدة -في الجامع الصحيح- بـ "كتاب التوحيد" .
 - ٢- وأبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج البغدادي (ت ٣٠٦هـ) سَمَّى الكتاب الذي صنَّفه في العقيدة بـ "كتاب التوحيد" .
 - ٣- وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت ٣١١هـ) ألَّف كتاباً في العقيدة وسَمَّه بـ "كتاب التوحيد وإثبات صفات الربِّ ﷻ" .
 - ٤- وأبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥هـ) ألَّف كتابه الموسوم بـ "كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرُّد" .
- ثمَّ تابعت الكتب المؤلفة تحت هذا الاسم .

الوقف الثانية : مع مسمى "أصول الدين" :

من مسميات هذا العلم : أصول الدين .

المراد بأصول الدين :

تُلاحظ أن مصطلح "أصول الدين" مركب من مضاف ، ومضاف إليه . فهو إذاً مركب إضافي .

ولا يمكن التوصل إلى معنى المركب إلا بتحليل أجزائه المركب منها، وهي "أصول" ، و"دين" .

أمّا الأصول: فمفرد لها أصل. ومعناه لغة: أساس الشيء^(١). أو ما يُبنى عليه غيره ؛ كأساس المنزل ، وأصل الشجرة ، ونحو ذلك^(٢) . والأصل اصطلاحاً : ما له فرع ؛ لأنّ الفرع لا ينشأ إلا عن أصل^(٣) .

والدين في اللغة : الذلّ والخضوع . والمراد به دين الإسلام، وطاعة الله، وعبادته وتوحيده ، وامتنال الأمور ، واجتناب المحظور ، وكلّ ما يُتعبّد الله ﷻ به^(٤) .

فتكون أصول الدين على هذا-: القواعد والأسس التي تصحّ بها العبادة، وتحقق بها طاعة الله ورسوله بامتنال الأمور، واجتناب المحظور؛ لأنّ الاعتقاد هو الأصل الذي ينبني عليه قبول الأعمال وصحتها .

فأصول الدين : هي ما يقوم وينبني عليه الدين . والدين الإسلاميّ يقوم على عقيدة التوحيد . ومن هنا سُمّي علم التوحيد أو علم العقيدة بـ"علم أصول الدين" .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/١٠٩ . والمعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين ص ٢٠ .

(٢) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للفنّان لنتهانوي ١/١٢٢-١٢٣ .

(٣) انظر شرح الكوكب المنير لابن النجار ١/٣٨ .

(٤) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٥٤٦ .

الحقيقة الشرعية لأصول الدين :

المفهوم الحق لمصطلح أصول الدين، هو أصول الإيمان الستة المذكورة في قوله ﷺ :
 ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: من الآية ١٧٧]، وفي قوله ﷺ : ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ
 بِقَدَرٍ﴾ [القدر: ٤٩]، وهي التي أجاب بها رسولُ الله ﷺ جبريلَ حين سأله عن الإيمان ،
 فقال : "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر
 خيره وشره" (١) . فهذه الأصول الستة هي التي يقوم عليها إيمان العبد ، وتصح بها عبادته .

مؤلفات في العقيدة تحت مسمى "أصول الدين" :

- لعلَّ أوَّل من استخدم هذا المصطلح لعلم العقيدة - وإن لم يشتهر وقتها- ، هو الإمام
 الشافعي رحمه الله (ت ٢٠٤هـ) ؛ حيث قال في مفتاح كتابه "الفقه الأكبر" : "هذا كتابٌ
 ذكرنا فيه ظواهر المسائل في أصول الدين ، التي لا بُدَّ للمكلف من معرفتها ، والوقوف عليها .
 ١- وهذه التسمية استخدمها أيضاً الإمام أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٩هـ) ، حين وسم
 كتابه الذي أبان فيه عن عقيدة أهل السنة والجماعة بـ "الإبانة عن أصول الديانة" .
 ٢- وكذا استخدمها أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) في كتابه "أصل السنة والاعتقاد الدين" .
 ٣- ومن بعدهما عبيد الله بن محمد بن بطّة العُكبري (ت ٣٨٧هـ) في كتابه: "الشرح والإبانة
 عن أصول الديانة" ، وهو الكتاب الذي يُعرف بـ "الإبانة الصغرى" .
 ٤- وعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) في كتابه "أصول الدين" . وغيرهم ...
 ملاحظة: يُلاحظ أنَّ العقيدة -ها هنا- سُميت بـ "أصول الدين" تمييزاً لها عن الفروع .
 وينبغي أن لا يرد على ذلك أنَّ الأصول هي التي تؤخذ ويُعمل بها فحسب ،
 ويُمكن الاستغناء عن الفروع . فهذا الفهم خطأ؛ لأنَّ الدين كُلُّه لا يتجزأ . وقد عاب الله

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .

على أهل الكتاب أنهم يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعضه الآخر، فقال: ﴿ أَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: من الآية ٨٥].

الوقفة الثالثة : مع مسمى "السنة" :

من مسميات العقيدة : السنة .

تعريف السنة لغة واصطلاحاً :

السنة لغةً من سَنَّ يَسُنُّ وَيَسُنُّ سُنًّا ، فهو مسنون . وسَنَّ الأمر : بيَّنه . وهي تأتي لعدة

معان^(١) ، منها :

١- الطريقة المسلوكة ، سواء أكانت محمودة أم مذمومة . ومنه قوله ﷺ : " من سَنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سَنَّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" ^(٢) .

٢- السيرة ، وسنة رسول الله ﷺ : سيرته التي كان يتحرَّرها . فما ثبت عنه من قول ، أو فعل ، أو وصف ، أو تقرير ، قيل له سنة . يقول ابن الأثير : " وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها . والأصل منها : السيرة والطريقة" ^(٣) .

(١) انظر من كتب اللغة : الصحاح للجوهري ١٢٣٨/٥-١٢٤٠ . ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس

٦١-٦٠/٣ . ولسان العرب لابن منظور ٢٢٠/١٣-٢٢٨ . والتعريفات للجرجاني ص ١٦١ . ومختار

الصحاح للرازي ص ٣١٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة .

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٠٩/٢ .

٣- العادة. ومنه قوله ﷺ: «سُنَّةٌ مَنْ قَدْ أَمْرُسْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا» [الاسراء: ٧٧]؛ أي هكذا عادتنا في الدين كفروا برسولنا وأذوهم ، بخروج الرسول من بين أظهرهم ، يأتيهم العذاب^(١) .

أما السنَّة عند الأصوليين : فهي ما قاله رسول الله ﷺ ، أو فعله ، أو قرَّر عليه^(٢) .

المناسبة بين مسمى السنَّة ، ومسمى العقيدة :

لأهميَّة وخطورة مسائل الاعتقاد التي هي أصل الدين ، وعليها يُبنى غيرها من أعمال الإسلام ، أطلق العلماء لفظ "السنَّة" على ما وافق الكتاب والسنَّة من قضايا الاعتقاد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ولفظ السنَّة في كلام السلف يتناول السنَّة في العبادات ، وفي الاعتقادات. وإن كان كثيرٌ ممن صنَّف في السنَّة يقصدون الكلام في الاعتقادات"^(٣) .

ولما كانت السنَّة مصدرًا من مصادر العقيدة - كما سيأتي- ، وطريقة من طرق إثبات العقيدة الصحيحة ، اعتبر العلماء معنى السنَّة : اتباع العقيدة الصحيحة ، وأطلقوا على

عقيدة السلف الصالح اسم السنَّة، بسبب اتباعهم لطريقة رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ في ذلك .

يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله : "السنَّة: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه،

السائلة من الشبهات والشهوات . ثمَّ صارت في عرف كثيرٍ من العلماء من أهل الحديث

وغيرهم ، السنَّة : عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات ، خاصَّة في مسائل الإيمان

بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وكذلك مسائل القدر، فضائل الصحابة.

وصنّفوا في هذا العلم تصانيف، وسمّوها كتب السنَّة"^(٤) .

(١) انظر تفسير ابن كثير ٥٤/٣ .

(٢) انظر مذكرة في أصول الفقه للشيخ الشنقيطي ص ٩٥ .

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص ٧٧ .

(٤) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ص ١١-١٢ . وانظر السنَّة لابن أبي عاصم ٦٤٥/٢-٦٤٧ .

فإطلاق اسم السنّة على مباحث الاعتقاد، يُشعر بأهميّة العقيدة؛ إذ هي أصل الدين، والمخالف فيها على خطرٍ عظيم^(١).

مؤلفات في العقيدة تحت مسمى "السنّة":

ساد اصطلاح السنّة في القرن الثالث الهجري، في عصر إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل، حين ظهرت الفرق، وراجت عقائد المبتدعة. فأخذ العلماء يُطلقون على أصول الدين ومسائل العقيدة اسم "السنّة" مميّزاً لها عن مقولات الفرق. وأذكر فيما يلي بعضاً من المصنّفات التي كتبوها تحت مسمى السنّة:

- ١- السنّة لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ).
- ٢- السنّة لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).
- ٣- السنّة للأثرم؛ أبي بكر أحمد بن محمد بن هانئ البغدادي (ت ٢٧٣هـ).
- ٤- السنّة لأبي عليّ حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال (ت ٢٧٣هـ).
- ٥- السنّة لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ).

الوقفسة الرابعة: مع مسمى "الفقه الأكبر":

من المسميات التي أطلقت على العقيدة: الفقه الأكبر.

تعريف الفقه لغة واصطلاحاً:

الفقه في اللغة: الفهم. يقول ابن فارس: "فَقَّهَ: الفاء والقاف والهاء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فَقَّهْتُ الحديثَ أَفْقَهُهُ. وكلَّ علمٍ بشيءٍ فهو فقهٌ. ثمَّ اختصَّ بذلك علم الشريعة، فقبل لكلِّ عالمٍ بالحلال والحرام: فقيه" (٢).

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٤٩. والوصية الكبرى لابن تيمية ص ٦٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٢٤٢. وانظر: لسان العرب لابن منظور ١٣/٥٢٢. والمفردات

ولقد كان الفقه يُطلق في القرون الأولى على العلم بأحكام الشريعة كلها. ومنه قوله ﷺ :
 "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"^(١). وكذا دعاؤه ﷺ لابن عمه ابن عباس -رضي الله
 عنهما- كان عاماً في الدين كله ، لا في مسائل الحلال والحرام فحسب، في قوله : "اللهم
 فقهه في الدين وعلمه التأويل"^(٢).

والملاحظ أن المتأخرين خصّوا اسم "الفقه" بمعرفة مسائل الحلال والحرام ، وغيرها .
 سبب تسمية العقيدة بالفقه الأكبر :

سمّى العلماء العقيدة بالفقه الأكبر مقارنة بفقه الفروع . فقولنا "الفقه الأكبر" يُشعر
 بأن هناك فقهاً آخر ليس بأكبر ، وهو فقه ما أُطلق عليه اسم الفروع .
 مؤلفات في العقيدة تحت مسمى "الفقه الأكبر" :

أول من استخدم مصطلح "الفقه الأكبر" هو الإمام أبو حنيفة ؛ النعمان بن ثابت
 (ت ١٥٠هـ) ؛ فقد روي عنه كتابٌ بهذا الاسم ، وهو مشهورٌ عند أصحابه^(٣) ، بحث فيه
 رحمه الله بعض مسائل الاعتقاد .

وكذلك يُنسب للإمام الشافعيّ؛ محمّد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) كتاب باسم "الفقه
 الأكبر" ، عرض فيه مسائل الاعتقاد بالتفصيل^(٤) .

ملاحظة : يرد على هذه التسمية ما ورد على تسمية "أصول الدين" ؛ فقد يظن البعض أن
 تسمية العقيدة بالفقه الأكبر، يعني إهمال الفقه الآخر -مسائل الأحكام، والحلال والحرام- ؛
 لأنّه أصغر مقارنة بالأكبر . وهذا الفهم غير صحيح ؛ لأنّ تسمية العقيدة بالفقه الأكبر
 يعنى الاهتمام بها ، والبدء بتصحيحها قبل القيام بأداء الأعمال، ولا يعني -بحال- إهمال
 أداء الأعمال، ومعرفة أدلتها التفصيليّة؛ لأنّ دين الإسلام كلّ لا يتجزأ، ولا يُمكن الاستغناء
 عن بعضه ، والاكتفاء ببعض الآخر .

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من يُرد الله به خيراً يُفقه في الدين .

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ٣٣١/٢ ، وعزاه إلى معجم البغوي .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٦/٥ .

(٤) انظر كشف الظنون لحاجي خليفه ١٢٨٧/٢ .

المسألة الثالثة

في بيان بعض المسميات التي أطلقت على حملة العقيدة الإسلامية عرفنا بعض المسميات التي أطلقت على علم العقيدة الإسلامية .
 وثمة مسميات أطلقت على أهل العقيدة الصحيحة وحملتها. سأذكر بعضها في الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : أهل السنة والجماعة :

من المسميات التي أطلقت على حملة العقيدة الصحيحة : أهل السنة والجماعة .
 التعريف بأهل السنة والجماعة :

هذا المسمى يجمع وصفين اثنين لأصحابه ، وهما : السنة ، والجماعة .
 والسنة قد تقدم معناها اللغوي، وذكرنا أن العلماء يعرفونها اصطلاحاً بأنها: ما نُقل عن رسول الله ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو وصفٍ أو تقريرٍ^(١) .
 والسنة قد تُطلق على ما يُقابل البدعة ، كقولهم : طلاق السنة كذا ، وطلاق البدعة كذا ، وفلانٌ على سنة - إذا وافق التنزيل والأثر في القول والفعل - ، وفلانٌ على بدعة - إذا عمل خلاف ذلك-^(٢) . وهاتان الكلمتان - السنة والبدعة - تُستعملان دائماً ككلمتين متضادتين ؛ لأن السنة هي الطريق التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ ، والبدعة هي ترك تلك الطريق والانحراف عنها .

وقد ورد في الأثر ذكر السنة مقابل البدعة؛ من ذلك ما قاله رسول الله ﷺ : "ما أحدث قومٌ بدعةً، إلا رُفِعَ مثلها من السنة"^(٣) . وما قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- :

(١) انظر ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) انظر مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل ص ٢٩ .

(٣) مسند أحمد ٤/١٠٥ ، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣/٢٥٣ .

"ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعةً ، وأماتوا فيه سنةً ، حتى تحبى البدعُ ، وتموت السنن" (١) .

فالسنة بهذا المعنى ، تشمل ما كان عليه رسول الله ﷺ ، وخلفاؤه الراشدون ﷺ ، وصحابته الكرام ﷺ من الاعتقادات ، والأعمال ، والأقوال .

أما الجماعة في اللغة : فهي مأخوذة من الجمع ؛ وهو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض ؛ يُقال : جَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ . قال ابن فارس : "الجيم والميم والعين أصل واحد ، يدل على تضام الشيء" (٢) . والجماعة : العدد الكثير من الناس ، أو القوم المجتمعون على أمر ما ، أو طائفة يجمعهم غرض واحد (٣) .

والجماعة شرعاً هم : الرسول ﷺ ، وأصحابه ﷺ ، والتابعون ، وتابعوهم بإحسان (٤) . وأهل الشيء هم : أخص الناس به . يقول أهل اللغة : أهل الرجل : أخص الناس به ، وأهل البيت : سكّانه ، وأهل الإسلام : من يدين به ، وأهل المذهب : من يدين به (٥) . وبإمكاننا بعدما علمنا معنى أهل ، والسنة ، والجماعة ، أن نُعرّف أهل السنة والجماعة بأنهم التابعون لمنهج الرسول ﷺ وأصحابه في الأصول والفروع (٦) .

وقيل : هم مَنْ كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه اعتقاداً وقولاً وفعلًا ؛ لأن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الفرقة الناجية ، فأجاب مرّةً بأنّها ما كان عليه هو وأصحابه ، وأخرى قال : هي الجماعة (٧) .

(١) أخرجه ابن وضّاح القرطبي في كتابه : البدع والنهي عنها ص ٤٥ .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٧٩/١ .

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور ٥٣/٨ - ٦٠ .

(٤) انظر مفهوم أهل السنة والجماعة للعقل ص ٥٤ .

(٥) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٠/١ .

(٦) انظر : الاعتصام للشاطبي ٢٨/١ . وشرح العقيدة الواسطية للهرّاس ص ١٦-١٧ .

(٧) الحديث أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب شرح السنة . وابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم . وابن أبي عاصم في السنة ٣٣-٣٢/١ ، تحت الأرقام ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ . وقال الألباني في تعليقه على الحديث : "والحديث صحيح قطعاً ؛ لأن له ست طرق أخرى عن أنس ، وشواهد عن جمع من الصحابة" (٤٢/١) .

وقيل : "هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ ، والعمل بما ظاهراً وباطناً في القول والعمل والاعتقاد"^(١) .

ملاحظة : لا يقصد بالجماعة هنا مجموع الناس وعامتهم، ولا أغلبهم ، ولا سوادهم ، ما لم يجتمعوا على الحق؛ لأن الجماعة هي التمسك بالكتاب والسنة، ولو كنت وحدك، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "إنما الجماعة ما وافق طاعة الله ، وإن كنت وحدك"^(٢) . يقول عبدالرحمن بن إسماعيل ، المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ) : "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان التمسك به قليلاً، والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم"^(٣) .

الوقفة الثانية : السلف :

من المسميات التي أطلقت على حملة العقيدة الصحيحة : السلف .
التعريف بهم :

السلف في اللغة : جمع سالف ، والسالف : المتقدم . والسلف : الجماعة المتقدمون^(٤) . قال ابن فارس : "سلف : السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق . من ذلك : السلف الذين مضوا ، والقوم السلاف : المتقدمون .."^(٥) .
فالسلف - إذاً - من سلف يسلف سلفاً وسلوفاً : أي تقدم^(٦) .

(١) انظر : رسائل في العقيدة ص ٥٣ ، والمجموع الثمين ٣/٣ ، وكلاهما لفضيلة الشيخ ابن عثيمين .

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/١٠٩ .

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٣٤ .

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور ٩/١٥٨ .

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٩٥ .

(٦) انظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٣٩ . والوجه والنظائر لألفاظ القرآن للدماغاني ص ٢٤٣ .

وسَلَفَ كلِّ إنسان: مَنْ تقدَّمه من آباهه وذوي قرابته الذين هم فوقه في السنِّ والفضل، وأحدهم سالف^(١). وقيل: من تقدَّمه بالموت من آباهه وذوي قرابته. ولهذا سُمِّي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح^(٢). هذا عن السلف في اللغة .

أمَّا السلف في الاصطلاح : فقد اختلف العلماء في تحديد المراد بهم، نتيجة اختلافهم في تحديد الزمن الذي يُنسبون إليه ، إلى عدَّة أقوال :

١- القول الأول : أنَّهم الصحابة رضي الله عنهم فقط. وهو قول عددٍ من شُرَّاح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني^(٣).

٢- القول الثاني : أنَّهم الصحابة والتابعون. ومَن ذهب إلى هذا أبو حامد الغزالي، حين قال: "اعلم أنَّ الحقَّ الصريح الذي لا مرأ فيه عند أهل البصائر، هو مذهب السلف؛ أعني مذهب الصحابة والتابعين"^(٤).

٣- القول الثالث : أنَّهم الصحابة، والتابعون، وتابعوا التابعين؛ أي القرون الثلاثة التي أثبت لها رسول الله صلى الله عليه وآله الخيرية بقوله : "خير النَّاس قرني ، ثمَّ الذين يلونهم ، ثمَّ الذين يلونهم"^(٥). وإلى هذا القول ذهب عددٌ كبيرٌ من أهل العلم؛ كالإمام الشوكاني ، والإمام السفاريني ، وغيرهما^(٥).

ملاحظة :

يُلاحظ على هذه الأقوال جميعها أنَّها تُدخل من كان في القرون الأولى في مسمَّى السلف . ولكن ليس كلُّ من كان في ذلك الزمن يُسمَّى سلفيًّا، إذ المعروف أنَّ الفرق ظهرت

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٤٢/٤ .

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٩٠/٢ .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكرم ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) إجماع العوام عن علم الكلام للغزالي ص ٥٣ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله .

في القرون الأولى ، فـ "ليس السبق الزمنيّ كافياً في تعيين السلف ، بل لا بُدَّ أن يُضاف إلى هذا السبق الزمنيّ موافقة الرأي للكتاب والسنة نصّاً وروحاً . فمن خالف رأيه الكتاب والسنة ، فليس بسلفي ، وإن عاش بين ظهراي الصحابة والتابعين" (١) .

ويصحّ أن يُضاف إلى أهل القرون المفضّلة الموافقين للكتاب والسنة ، مَنْ وافق الكتاب والسنة ، ونهج نهج أولئك الكرام ، وأتبع آثارهم ومروياتهم الصحيحة التي أبانوا بها الحق . فلا شكّ أنّه داخلٌ في مفهوم هذه الكلمة "السلف" . ولقد وُفق الإمام السفاريني رحمه الله حين حدّد مذهب السلف بأنّه "ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممّن شهد له بالإمامة ، وعُرفَ عَظَم شأنه في الدين ، وتلقّى النَّاس كلامهم خلفاً عن سلف ، دون مَنْ رُمِيَ ببدعة، أو شُهرَ بلقبٍ غيرِ مرضيٍّ ؛ مثل : الخوارج، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة ، والجزيرية ، والجهمية ، والمعترلة ، والكرامية ، ونحو هؤلاء..." (٢) .

إذاً : ليس المراد بالسلف أهل القرون المفضّلة فحسب ، بل يدخل فيهم كلّ من وافق الكتاب والسنة ، ونهج منهج الصحابة رضي الله عنهم .

مفهوم الخلف عند علماء السلف :

الخلف في اللغة هو من جاء خلف المتقدم ، سواء أكان تأخّره في الزمن ، أو في الرتبة (٣) .

وإذا أُطلقت كلمة "الخلف" في مقابل كلمة "السلف" يُراد بها : "مَنْ رُمِيَ ببدعة ، أو شُهرَ بلقبٍ غيرِ مرضيٍّ" (١) ، كما تقدّمت عبارة الإمام السفاريني في ذلك . فمن انخرّف عن الكتاب والسنة ، ومال عن طريقة الصحابة رضي الله عنهم ، فلم يتخذها منهجاً له ، فهو خلفي ، وإن عاش بين ظهراي الصحابة .

(١) بتصرف من كتاب : الإمام ابن تيمية وقضية التأويل للدكتور الجلند ص ٥٢ .

(٢) لواع الأنوار للسفاريني ٢٠/١ .

(٣) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٠٤٢-١٠٤٣ .

الوقفة الثالثة : أهل الحديث :

من المسميات التي أطلقت على حملة العقيدة الصحيحة : أهل الحديث .
التعريف بهم :

الحديث في اللغة : ضدّ القلم . ويُستعمل في كثير الكلام وقليله^(١) .

وهو في الاصطلاح : ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قولٍ ، أو فعلٍ ، أو تقريرٍ ، أو صفةٍ^(٢) .

وأهل الحديث : هم المنسوبون إليه بسبب أتباعهم له ؛ فهم كلٌّ من جعل كلامَ رسولِ الله ﷺ مصدراً من مصادر التلقي ، يستفيدون منه عقائد الإسلام الصحيحة ، ويثنون عليه ، سواء أكانوا علماء حديث ، أو فقه ، أو أصول ، أو سوى ذلك .

يقول الإمام الصابوني (ت ٤٤٩ هـ) : "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة ، حفظ الله أحياءهم ، ورحم أمواتهم .."^(٣) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه ، أو كتابته ، أو روايته ، بل نعني بهم : كلٌّ من كان أحقَّ بحفظه ، ومعرفته ، وفهمه ظاهراً وباطناً ، واتباعه باطناً وظاهراً . وكذلك أهل القرآن"^(٤) .

فأهل الحديث هم الذين اتبعوا آثار الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعين لهم بإحسان ، وكان لهم عناية خاصة بأحاديث رسول الله ﷺ : جمعاً ، وحفظاً ، ورواية ، وفهماً ، وعملاً في الظاهر والباطن .

(١) انظر المصدر نفسه ص ٢١٤ .

(٢) انظر الحديث النبوي للدكتور محمد الصباغ ص ١٤٠ .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٣-٤ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩٥/٤ .

المبحث الثاني

مصادر العقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية لها مصدران فقط ، هما : كتاب الله ﷻ ، وما صحَّ من سنَّة رسول الله ﷺ .

وليس للعقيدة مصدرٌ ثالث ؛ لأنَّ إجماع السلف الصالح لا يكون إلا على الكتاب والسنة^(١) .

يقول الإمام البيهقيّ (ت ٤٥٨هـ) : "فأمَّا أهل السنَّة ، فمعوِّلم فيما يعتقدون : الكتاب والسنة"^(٢) .

ويقول العلامة صديق حسن خان رحمه الله : "للإسلام أصلان فقط ؛ القرآن ، والسنة الصحيحة"^(٣) . ويُعقَّب على ذلك بقوله : "وأما حصرنا الأصول في كتاب الله تعالى ، وسنة الرسول ﷺ ؛ لأنَّ الأمة مأمورةٌ بهما"^(٤) .

وما على الأمة إلا الاعتصام بما أمرت بالاعتصام به ؛ كتاب ربِّها ، وسنة نبيِّها ﷺ ؛ إذ الاعتصام بهما سببٌ للعصمة من الوقوع في الخطأ والانحراف والزلل ، وسببٌ للعصمة من الوقوع في الاضطراب في فهم العقيدة ، ولأنَّه يُجمِّع الأمة ولا يُفرِّقها . يقول الله ﷻ : ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْتَبِهُ﴾ [طه من آية ١٢٣] .

ولا ريب أنَّ الاعتصام بالكتاب والسنة من أعظم ما منَّ الله به على هذه الأمة ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديثه عن السلف الصالح : "وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم : اعتصامهم بالكتاب والسنة"^(٥) .

(١) انظر الاعتصام للشاطبي ٢/٢٥٢ .

(٢) مناقب الإمام الشافعي للبيهقي ص ٤٦٢ .

(٣) الدين الخالص لصديق حسن خان ٣/٣٦ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٣/٢٨ .

منزلة العقل ومجالاته في الإسلام :

الله ﷻ امتنَّ على الإنسان بنعمة العقل الذي ميَّزه به عن سائر الحيوانات . وهذه النعمة هي التي ترفع صاحبها إلى مستوى التكاليف الشرعية الإلهية ، وتؤهلُّه لإدراكها وفهمها^(١) .

وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني ، وتكرمه ، والاعتماد عليه في فهم النصوص كالعقيدة الإسلامية ، ويبدو هذا واضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله ، مدَّحَ الله ﷻ فيها العقل ، ورفع من شأنه ، من خلال توجيهه إلى النظر ، والتفكير ، والتدبر ، والتأمل^(٢) .

ولكن لما كان للعقول في إدراكها حدَّ تنتهي إليه لا تتعدَّاه ، لم يجعل الله لها سبيلاً إلى الإدراك في كلِّ مطلوب^(٣)؛ فلم يجعل لها سبيلاً لإدراك أغلب مسائل الاعتقاد؛ إذ لا يُمكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفتها لولا مجيء الوحي بها وبأدلتها العقلية . وما على العقول إلا فهمها وتدبرها .

وأيضاً ، فإن كثيراً من مسائل الاعتقاد لا تُدرك العقول حقيقتها وكيفياتها ، ولو فهمت أدلتها وتدبرتها ؛ كالروح التي في أجسادنا : عَسَرَ على النَّاسِ التعبير عن حقيقتها لما لم يشهدوا لها نظيراً^(٤) . وكذا صفات ربِّنا ﷻ ، رغم أننا فهمنا معانيها بعقولنا من اعتبار الغائب بالشاهد، إلا أن حقيقتها وكيفياتها لا تُدركه عقولنا؛ لأن العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف . والموصوف ﷻ ليس كمثلته شيء؛ فهو متَّصفٌ بصفات الكمال التي لا يُماثله فيها شيء^(٥) . وكذا ما أخبر الله ﷻ عنه من أمور الآخرة ؛ كالجنة ونعيمها ، والنار وجحيمها ، وغير ذلك من المغيبات ، ليست من مدارك العقل ، ولا في متناوله ، مع أن العقل يُقرُّ بها ، ولا يُحيلها^(٦) .

(١) انظر الأحكام في أصول الأحكام للآمدي ١٥٠/١ .

(٢) انظر النبوات لابن تيمية ص ١٨٩ .

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي ٣١٨/٢ .

(٤) انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٢٠٢ .

(٥) انظر الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٤٤-٤٥ .

(٦) انظر المصدر نفسه ص ٤٦ .

وإذا كان كذلك، فالعقل مُطالبٌ بالتسليم للنصوص الشرعية الصريحة، ولو لم يفهما، أو يُدرك الحكمة التي فيها؛ فالأمر ورد بقبولها والإيمان بها. فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فمن الله التوفيق، وله الحمد والشكر على ذلك. وما لم نُدرکه أو نفهمه، آمناً به وصدّقناه^(١).

درء تعارض العقل الصحيح والنقل الصريح :

بقي أن نتساءل : هل يتعارض العقل الصحيح -السلیم من الشبهات والأهواء- مع النص الصحيح الصريح؟ والجواب : تعارض النصّ الصريح من الكتاب والسنة مع العقل الصحيح غير متصور أصلاً، بل هو مستحيل . فإذا تُوهّم التعارض بسبب عدم فهمٍ للنقل، أو فسادٍ في العقل، فإنّ الوحي مقدّمٌ ومحكمٌ . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فيأخذ المسلمون جميع دينهم -من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك- من كتاب الله، وسنة رسوله، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها . وليس ذلك مخالفاً للعقل الصريح؛ فإنّ ما خالف العقل الصريح فهو باطل . وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل . ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهما بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم، لا من الكتاب والسنة"^(٢).

(١) انظر صون المنطق والكلام للسيوطي ص ١٨٢ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٩٠/١١ .

المبحث الثالث

من خصائص العقيدة الإسلامية

التعريف بـ"خصائص" :

الخصائص جمع خصيصة . يُقال : خصَّه بالشئ ، خصَّاً وخصُوصاً وخصُوصيةً ، وخصيصى . واختصه بكذا ؛ أي خصه به ، فاختصَّ ، وتخصَّص ، أي تفرَّد^(١) .

والخصيصة : هي الصفة البارزة المميزة . فإذا قلنا : خصائص العقيدة ، فمرادنا : صفاتها البارزة التي تفرَّد بها ، وتُميِّزها عن بقية العقائد .

وللعقيدة الإسلامية سمات بارزة تميِّزها عن بقية العقائد ، سأقتصر على ذكر بعضها .

ولبيان هذه الخصائص ، قسِّمتُ هذا البحث إلى أربع مسائل :

المسألة الأولى : أنها توقيفية .

المسألة الثانية : أنها غيبية .

المسألة الثالثة : التكامل والشمول .

المسألة الرابعة : أنها وسطية .

المسألة الأولى

من خصائص العقيدة الإسلامية : أنها توقيفية

معنى التوقيف في اللغة :

التوقيف لغة مأخوذة من الوقف . يُقال : وقَّفَ الدار ، إذا حبَّسها . والتوقيف في

الحج : وقوف النَّاسِ في المواقف . وموقف الرجل : وقوفه في أيِّ مكانٍ حيث كان^(٢) .

(١) انظر : الصحاح للجوهري ١٠٣٧/٣ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٧٩٦ .

(٢) انظر المصدران السابقان ١٤٤٥/٤ ، ص ١١١٢-١١١٣ .

المراد من كون العقيدة الإسلامية توقيفية :

المراد من كون العقيدة توقيفية : أن رسول الله ﷺ قد أوقف أمته على مباحث العقيدة، فلم يترك لهم شيئاً إلا بينه^(١). فيجب على الأمة أن تقف عند الحدود التي حدّها وبينها^(٢).

ما الذي يلزم من كون العقيدة توقيفية :

لقد بين رسول الله ﷺ العقيدة بالقرآن والسنة ، فما ترك منها شيئاً إلا بينه . ويلزم من هذا :

١- أن تُحدّد مصادر العقيدة ، بأنّها الكتاب والسنة فقط .

٢- أن نلتزم بما جاء في الكتاب والسنة فقط. فليس لأحد أن يُحدّث أمراً من أمور الدين، زاعماً أن هذا الأمر يجب التزامه أو اعتقاده ؛ فإنّ الله ﷻ أكمل الدين ، وانقطع الوحي، وختمت النبوة، يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَمَرْضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة : من الآية ٣] ، ويقول ﷺ : " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"^(٣) . وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وأصل من أصول العقيدة^(٤) .

٣- أن نلتزم بالفاظ العقيدة الواردة في الكتاب والسنة ، ونتجنّب الألفاظ المحدثّة التي أحدثتها المبتدعة ؛ إذ العقيدة توقيفية ، فهي بما لا يعلمه إلا الله^(٥) .

(١) انظر : مباحث في عقيدة أهل السنة للعقل ص ٣٨ . والمدخل لدراسة العقيدة للبريكان ص ٦٢ .

(٢) انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ٣٨٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور ، فالصلح مردود .

(٤) انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل ص ٣٩ .

(٥) انظر المرجع نفسه .

المسألة الثالثة

من خصائص العقيدة الإسلامية : أنها شمولية

معنى الشمول في اللغة :

يقال : شَمِلَ الأمرُ القومَ شَمَلًا، إذا شَمَلَهُمْ . واشتَمَلَ بالثوبِ ، إذا أداره على جسده كله ، حتّى لا تخرج منه يده . واشتَمَلَ على كذا ، أي احتواه وتضمّنه^(١) .

المراد من كون العقيدة شمولية :

أنها لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتت بإيضاحها، ووضعت لها نظاماً بأروع إحكام ، وأتقن بيان؛ فقد أحاطت وهيمنت على الأعمال، والأقوال، والسلوك، وكلّ أمور الحياة . ولا يتمّ إيمان العبد إلا عندما يُخضع كلّ أمور حياته لهذا الدين .

مظاهر شمولية العقيدة^(٢) :

لم تُغفل العقيدة الإسلامية أمراً من أمور الدين والدنيا إلا أتت عليه بالبيان والإيضاح السامّين ؛ فالله ﷻ ما فرّط في الكتاب من شيء، ورسوله ﷺ بين لأُمَّته جميع ما يحتاجون إليه . ومن مظاهر هذه الشمولية :

- ١- أنها أعطت الإنسان تصوراً كاملاً عن الكون الذي يحيا فيه .
- ٢- أنها تناولت كلّ القضايا التي بها تستقيم حياة الإنسان .
- ٣- أنها أحاطت بالإنسان كلّ من حين ولادته، حتّى وفاته . بل قبل ولادته، وبعد وفاته؛ قبل أن يتزوَّج أبوه أمّه ، وحتّى يستقر في الجنّة ، أو يدخل النار - عياداً بالله - .

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٣١٩ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص

. ٤٩٥-٤٩٤

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم البريكان ص ٦٩-٧٢ .

المسألة الرابعة

من خصائص العقيدة الإسلامية : أنها وسطية

معنى الوسط في اللغة :

يأتي الوسط لغةً لعدة معان :

١- ما كان بين طرفي الشيء، وهو منه . كقولك : كسرتُ وَسَطَ الرِّمْحِ ، جلستُ
وسط الدَّارِ ، جئتُ وسط التَّهَارِ^(١) . ومنه قول سَوَّارِ بْنِ الْمُضَرَّبِ :

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ النَّاسِ عُرْيَانَا

٢- يأتي صفةً ، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود. فأوسط الشيء : أفضله وخياره .
والفردوس أفضل الجنَّةِ ، وهو أعلاها ، ووسطها . ومرعى وسط : أي خيار . ومنه
قالت العرب : "وسط المرعى خيرٌ من طرفيه" . وواسطة القلادة : هي الجوهرة التي
تكون في وسطها ، وهي أجودها^(٢) .

٣- ويأتي وسط بمعنى عدل . فالوسط من كلِّ شيء : أعدله^(٣) .

والملاحظ على الوسط أنه في كلِّ معانيه اللغوية لا يخرج عن العدل، والفضل، والخيرية .
المراد من كون العقيدة وسطية :

يُراد من قولنا عن العقيدة : إنها وسطية : أنها :

١- أفضل العقائد ، وخيارها .

٢- أعدل العقائد .

٣- لا إفراط ولا تفريط فيها .

(١) انظر : بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢١٠/٥ . ولسان العرب لابن منظور ٤٢٦/٧-٤٢٨ .

(٢) انظر الصحاح للجريري ١١٦٧/٣ .

(٣) انظر : بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢٠٩/٥ . وتاج العروس للزبيدي ٢٣٨/٥ .

من مظاهر وسطية العقيدة الإسلامية :

لا يستطيع الإنسان أن يتحدث في صفحات محدودة ، بل ولا مجلدات عن مظاهر وسطية العقيدة الإسلامية ؛ لأن ذلك أكثر من أن يُحصر ؛ فالأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس ، ورسولها ﷺ أفضل رسول ، وكتابها القرآن الكريم أفضل الكتب ، وآخرها ، والمهيمن عليها . فهي خيارٌ في خيار .

ولي وقتان ، أتحدّث من خلالهما عن مظاهر وسطية عقيدة هذه الأمة الوسط .

الوقفة الأولى : وسطية أمة الإسلام بين الأمم الأخرى :

بدأت وسطية أمة الإسلام بين الأمم الأخرى في الأمور التالية :

١- في توحيد الله ﷻ ، وصفاته : فهي وسطٌ بين اليهود والنصارى ؛

بين اليهود الذين وصفوا الرب ﷻ بصفات النقص التي يختصّ بها المخلوق ، وشبهوه به ؛ فقالوا : إنه بخيلٌ ، وفقيرٌ ، وأنه يتعب فيستريح ، وأنه يتمثل في صورة البشر ، وغير ذلك^(١) .

وبين النصارى الذين وصفوا المخلوق بصفات الخالق ﷻ؛ فشبهوه به ، وقالوا : إن الله هو المسيح بن مريم ، وإن المسيح ابن الله ، وأنه يخلق ، ويرزق ، ويغفر ، ويرحم ، ويثيب ، ويُعاقب ، .. إلخ^(٢) .

وبينهما ظهرت وسطية المسلمين الذين وُحّدوا الله ﷻ ، فوصفوه بصفات الكمال ، ونزّهوه عن جميع صفات النقص ، وعن مماثلته لشيء من المخلوقات في شيء من الصفات ، وقالوا : إن الله ليس كمثله شيء في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله^(٣) .

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب : وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكرم ص ٢٣٨ ، ٢٤٤-٢٤٩ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٢٣٨ ، ٢٤٩-٢٥٧ .

(٣) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٦٨/٥-١٦٩ .

٢- في أنبياء الله ﷺ ، ورسله : فهي وسط أيضاً بين اليهود والنصارى ؛
بين اليهود الذين قتلوا الأنبياء ، ورموهم بكلّ شين ونقيصة ، وجفوههم ، واستكبروا
عن اتباعهم .

وبين النصارى الذين غلّوا في بعضهم ، فاتخذوهم أرباباً من دون الله ، واتخذوا المسيح
الصلبيّ إلهاً^(١) .

وبينهما ظهرت وسطية المسلمين الذين أنزلوا الأنبياء منازلهم ، وعزّروهم ، ووقّروهم ،
وصدّقوهم ، وأحبّوهم ، وأطاعوهم ، وآمنوا بهم جميعاً عبيداً لله ﷻ ، ورسلاً مبشرين
ومنذرين . ولم يعبدوهم ، أو يتخذوهم أرباباً من دون الله ؛ فهم لا يملكون ضرراً ولا
نفعاً ، ولا يعلمون الغيب^(٢) .

٣- في الشرائع : فهي وسطاً أيضاً بين اليهود والنصارى ؛

فاليهود منعوا أن يعث الخالق ﷻ رسولاً بغير شريعة موسى ﷺ ، وقالوا : لا يجوز
أن ينسخ الله ما شرعه ، أو يمحو ما يشاء ، أو يُثبت ما يشاء .
والنصارى جوّزوا لأجبارهم ورهبانهم أن يُغيّروا دين الله ؛ فيحلّوا ما حرّم ﷻ ،
ويُحرّموا ما أحلّ^(٣) .

أمّا المسلمون ، فقالوا: لله الخلق والأمر؛ يمحو ما يشاء، ويُثبت ما يشاء، والنسخ جائز
في حياته ﷺ ، أمّا بعد وفاته ﷻ فليس لمخلوق أن يُبدّل أمر الخالق ﷻ مهما بلغت
منزلته ، أو عَظُم قدره .

٤- في أمر الحلال والحرام ، فهي وسطاً أيضاً بين اليهود والنصارى ؛

فاليهود حرّم عليهم كثير من الطيبات ، منها^(٤) :

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب : وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكرم ص ٢٣٨ ، ٢٦٠-٢٧٧ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٢٣٨ ، ٢٧٧-٢٨٤ . وانظر في معنى التعزير: الصارم المسلول لابن تيمية ص ٤٢٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٣٩ .

(٤) انظر وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكرم ص ٢٤٠ .

أ- ما حرّمه إسرائيل؛ يعقوب عليه السلام على نفسه، كما حكى تعالى ذلك عنه بقوله :
﴿ كَلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَائِلِيَ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٣] .

ب- ما حرّمه الله ﷻ عليهم جزاءً بغيرهم وظلمهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدْمَةٍ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٠] .
والنصارى أسرفوا في إباحة المحرّمات ؛ فأحلّوا ما نصّت التوراة على تحريمه ، ولم يأت المسيح عليه السلام بإباحته ؛ فاستحلّوا الخبائث ، وجميع المحرّمات ؛ كالميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ^(١) .

أمّا المسلمون : فقد أحلّوا ما أحلّ الله لهم في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ من الطيّبات ، وحرّموا ما حرّم عليهم من الخبائث ؛ كما قال الله عنهم: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف آية ١٥٧]

٥- في العبادة ، فهي وسط بين اليهود والنصارى أيضاً ؛

فاليهود علموا ، ولم يعملوا ، فهم المغضوب عليهم ؛ أعرضوا عن العبادات ، واستكبروا عن طاعة الله ، واتبعوا الشهوات ، وعبدوا أنفسهم للمادة ، فاشتغلوا بدنياهم عن دينهم وآخروهم ^(٢) .

والنصارى لم يعلموا ، وعبدوا الله على جهالة ، فهم الضالّون ؛ غلّوا في الرهينة ، وتعبدوا ببدع ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فاعتزلوا النَّاسَ في الصوامع ، وانقطع رهبانهم للعبادة في الأديرة ، وألزموا أنفسهم بما لم يُلزمهم به الله ، ممّا يشقّ على النفس والجسد ، ويُغالب الفطرة البشريّة ويُضادّها ، فلم يستطيعوا الوفاء بذلك ، كما حكى الله عنهم : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا ﴾ [الحديد: من الآية ٢٧] .

(١) انظر كتاب الصمدية لابن تيمية ٣١٣/٢ .

(٢) انظر وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكرم ص ٢٤٠ .

أمَّا الأُمَّة الوسطى: فقد علموا، وعملوا، فهم الذين أنعم الله عليهم؛ عبدوا الله وحده بما شرع، لم يعبدوه بالأهواء والبدع^(١)، ولم ينسوا نصيبهم وحظوظهم في الدنيا^(٢)، وقدوتهم في ذلك رسولهم ﷺ.

الوقفه الثانية: وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق الضالة:

تقدّم الحديث عن جوانب من وسطية أمة الإسلام بين الأمم.

ولقد كان أسعد هذه الأمة بهذه الخيرية، أسعدها باتباع الكتاب والسنة، وأحرصها على هديهما قولاً وعملاً واعتقاداً، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، ثم تابعوهم، ثم التابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية في قوله: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"^(٣). فهؤلاء هم خيار الأمة، ثم يلحق بهم من كان على مثل ما كانوا عليه من الهدى والتمسك بالكتاب والسنة في كل زمان ومكان، ممن أخير عنهم الرسول ﷺ في حديث الافتراق بأنهم الفرقة الناجية، وأنهم الجماعة^(٤). وهؤلاء - أعني المتمسكين بالكتاب والسنة، والمتبعين لمنهج الصحابة وسلف الأمة - أصبحوا في هذه الأمة كهذه الأمم بالنسبة للأمم؛ فهم وسط بين فرق هذه الأمة، كما كانت هذه الأمة وسطاً بين سائر الأمم. وكلّ دارس متفحص لأقوال الفرق في مسائل العقيدة وأصول الدين، يدرك أنّ أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في ذلك.

ومن مظاهر هذه الوسطية:

(١) انظر الوسطية في الإسلام - تعريف وتطبيق - للدكتور زيد الزيد ص ٤٦-٥١.

(٢) فصاموا وأفطروا، وقاموا بالليل وناموا، وتزوَّجوا النساء، وقدوتهم في ذلك رسولهم ﷺ. (انظر صحيح

البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح. وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح).

(٣) تقدّم تخريجه في ص ٢٢.

(٤) انظر ص ٢٠، حاشية (٤) من هذا الكتاب.

١- في أسماء الله وصفاته، فهم وسطٌ بين أهل النقي والتعطيل، وأهل التشبيه والتمثيل؛ فأهل السنّة والجماعة يُؤمنون بكلّ ما وصف الله به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ، وبجميع أسمائه الحسنى من غير تحريفٍ لمعناها، ولا نفى لها أو تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل. فهم يُثبتون جميع الأسماء والصفات مع تحقيقها لله ﷻ، وتنزيهه سبحانه عن مماثلة مخلوقاته، تصديقاً بخبره عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى من آية ١١]. وهم وسطٌ في ذلك بين أهل التعطيل وأهل التشبيه والتمثيل.

فأهل التعطيل الذين أنكروا ما يجب لله من الأسماء والصفات، أو أنكروا بعضه، فهم نوعان؛ أهل التعطيل الكلّي؛ كالجهميّة والمعتزلة؛ وأهل التعطيل الجزئي؛ كالأشعريّة والماتريديّة^(١).

وأهل التشبيه الذين شبّهوا الله بخلقه، وجعلوا صفاته من جنس صفات مخلوقاته؛ كما فعل الكراميّة، والهشاميّة - أتباع هشام بن سالم الجواليقي -، وكصنيع داود الجواربي، ومن نما نحوه^(٢).

٢- في باب القدر، فهم وسطٌ بين الجبريّة والقدريّة؛

فأهل السنّة والجماعة يُؤمنون بأن الله قدر الأشياء في الأزل، وعلم أنّها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفاتٍ مخصوصة، فهي تقع وفق ما قدره الله ﷻ^(٣). وهم بذلك يُؤمنون بركنٍ من أركان الإيمان، أشار إليه الصادق المصدوق ﷺ بقوله: "تؤمن بالقدر خيره وشره"^(٤).

(١) انظر: فتح ربّ البرية بتلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين ص ١٨-١٩. والإرشاد إلى صحيح

الاعتقاد للدكتور صالح الفوزان ص ١٥٧.

(٢) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح الفوزان ص ١٥٦-١٥٧.

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٥٤.

(٤) انظر تخريج هذا الحديث في ص ١٤ من هذا الكتاب.

ولا يُعدُّ المرء مؤمناً بالقدر حتى يؤمن بمراتبه الأربع التي هي بمثابة الأركان فيه ، وهي : علم الله بالأشياء قبل كونها ، وكتابة كلِّ ما هو كائن قبل أن يكون ، ومشية الله للأشياء قبل وقوعها، وخلقها للأشياء وإيجادها . فهذه أركان أربعة تشهد لها نصوص الكتاب والسنة^(١) .

أمَّا المنحرفون عن الكتاب والسنة في هذا الباب ، فقد أفرطوا وفرطوا ؛ فالقدرية - ويمثلهم المعتزلة - جفوا في إثبات القدر ؛ فنفوا قدرة الله ﷻ وخلقهم لأفعال عباده، وقالوا : إنَّ الله لا يقدر على عين مفعول العباد . وعليه فأفعال العباد - عندهم - ليست مخلوقة لله، وإلَّا العبد هو الذي يخلق فعله^(٢) ، فأنكروا خلق الله لأفعال عباده، وهي المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر .

والجبرية - ومنهم الجهمية - غلَّوا في إثبات القدر ، ونفوا مسؤولية العبد عن أفعاله ؛ فهو لا يُريد فعلها ولا عدمه ، ولا يقدر عليه ، وقالوا : " لا فعل لأحد في الحقيقة إلاَّ الله وحده ، وألله هو الفاعل ، وأنَّ النَّاسَ إِنْما تُنسب إليهم أفعالهم على الحجاز ؛ كما يُقال : تحرَّكت الشجرة ، ودار الفلك ، وزالت الشمس . وإلَّا ما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه"^(٣) ، وهو الذي يخلق الأفعال في الإنسان، على حسب ما يخلق في سائر الجمادات^(٤) . فأنكروا فعل العبد لأفعاله، ونسبوا ذلك إلى الله . فالقدرية نفوا القدر وقالوا: الخلق خلق العبد، والجبرية غلَّوا في إثبات القدر حتى قالوا: الفعل فعل الربِّ . وبرزت وسطية أهل السنة في هذا الباب حين أثبتوا للعبد مسؤولية عن أفعاله، وإرادة

(١) من الكتب التي فصلت في ذلك : أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكيمي ص ١٢٤-١٤١ .
 ووسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكرم ص ٣٦٣-٣٦٦ . والثمرات الزكية في العقائد السلفية لأحمد فريد ص ٢٢٢-٢٥٠ .

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار الهمداني ص ٣٢٣ . والمعنى في أبواب العدل والتوحيد له ٣/٨ .

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ١/٣٣٨ .

(٤) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٥١ .

تُرَجِّحُ له الفعل ، ومشيتة واختياراً ، وقدرة على الأفعال ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الاسراء من الآية ٣٦] . والذي قام بالعبد هو فعله ، وكسبه ، وحر كاته ، وسكناته ؛ فهو المصلي ، القائم ، القاعد حقيقة . والذي قام بالله ﷻ هو علمه ، وقدرته ، ومشيتته ، وخلقه ؛ كما أخبر ﷻ عن نفسه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكَ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات: ٩٦] ؛ فالله كما خلق العباد ، يخلق أفعالهم ، والعبد فاعل لفعله حقيقة ، وقادرٌ عليه بإقدار الله له ، والخلق خلق الله ؛ لأنَّ العبادَ خَلَقَ له ، وأفعال المخلوقين مخلوقة ، ولأنَّ الله خالق كلِّ شيء ، ولا يكون في ملكه إلا ما يُريد كوناً وقدرًا^(١) .
وأهل السنَّة بوسطيتهم هذه يجمعون بين النصوص ، ويؤلّفون بينها^(٢) .

٣- في نصوص الوعد والوعيد ، فهم وسطٌ بين الوعيدية والمرجئة :

"جاء في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ كثيرٌ من الآيات والأحاديث التي تدلُّ على وعد الله ﷻ للمؤمنين والمطيعين بالثواب الجزيل ، وأنه أعدَّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ، ووعدهم بألوان من الأجر والجزاء ، ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك ، وتكفير السيئات ، وإبدائها حسنات ، ونحو ذلك"^(٣) . ومن هذه النصوص : قوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] ، وقوله ﷻ لأبي ذرّ الغفاري ﷺ : "ما من عبدٍ قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة"^(٤) . وهذه يُقال لها : نصوص الوعد .

(١) انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٧٥ . وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥٣٤/٣ . ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٥٩/١-٤٦٠ ، ٢/٢٩٨ . وشفاء العليل لابن القيم ص ٤٩٣ .

(٢) انظر وسطية أهل السنَّة بين الفرق للدكتور با كرم ص ٣٨١-٣٨٣ .

(٣) وسطية أهل السنَّة والجماعة بين الفرق للدكتور محمد با كرم ص ٣٥٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

وجاء كذلك في الكتاب والسنة آيات وأحاديث كثيرة، تتضمن الوعيد الشديد بالعذاب الأليم ، والخلود في النار لأهل الفسق والمعاصي وأصحاب الكبائر ، ووصفهم بالكفر والفسق والضلال ونحو ذلك^(١) . ومن هذه النصوص: قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتُهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] ، وقوله ﷺ: "سَيَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ"^(٢) . وهذه تُسمَّى نصوص الوعيد .

والناس قد اختلفوا في هذه النصوص إلى طرفين ، ووسط .

فالمرجئة أخذوا بنصوص الوعد ، وتركوا نصوص الوعيد ، وقالوا : كلّ ذنب سوى الشرك فهو مغفور ؛ فالإيمان لا تضرّ معه معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة^(٣) .

وألما ضلّوا في هذا الباب بسبب عبادتهم الله بالرجاء وحده ، وإهمال جانب الخوف .

والمعتزلة - من الخوارج والمعتزلة - أخذوا بنصوص الوعد والوعيد ، وغلّوا في نصوص الوعيد ، وقالوا : لا بُدَّ أن يُنجز الله وعده ووعيده ، ولا يصحّ أن يُخلف أيّاً منهما^(٤) .

وسبب ضلالهم في هذا الباب : عبادتهم الله بالخوف وحده ، وإهمال جانب الرجاء .

وأهل السنة في هذا الباب وسطٌ بين غلاة المرجئة ، وبين الوعيدية - من الخوارج

والمعتزلة - ، وهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيد ؛ فيجمعون بين الخوف والرجاء ،

ولا يُفرّطون في نصوص الوعيد كالمرجئة الخالصة الذين قالوا: لا يضرّ مع الإيمان ذنب ،

ولا يغفلون غلّوا الخوارج والمعتزلة في نصوص الوعيد ، ويقولون في الوعيد : يجوز أن

يعفو الله عن المذنب ، وأن يُخرَج أهل الكبائر من النار ، فلا يُخلد فيها أحداً من أهل

(١) وسطية أهل السنة والجماعة للدكتور محمد با كرم ص ٣٥٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد با كرم ص ٣٥٥ .

(٤) انظر : شرح الأصول الخمسة لعبدالجبار المعتزلي ص ١٣٥-١٣٦ . والموجز لعبدالكافي الأباضي - من

الخوارج - ضمن كتاب آراء الخوارج الكلامية ، للدكتور عمار طالي ١٠٥/٢ . .

التوحيد^(١)، ويقولون في الوعد : إن الله لا يُخلف وعده، ف"إذا وعد عباده بشيء ، كان وقوعه واجباً بحكم وعده ؛ فإن الصادق في خبره ، الذي لا يُخلف الميعاد"^(٢) .
الرجاء والخوف عند أهل السنة والجماعة :

الرجاء والخوف عند أهل السنة والجماعة من أركان العبادة^(٣)، وهما متلازمان، كما قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عنهما : "فاعلم أنهما متلازمان ؛ فمن كان يرجو ما عند الله من الخير ، فهو يخاف ما لديه من الشرّ ، كالعكس"^(٤) ، وعلى تلازمهما دلّت النصوص الشرعية .

والرجاء والخوف عند العبد كجناحي طائر، قد يميل بأحد جناحيه لمصلحة، شريطة أن لا يفقد التوازن ، وعلماء أهل السنة والجماعة يقولون: "ينبغي للإنسان وهو في أيام صحته أن يُغلب الخوف دائماً على الرجاء ، وأن يكون خوفه أغلب من رجائه . فإذا حضره الموت غلب الرجاء في ذلك ليطغى على الخوف ، فلا ينبغي للمؤمن أن يموت إلا وهو يُحسن الظنّ بالله جلّ وعلا"^(٥) .

ولكن ليس المراد أن ينفرد أحدهما في نفس العبد ؛ فإن ذلك يكون سبباً في اختلال التوازن في حياته .

٤- في باب الأسماء والأحكام ، فهم وسط بين الوعيدية والمرجئة :

المراد بالأسماء : أسماء الدين ، وهي تلك الألفاظ التي رتب الله ﷻ عليها وعداً ووعيداً ؛ مثل : مؤمن، ومسلم ، وكافر ، وفاسق . والمراد بالأحكام : أحكام أصحاب هذه الأسماء في الدنيا والآخرة^(٦) .

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/٤٦٦-٤٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ١/٤٤٨ .

(٣) سيأتي الحديث عنها لاحقاً .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ٤/٢٠٠ .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ٥١/٢ . وانظر فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٦) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/٣٨ .

والتَّاس في أحكام عصاة المسلمين وأسمائهم، قد انقسموا إلى طرفين -وعيدية ومرجئة- ،
ووسط -أهل السنة والجماعة- ؛

أولاً : انقسامهم في أسماء مرتكبي الكبائر :

الوعيدية : سلبوا اسم الإيمان عن العاصي في الدنيا ، وسُمّوه : إمّا كافراً كالخوارج^(١) ،
أو في منزلة بين الإيمان والكفر ؛ فلا هو مؤمن ولا كافر ، كالمعتزلة^(٢) .
والمرجئة والجهمية : زعموا أن العاصي مؤمن كامل الإيمان ؛ لأن الإيمان عندهم مجرد ما
في القلب ، أو المعرفة القلبية . وهم الذين قالوا : "لا تضرّ مع الإيمان معصية ، كما لا
تنفع مع الكفر طاعة"^(٣) .

أمّا أهل السنة والجماعة : فقد أطلقوا على مرتكب الكبيرة اسم : "مؤمن عاص ، أو
مؤمن فاسق ، أو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته" ، فلا يزيلون عنه اسم الإيمان بالكلية
بذهاب بعضه ، ولا يُعطونه اسم الإيمان المطلق^(٤) ، والله ﷻ قد سمّى المُقتَلين مؤمنين ؛
فقال : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ ، إلى أن قال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا
بَيْنَ أَخْوِيكُمْ وَأَقْبُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ٩-١٠] .

ثانياً : انقسامهم في أحكام مرتكبي الكبائر في الآخرة :

الوعيدية حكموا بخلود أصحاب الكبائر في النَّار في الآخرة؛ فالخوارج قالوا : إنَّ أهل
الكبائر خالدون مخلَّدون في النَّار ، لا يخرجون منها أبداً^(٥) ؛ والمعتزلة قالوا : يدخلون

(١) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٦٨ .

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي ص ٦٩٧ .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد با كرم ص ٣٣٥-٣٣٦ .

(٤) انظر المرجع نفسه ص ٣٤٦ .

(٥) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٦٨ .

النَّار، وَيُخَلَّدُونَ فِيهَا أَبَدَ الْأَبَدِينَ، ودهر الدهرين^(١) . ويظهر من أقوال الفرقتين تشابه موقفهم في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة .

أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَقَالُوا : إِنَّ حُكْمَ مَرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ فِي الْآخِرَةِ أَنَّهُ يُخَافُ عَلَيْهِ الْعِقَابَ، وَيُرْجَى لَهُ الرَّحْمَةُ؛ فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُصِرًّا غَيْرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي اسْتَوْجِبَ بِهَا الْعُقُوبَةَ ، فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ .. " (٢) ؛ فَإِنْ غَفَرَ لَهُ ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ دُونَ عَذَابٍ وَلَا عِقَابٍ ، فَبِفَضْلِهِ . وَإِنْ أَدْخَلَهُ النَّارَ وَعَذَّبَهُ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ ، فَبِعَدْلِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ كَالْكَافِرِ . وَهَمَّ فِي ذَلِكَ يَنْطَلِقُونَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ

اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : من الآية ٤٨] .

٥- في أصحاب رسول الله ﷺ ، فهم وسط بين الغالي والجافي :

الصحابي هو : مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ^(٣) .

وأهل السنة والجماعة وسط في صحابة رسول الله ﷺ بين الغلاة والجفاة ؛

الغلاة الذين يقولون بألوهية أمير المؤمنين وأبي السبطين علي بن أبي طالب ﷺ ، أو يقولون بعصمته ، أو يُفَضِّلُونَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ أَجْمَعِينَ^(٤) .

والجفاة الذين جفوا الصحابة حتى كفروهم، ولعنوهم، ورموهم بالعظائم ؛ كفعل

الخوارج في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وبعض الصحابة^(٥) ؛ وكفعل المعتزلة

(١) انظر شرح الأصول الخمسة لعبدالجبار المعتزلي ص ٦٦٦ . وانظر أيضاً فتح الباري لابن حجر ٧٣/١ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٦٢/١ . وانظر الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص ٢٦٥ .

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧/١ .

(٤) انظر الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ص ٢١-٢٢ .

(٥) انظر المصدر نفسه ص ١٩ .

في تفسيرهم لطوائف من الصحابة ، وردّهم لشهادتهم^(١) ؛ وكفعل الرافضة في سب
وتكفير الصحابة ، سيّما الشيخين عليهما السلام ^(٢) .

وتوسّط أهل السنة بين هؤلاء وهؤلاء ؛ فأحبوا الصحابة عليهم السلام ، وترضوا عنهم ، واعتقدوا
عدالتهم ، وأنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله ، وأن الله قد حفظ بهم دينه ، وأقام بهم
عقيدة الإيمان صافية نقيّة^(٣) .

والأدلة من الكتاب والسنة على فضلهم أكثر من أن يجمعها مكان . منها : قوله صلى الله عليه وآله :
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سَاجِدًا يُتُنَوَّنُونَ فَضْلًا مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَكْرٍ
أَخْرِجَ شِطَاءً فَإِنَّهُمْ لَمُنْذَرُونَ فَاسْتَعْلَظُوا فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] .

ومنها قوله صلى الله عليه وآله : " لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ
أحدهم ولا نصيفه "^(٤) .

(١) انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢/١٧٨ . وميزان الاعتدال للذهبي ٤/٣٢٩ .

(٢) انظر : الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ص ٢٣ . ووسطية أهل السنة بين الفرق لباكر ص
٤٠٦-٤١١ .

(٣) انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٣ . وأعلام السنة المنشورة للشيخ
حافظ الحكمي ص ١٧٧-١٧٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وآله . وصحيح مسلم ، كتاب
فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة عليهم السلام .

الباب الأول

ويشتمل على تمهيد ، وفصلين :

الفصل الأول : بيان أنواع التوحيد . وأقسامه بإيجاز .

الفصل الثاني : دراسة بعض التفصيلات عن توحيد العبادة "الإلهية" .

مَهَيِّدٌ

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : تعريف التوحيد .

المسألة الثانية : التوحيد هو الأصل في البشر تاريخياً ، وفطرة ، والشرك طارئٌ .

المسألة الأولى

تعريف التوحيد

سبق تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً^(١) .

وقلنا في تعريفه اصطلاحاً : إفراد الله بما تفرّد به ، وبما أمر أن يُفردَ به ؛ فنُفِردَه في ملكه وأفعاله فلا ربَّ سواه ولا شريك له، ونُفِردَه في ألوهيته فلا يستحقّ العبادة إلا هو ، ونُفِردَه في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له .

المسألة الثانية

التوحيد هو الأصل في البشر تاريخياً وفطرةً والشرك طارئٌ

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول : التوحيد هو الأصل في البشر تاريخياً .

الفرع الثاني : التوحيد هو الأصل في البشر فطرةً .

الفرع الثالث : الشرك طارئٌ .

(١) انظر ص ١٠-١١ من هذا الكتاب .

الفروع الأول

التوحيد هو الأصل في البشر تاريخياً

ثمة شبهة أثيرت، مفادها أن الأصل في الإنسان أنه مشرك ، وأن التوحيد طارئٌ عليه . وقد زعم أصحاب هذه المقولة أن الإنسان عَرَفَ الشرك وتعدّد الآلهة أولاً، ولم يعرف عقيدة التوحيد إلا بعد أن تطوّرت ومرّت بعدة مراحل .

ويُردّ عليهم بأن التوحيد هو الأصل في البشر تاريخياً للأدلة التالية :

١- إن الغاية من خلق آدم ﷺ وذريته هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذريات:٥٦] .

٢- آدم ﷺ أبو البشر ، وحواء أمهم كانوا على التوحيد ، وحين أكلوا من الشجرة ، علما أن لهما رباً يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، فضرّعا إليه قائلين : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [اعراف: من الآية ٢٣] .

٣- إن الله اصطفى آدم ﷺ، وشرّفه بذلك، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] ، ولا يكون الاصطفاء لمشرك . وقد أمر ملائكته بالسجود له ، يقول ﷻ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

٤- إن الله ﷻ قد أخذ العهد والميثاق على بني آدم، وهم في صلب أبيهم آدم ﷺ أنه ربهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، كما قال مولانا ﷻ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [اعراف: ١٧٢-١٧٣] .

- ٥- إن ذريرة آدم ﷺ من بعده كانوا يدينون بالتوحيد الخالص طيلة عشرة قرون ؛ حتى حدث الشرك في قوم نوح ﷺ ، كما سيأتي^(١) ؛ فبعث الله تعالى إليهم نوحاً ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده ؛ يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩] .
- ٦- كلما انخرقت البشرية عن التوحيد، أرسل الله الرسل تدعو إلى عبادته وحده، ونبذ ما يُعبد من دونه ، كما قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانباء : ٢٥] .

الفرع الثاني

التوحيد هو الأصل في البشر فطرة

- الفطيرة على وزن فعلة ، وهي مشتقة من فطر . يُقال : انفطر الشيء ، إذا انشق . وفطر الأمر ، إذا ابتدأه وأخترعه وأنشأه . وفطر الله العالم ، أوجده ابتداءً . وفطر الخلق ، خلقهم وبرأهم^(٢) .
- والمراد بها هاهنا : أصل الخلقة ، وهي ما أوجد الله عليه الناس ابتداءً من الإيمان به ﷻ وتوحيده .

- وكما كان التوحيد هو الأصل في البشر تاريخياً، فهو الأصل في البشر فطرة، للأدلة التالية :
- ١- إن الله ﷻ منذ أوجد البشر فطرهم على التوحيد والإيمان به ﷻ خالقاً ومعبوداً ، وأخذ عليهم العهد والميثاق منذ كانوا في أصلاب آبائهم^(٣) . يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣] .

(١) في الفرع الثالث : الشرك طارئ ، ص ٥٢ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٥٨٧ ، والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٦٩٤ .

(٣) انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ١٦ .

٢- إن الله ﷻ قد أمر رسوله ﷺ - وأمته داخله في الخطاب- أن يُقيموا وجوههم ، ويُخلصوا دينهم له ؛ لأن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠] .

٣- قد أخبر مولانا ﷻ أنه خلق عباده خفاءً كلهم ، موحدين ، مسلمين ، مستقيمين ، منيبين لقبول الحق ؛ لأن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها ، حين أخذ عليهم العهد في الذر^(١) . يقول الله ﷻ في الحديث القدسي : "وَأَنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُفَاءَ كُلِّهِمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا"^(٢) ؛ فالعباد كلهم مفلطرون على الإسلام ، والإيمان الصحيح ، ولكن للشياطين دورٌ في مسخ الفطرة ، وتشويهها ، وجعلها تنحرف عن المسار السوي . فإذا طرأ على الفطرة ما يصرفها عن الصواب والحق ، فإنها تحتاج إلى ما يُصحح لها مسارها، ويردّها عن الانحراف، وهذه مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٤- أخبر الرسول ﷺ "أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ مُهِيمًا لِلْإِسْلَامِ"^(٣)، في قوله: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ. فَأَبَاؤُهُ يَهُودِيَّةً وَيُنَصْرَانِيَّةً وَيُمَجْسَانِيَّةً. كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ . هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟". ثم يقول أبو هريرة ؓ راوي الحديث : وقرأوا إن شئتم : ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]^(٤) . والفطرة التي يولد الإنسان عليها كما

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٧/١٩٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

(٣) قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٦/٢٠٨ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى : كل مولود يولد على الفطرة .

قال الإمام المازري: "هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم ، وأن الولادة تقع عليها ، حتى يحصل التغيير بالأبوين"^(١) ؛ فالإنسان لو ترك على أصل خلقته التي خلقه الله عليها؛ "الفطرة" ، دون أن تتدخل المؤثرات الأخرى ، لكان من المؤمنين المسلمين^(٢) .
والتحول عن الفطرة أساساً ، إنما هو من فعل الشيطان ، ووسوسته ، وإغوائه .

٥- إن كل مولود في العالم يُقرُّ بأن الله خالقه وربُّه ، ولو عبَدَ غيره ؛ كما قال تعالى :
﴿ وَكُنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [النكبت: ٦١] ،
﴿ وَكُنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧] ،
﴿ وَكُنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [النكبت: ٦٣] ؛ فالفطرة تدل على توحيد الربوبية .

٦- إن الفطرة تدل على توحيد الألوهية ؛ لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ؛ فمن
يقن أن الله ربُّه وخالقه ، فلا بُدَّ أن يصرف العبادة له وحده ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] ؛ فالإنسان إذا آمن بأن الله ﷻ هو الخالق ، الرازق ،
المحيي ، المميت ، المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، بيده الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر
كله ، فلا بُدَّ أن ينتهي به الأمر إلى أنه المعبود بحق وحده ، لا شريك له ؛ فيخضع قلبه
له محبة ، وإنابة ، وذلاً ، وخوفاً ، وخشية ، وتوكلًا ؛ إذ كيف يعبد ، أو يخاف ، أو
يُحِبُّ محبة عبادة ، أو يتوكل على مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .

(١) نقله عنه الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ٢٠٨/١٦ .

(٢) انظر تفسير البغوي ٢٧٠/٦ .

الفرع الثالث

الشرك طارئ على البشرية

- فهمنا مما تقدّم أن الشرك نوعٌ من أنواع الانحراف عن جادة الحقّ والفطرة ، وأنه ليس الأصل ، كما زعم من زعم . والأدلة على ذلك كثيرة ، منها :
- ١- لقد كانت البشرية الأولى ، أو ذرية آدم ﷺ المولودة على الفطرة ، -والفطرة هي دين الإسلام الذي رضيّه الله ﷻ وارتضاه لعباده^(١) - كانت على الإسلام طيلة عشرة قرون^(٢) .
- ٢- يقول ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير قول الله ﷻ : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة من الآية ٢١٣] : "كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام"^(٣) .
- فالتوحيد هو أصل البشرية ، منذ خلق الله آدم ﷻ ، حتى وقع الشرك في قوم نوح ﷻ .
- ٣- أوّل شركٍ وقع في الخليقة هو شرك قوم نوح ﷻ ، وسبب كفرهم وتركهم دينهم هو غلوهم في الصالحين ؛ فمعبوداتهم التي عكفوا عليها وتعصّبوا لها ، وقالوا عنها : ﴿لَا تَذَرِنَ الْهَيْتَكَ وَلَا تَذَرِنَ وِدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] ، هي "أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسؤوا بأسمائهم ، ففعلوا . فلم تُعبَد ، حتى إذا هلك أولئك وتَسَخَّ العلمُ ، عُبدت"^(٤) ، كما قال الخبر ابن عباس رضي الله عنهما .
- فالشرك طارئ على البشرية ، وأوّل ما وقع في قوم نوح ﷻ ، بعد ألف سنة من آدم ﷻ .
- ٤- بعث الله ﷻ الرُّسُلَ تَتْرَى؛ كلُّما ضلّت أُمَّةٌ وانحرفت عن التوحيد ، بعث إليها رسولاً يُعيدها إلى الجادة ، ويُصِّرها بضلالها ، كي ترعوي ، وتعود إلى الحقّ . قال تعالى :
- ﴿ وَكَذَّبْتُمْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: من الآية ٣٦] .

(١) انظر كلمات في الأخلاق الإسلامية للدكتور كمال محمد عيسى ص ٨٣ .

(٢) انظر : معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٦٧٨/٢ . وأضواء البيان للشيخ الشنقيطي ٢٨٦/١ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٣٤/٢ ، والحاكم في المستدرک ٤٤٢/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يُخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ وِدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ﴾ .

الفصل الأول

أنواع التوحيد

ويشتمل على تمهيد ، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : توحيد الربوبية .

المبحث الثاني : توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثالث : توحيد الألوهية .

مَهَيَّنَدُ :

اعلم أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع^(١) .

وهذه القسمة استقرائية ، قد دلت عليها النصوص .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : "دلّ استقراء القرآن العظيم على أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول : توحيد في ربوبيته ، وهذا النوع جُبلت عليه فطر العقلاء . الثاني : توحيد جلّ وعلا في عبادته ، وضابط هذا النوع من التوحيد هو : تحقيق معنى لا إله إلا الله ، وهي مترتبة من نفي وإثبات . الثالث : توحيد جلّ وعلا في أسمائه وصفاته"^(٢) .

فأنواع التوحيد إذاً ثلاثة .

وقد اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة في آية واحدة من كتاب الله ﷻ ؛ في قوله تعالى :

﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مرم: ٦٥] .

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله موضحاً ذلك : "فقوله: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ هذا توحيد الربوبية. وقوله: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ هذا توحيد الألوهية.

وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات ؛ أي لا تعلم له سمياً ؛ أي مسامياً يضاويه

وَيُمَانِلُهُ ﷻ"^(٣) .

وبعد ما عرّفنا أنواع التوحيد ، نتكلّم عن كل نوع منها بإيجاز .

(١) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٥٦/١ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٤١٠/٣-٤١١ .

(٣) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد لابن عثيمين ص ٩ .

المبحث الأول

توحيد الربوبية

توحيد الربوبية أحد أنواع التوحيد الثلاثة . ويُمكن الحديث عنه بإيجاز في الوقفات

التالية :

الوقف الأولى : معنى الرب لغةً :

الربُّ لغةً يأتي لعدة معانٍ ، منها : المرَبِّي ، والمالك . يُقال : ربُّ كلِّ شيءٍ : مالكه ، ومستحقُّه ، أو صاحبه^(١) .

الوقف الثانية : توحيد الربوبية شرعاً :

هو الاعتقاد والاعتراف والإقرار الجازم بأنَّ الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومالكه ، وخالق كلِّ شيءٍ ورازقه، وأنه المحيي والمميت، والنافع والضار، المتفرّد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، ليس له في ذلك شريك^(٢) .

الوقف الثالثة : ما الذي يلزم المؤمن بتوحيد الربوبية ؟

عندما نقول : على العبد أن يُوحّد الله في ربوبيّته ، فإننا نطلب منه أموراً ، هي :

- ١- أن يؤمن بوجوده أولاً .
- ٢- أن يؤمن بأفعال الله العامّة ؛ كالخلق ، والرزق ، والنفع ، والضرر ، والإعطاء ، والمنع ، والإحياء ، والإماتة ، ... إلخ .
- ٣- أن يؤمن بقضاء الله وقدره ؛ لأنّ ما يُجريه الله في كونه ، وما يُقدّره من مقادير هي من أفعاله ﷻ .

الوقف الرابعة : في ذكر بعض الأدلة الشرعية على توحيد الربوبية :

القرآن الكريم مليء بذكر الأدلة على ربوبية الله ﷻ ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللَّغْوِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

(١) انظر : الصحاح للجوهري ١/١٣٠ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١١١ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٣٣ .

وَيَصْرِفُ الرِّيحَ وَالسَّحَابَ الْمَسْحُورَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِيَأْتِيَ بِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَلُونَ ﴿البقرة: ١٦٤﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّمَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذريات: ٥٨] ، وغير ذلك .

الوقفه الخامسة : دلالة الفطرة على توحيد الربوبية^(١) :

هذا النوع من التوحيد جُيِلَتْ عليه فطر العقلاء ؛ فالله ﷻ فَطَرَ خَلْقَهُ عَلَى الْإِقْرَارِ بِرَبُوبِيَّتِهِ ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ ، الْحَيُّ الْمَمِيتُ ، .. إلخ . وقد حكى الله ﷻ عن المشركين أَنَّهُمْ يَقْرُونَ هَذَا النَّوعَ مِنَ التَّوْحِيدِ ، فَقَالَ : ﴿ وَكُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [الانكسوت: ٦١] ، ﴿ وَكُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولَ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [الرحرف: ٨٧] ، ﴿ وَكُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الانكسوت: ٦٣] ... فهم ينسبون لله سبحانه : الخلق ، والإحياء ، والإماتة ، وتدبير الأمر ؛ من رزق ، وإنزال مطر ، وغير ذلك .

الوقفه السادسة : موقف المشركين من توحيد الربوبية :

ذكرنا في الوقفة السابقة أن المشركين كانوا يُقْرُونَ بتوحيد الربوبية ، ومع ذلك حكم عليهم الله ﷻ بالكفر ، ودمغهم بالشرك ، فقال : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمُ بِاللَّهِ الْإِوَاهِمُ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] . والملاحظ أن الله ﷻ نسب إليهم في هذه الآية إيمانا ، مع حكمه عليهم بالشرك ، وهذا الإيمان الذي أثبتهم لهم ، قولهم : إن الله خلقنا ، وبرزقنا ، وئيمتنا ، ... فهذا إيمانهم ، مع إشراكهم في عبادتهم غيره^(٢) .

وهذا التوحيد كما أقرَّ به المشركون الذين بُعِثَ فيهم رسول الله ﷻ ، كذلك أقرَّت به سائر الأمم ، إمَّا ظاهراً وباطناً ، أو باطناً فقط . وفرعون الذين أنكروه ظاهراً ، أقرَّ به باطناً كما حكى الله عنه وعن قومه : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل: من الآية ١٤]^(٣) .

الوقفه السابعة : هل يكفي توحيد الربوبية وحده ؟ وهل يُدْخِلُ صاحبه في الإسلام ؟ لا يكفي توحيد الربوبية وحده ، ولا يُدْخِلُ صاحبه في الإسلام ، ولذلك قاتل رسول الله ﷻ مَنْ أقرَّ به ، وصرف العبادة لغير الله .

(١) تقدّم الحديث عن الفطرة في ص ٤٩-٥١ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ٢٠٩/١ . وتوحيد الربوبية لمحمد بن إبراهيم الحمد ص ١٢ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفى ٢٥/١-٢٧ . وتوحيد الربوبية للحمد ص ١٤-١٥ .

المبحث الثاني

توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات أحد أنواع التوحيد الثلاثة ، ويُمكن الحديث عنه بإيجاز في الوقفتين التاليتين :

الوقفة الأولى : تعريف توحيد الأسماء والصفات :

يُعرّف هذا النوع من أنواع التوحيد بأنه : إفراد الله ﷻ بما سُمّي به نفسه ، ووصف به نفسه ؛ في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ ، نفيًا وإثباتًا ؛ فَيُثَبِتُ له ما أثبتته لنفسه ، ويُنفَى عنه ما نفاه عن نفسه ؛ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل^(١) .

الوقفة الثانية : في ذكر بعض أصول أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات :

هذا النوع من أنواع التوحيد، ينبني عند أهل السنة والجماعة^(٢) على أصول، منها :

١- تنزيه الله ﷻ عن مشاهمة صفات الحوادث؛ فالله ﷻ ليس كمثل شيء بوجه من الوجوه؛ لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله^(٣) ؛ كما أخبر ﷺ عن نفسه بقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية ١١] .

٢- الإيمان بجميع ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه رسوله ﷺ حقيقة لا مجازاً ، على الوجه اللائق بكماله وجلاله . فكما لا يجوز تمثيل صفاته ﷻ بصفات خلقه ، كذلك لا يجوز نفي الصفات التي وصف بها نفسه .

والملاحظ على الآية المذكورة آنفاً أنها ذات شقين ؛ أحدهما : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردُّ

على أهل التشبيه والتمثيل ، والآخر : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردُّ على أهل النفي والتعطيل .

٣- قطع الطمع عن إدراك كيفية صفاته ﷻ ؛ إذ العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه ؛ لأن عقولهم لا تطيق "كنه معرفته ﷻ ، ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته"^(٤) .

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٣ . والرسالة التدمرية له ص ٧ . ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/١٢٩ . والمجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٢/٢ . والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٢٢ .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١١٠/٢ . وأضواء البيان للشنقيطي ٣٢١/٢ ، ٤١١/٣ . وآداب البحث والمناظرة له ١٢٧/٢-١٢٨ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١١٧/١ . والرسالة المدنية له ص ٣١ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/٥٧٥ .

المبحث الثالث

توحيد الألوهية

مَهَيَّنَا : توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من جنس واحد ؛ فهما نوعان مفهومهما اعتقاديّ ليس عملياً كتوحيد الألوهية-، ولذلك أطلق بعض أهل العلم عليهما اسماً واحداً ، هو : توحيد المعرفة والإثبات ، أو التوحيد العلميّ الخبري ؛ لأنّ المطلوب من المؤمن تجاههما : معرفة ، وإثبات ؛ معرفة أفعال الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وإثباتها له ﷻ . أمّا توحيد الإلهية ، أو العبادة : فهو توحيد عمليّ ؛ فيه أمرٌ بفعل يُصرف لواحد ؛ وهو الله ﷻ ، أو نهي عن فعل يُترك لأجل واحد، هو الله ﷻ ؛ فهو توحيد في الطلب والقصد ، أو توحيد إراديّ طلبيّ ، فيه دعوةٌ إلى عبادة الله وحده ، وخلقٌ ما يُعبد من دونه^(١) . والكلام عن هذا النوع من أنواع التوحيد يطول ؛ إذ المعركة بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم ، كانت من أجل هذا التوحيد .

وسأكتفي هاهنا بذكر مقدّمات تعريفية بهذا التوحيد، وأترك التفصيل للفصل اللاحق.

وهذا الكلام الموجز في هذا المبحث ، يستلزم الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : في تعريف كلمة "إله" لغةً :

يُقال في اللغة : أَلَهَ إِلهَةً وَأَلُوهُةً وَأَلُوهِيةً : أَي عَبَدَ عِبَادَةً . وتوحيد الألوهية: أي توحيد العبادة . والإله بمعنى مألوه ؛ أي معبود . وَالْهَهُ : اتَّخَذَهُ إِلهًا ؛ أَي مَعْبُودًا . وكلُّ ما اتَّخَذَ مَعْبُودًا ، فهو إلهٌ عند مَتَّخِذِهِ^(٢) .

الوقفة الثانية : تعريف توحيد الألوهية :

عرّف العلماء توحيد "الألوهية" بأنّه "إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة ، قولاً وعملاً ، ونفي العبادة عن كلّ ما سوى الله تعالى كائناً من كان"^(٣) .

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفي ص ٤٢-٤٣ .

(٢) انظر : الصحاح للجوهري ٢٢٢٣/٦ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٦٠٣ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٢٥ .

(٣) أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٥١ . وانظر المجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١١/٢ .

الوقف الثالثة : منزلة توحيد الألوهية بين أنواع التوحيد :

هذا التوحيد هو أوّل دعوة الرسل (١) عليهم الصلاة والسلام؛ فمن أجله أرسلت الرسل؛ كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَّبْتَنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ مَّرْسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: من الآية ٣٦] .
 وهذا التوحيد أنزل الله الكتب (٢) ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانباء: ٢٥] .

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين ، وعليه يقع الثواب أو العقاب في الدارين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالتوحيد ضدّ الشرك، فإذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حقّ الله ، فعبده لا يُشرك به شيئاً ، كان موحداً" (٣) .

وهذا التوحيد هو الذي أمر رسول الله ﷺ أن يُقاتل الكفار عليه (٤)؛ يقول ﷺ : "أمرتُ أن أُقاتل النَّاسَ حتَّى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئتُ به . فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ" (٥) .
 و"لا إله إلا الله" هو معنى توحيد الألوهية ، كما سيأتي .

الوقف الرابعة : الأدلة الشرعية على توحيد الألوهية :

"توحيد الله، وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته ، في القرآن كثيرٌ جداً" ، كما قال ابن تيمية رحمه الله (٦) . ومن هذه الأدلة الكثيرة : قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: من الآية ٣٦] ، وقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا بِيَاةَ ﴾ [الاسراء: من الآية ٢٣] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَسْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاءَ ﴾ [البينة: من الآية ٥] ، وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ٤٤٣/٣ . وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ٢١/١ .

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٥/١ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٢/١-٥٣ .

(٤) انظر المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١١/٢-١٢ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٦) في مجموع الفتاوى ٧٠/١ .

والأدلة من السنة كثيرة جداً، أكفي بقوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "يا معاذ! أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ وما حقُّ العباد على الله؟" قال معاذ: الله ورسوله أعلم. قال: "حقُّ الله على العباد: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله: أن لا يُعذَّب مَنْ لا يُشركُ به شيئاً"^(١).

الوقفه الخامسة: حكم من لم يأت بهذا النوع من التوحيد، وأخذ بالنوعين الباقين: لا يدخل في الإسلام مَنْ لم يأت بتوحيد الألوهية، ولو كان آخذاً بالنوعين الآخرين؛ "فلو أن رجلاً من الناس يؤمن بأنَّ الله ﷻ هو الخالق المالك المدبِّر لجميع الأمور، وأنَّه ﷻ المستحقُّ لما يستحقُّه من الأسماء والصفات. لكن يعبدُ مع الله غيره، لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية، والأسماء والصفات"^(٢)، وكذا لو صرفَ شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ؛ لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: من الآية ٧٢].

الوقفه السادسة: العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

يكثر في كلام علماء أهل السنة -رحم الله أممهم، وحفظ أحياءهم- ذكر علاقة الاستلزام والتضمُّن بين نوعي التوحيد هذين.

ومن كلامهم في ذلك، قول العلامة ابن القيم رحمه الله: "والإلهية التي دَعَتِ الرُّسُلُ أَمَمَهُمْ إلى توحيد الربِّ بها، هي العبادة والتأليه. ومن لوازمها: توحيد الربوبية الذي أقرَّ به المشركون، فاحتجَّ الله عليهم به؛ فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية"^(٣).

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جلَّ وعلا على وجوب توحيدِهِ في عبادته. ولذلك يُخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقرُّوا بربوبيته، احتجَّ بها عليهم، على أنه هو المستحقُّ لأنَّ يُعبد وحده، وويُختم منكرأ عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنَّه هو الربُّ وحده؛ لأنَّ من اعترف بأنَّه هو الربُّ وحده، لزمه الاعتراف بأنَّه هو المستحقُّ لأنَّ يُعبد وحده"^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً. واللفظ لمسلم.

(٢) المجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١٢/٢.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ١٣٥/٢.

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ٤١١/٣.

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فمن أقرّ بالأول، لزمه الثاني؛ أي : من عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَخَالَقُهُ وَمَدَبِّرُ أُمُورِهِ، -وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته-، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضارّ وحده ، لزم إفراجه بالعبادة^(١) .

والله ﷻ كثيراً ما يستدلّ على المشركين المقرّين بتوحيد الربوبية بهذا . من ذلك قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] .

وكما كان توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فإنّ توحيد الألوهية يتضمّن توحيد الربوبية؛ يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عن توحيد الألوهية: "وهو متضمّن لتوحيد الربوبية ؛ لأنّ كلّ من عبَدَ الله وحده ، فإنّه لن يعبدّه حتّى يكون مقرّاً له بالربوبية"^(٢) . فتوحيد الألوهية يتضمّن توحيد الربوبية؛ أي يدخل ضمناً فيه ؛ فمن عبَدَ الله وحده لا شريك له ، فلا بُدَّ أن يكون معتقداً أنّه ربُّه وخالقه ورازقه ؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضرّ ، وله الخلق والأمر^(٣) .

الوقف السابعة : الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية :

أعظم الغلط إنّما حصل من جهة الانحراف في فهم مدلول كلّ من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ؛ فليس أحدهما هو الآخر ، والفرق بينهما كثيرة جداً ، وأكتفي بذكر بعضها ، فمنها^(٤) :

١- فرق في الاشتقاق اللغوي ؛ فالربوبية مشتق من اسم "الرب" ، والألوهية مشتق من لفظ "الإله" .

(١) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص ٣٤-٣٥ . وتوحيد الألوهية للحمد ص ٦٠ .

(٢) المجموع الثمين لابن عثيمين ص ٢٢ .

(٣) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص ٣٤-٣٥ . وتوحيد الألوهية للحمد ص ٦١ .

(٤) انظر إشارات إلى هذه الفروق في الكتب التالية: الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ١٥-

١٩ . والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص ٣٤-٣٥ . وتوحيد الألوهية للحمد ص ٦٠-٦٣ .

٢- فرقٌ في التعريف؛ فتوحيد الربوبية: إفراد الله بأفعاله؛ من خلق، ورزق، وإحياء، وإماتة، وإعطاء، ومنع، وضرب، ونفع، .. إلخ. وتوحيد الألوهية: إفراد الله بأفعال عباده؛ من صلاة، وزكاة، وصيام، وخشية، ورجاء، ومحبة، وخوف، وتوكل... إلخ.

٣- فرقٌ في الكفاية؛ فتوحيد الربوبية لا يكفي وحده في دخول الإسلام. أمّا توحيد الألوهية فيكفي وحده؛ لأن من أتى بتوحيد الألوهية، فقد أتى ضمناً بتوحيد الربوبية. لذلك من قال "لا إله إلا الله"، فقد أتى بجميع أنواع التوحيد.

٤- فرقٌ في الإقرار؛ فتوحيد الربوبية أقرّ به المشركون، وتوحيد الألوهية رفضه المشركون ولم يؤمنوا به، وعبدوا آلهة أخرى، وقالوا: ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ فَرَغْنَا ﴾ [الزمر من الآية ٣]، ولما طُلب منهم أن يعبدوا الله وحده، قالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿ أَجْعَلُ الْبِلَآئَةَ لِلَّهِ أَوَّحِدًا وَإِنِّ هَذَا الشَّيْءُ عَجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

٥- فرقٌ في اللزوم والتضمن؛ فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فمن أتى بتوحيد الربوبية، لزمه أن يأتي بتوحيد الألوهية. أمّا توحيد الألوهية فإنه متضمن لتوحيد الربوبية؛ فمن جاء بتوحيد الألوهية، فقد أتى ضمناً بتوحيد الربوبية.

وهذه الفروق التي ذكرتها، مع غيرها من الفروق تردّ على من زعم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد الربوبية، ولا يُفرّق بين هذا التوحيد وتوحيد الألوهية. وثمة وقفات أخرى مع توحيد الألوهية في الفصل التالي؛ حين الحديث عن شهادة "أن لا إله إلا الله" كمعنى لهذا التوحيد، وعن العبادة، وأنواعها، وأركانها.

الفصل الثاني

دراسة بعض التفصيلات عن توحيد العبادة "الإلهية"

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : شهادة أن لا إله إلا الله : معناها ، أركانها ، شروطها ، نواقضها .

المبحث الثاني : العبادة : معناها ، أنواعها ، أركانها .

المبحث الأول

شهادة أن لا إله إلا الله

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى "لا إله إلا الله" .

المطلب الثاني : أركان "لا إله إلا الله" .

المطلب الثالث : شروط "لا إله إلا الله" .

المطلب الرابع : نواقض "لا إله إلا الله" .

مَهَيَّنَا : توحيد الألوهية هو معنى شهادة الحق : "أشهد أن لا إله إلا الله" .
ولمّا كان جماع التوحيد ، وأساسه ، وعموده ، هو معرفة معنى شهادة الحق ،
كان من اللازم أن يحرص المسلم على إدراك معناها ، وفهم مرماها ، والعمل بمقتضاها .
ويتضح ذلك في وقفات مع هذه الشهادة ، في المطالب التالية :

المطلب الأول

معنى لا إله إلا الله

توحيد الألوهية ، هو معنى لا إله إلا الله^(١) .

ومعنى "لا إله إلا الله" : "أي لا تعبدوا أحداً إلا الله"^(٢) .

ويزداد هذا المعنى وضوحاً إذا قمنا بإعراب شهادة الحق هذه ، فـ :
لا : نافية للجنس .

إله : اسم "لا" مبني على الفتح في محل نصب . والخير مرفوعٌ مقدّرٌ ، تقديره حقٌّ .
إلا : أداة استثناء . والاستثناء هنا مفرغ .

الله : بدل من لفظ "إله" ، وهو بدل بعض من كلِّ .
والجملة مع خبرها المقدّر : لا إله حقٌّ إلا الله .

وقد تقدّم إن معنى "إله" : معبود . فالجملة على هذا : لا معبود حقٌّ إلا الله ،
أو لا معبود بحقٍّ إلا إله واحد ، وهو الله وحده لا شريك له^(٣) .

ويتضح هذا المعنى حين التفكّر في حال الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، فاستحلّ
دماءهم ، وسبى نساءهم ، وأخذ أموالهم ؛ لقد كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية ؛ يعلمون أنّه
لا خالق لهم ، ولا رازق ، ولا محيي ، ولا مميت ، ولا مُدبّر لأموارهم إلا الله . ومع هذا لم
يُدخلهم ذلك في الإسلام ؛ لأنهم لم يشهدوا "أن لا إله إلا الله" ؛ فعبدوا آلهة مع الله ﷻ .

(١) انظر معارج الصعود إلى تفسير سورة هود للشيخ الشنقيطي ص ٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤١ .

(٣) انظر: تيسر العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٧٣ . وأضواء البيان للشيخ الشنقيطي ٤/٥٠٨ .

المطلب الثاني

أركان "لا إله إلا الله"

"لا إله إلا الله" لها نوعان من الأركان ؛ نوع لفظي ، ونوع معنوي .
 أمّا النوع اللفظي، وهو ما تضمّنه لفظ الشهادة "لا إله إلا الله": فركناه نفي وإثبات؛
 "لا إله": نفي ، و"إلا الله": إثبات .

وأما النوع المعنوي، وهو ما تضمّنه معنى الشهادة "لا معبود بحق إلا الله": فركناه نفي
 وإثبات أيضاً ؛ فـ"لا معبود بحق": نفي ، و"إلا الله": إثبات .

يقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن حبرين: "فلا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات؛
 فنفت الإلهية عن كلّ ما سوى الله تعالى ؛ فكلّ ما سواه من الملائكة ، والأنبياء ، فضلاً عن
 غيرهم، فليس بإله، ولا له من العبادة شيء. وأثبتت الإلهية لله وحده؛ بمعنى أن العبد لا ياله
 غيره ؛ أي لا يقصده بشيء من التأله ؛ وهو تعلق القلب الذي يُوجب قصده بشيء من
 أنواع العبادة ؛ كالدعاء ، والذبح ، والنذر ، وغير ذلك" (١) .

فالنفي إذاً : نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن كلّ ما سوى الله ﷻ .

والإثبات : إثبات الإلهية واستحقاق العبادة لله ﷻ وحده ، لا شريك له (٢) .

وهو معنى قوله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَسُكُوتِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

(١) الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن حبرين ص ٢٢ . وانظر الدين الخالص لصديق

حسن خان ١٨٩/١ .

(٢) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٣٩ .

المطلب الثالث

شروط "لا إله إلا الله"

معنى الشروط في اللغة :

شروط جمع ، مفردها شَرَطَ . والشَّرْطُ : إلزام الشيء ، والتزامُهُ ؛ يُقال : شَرَطَ له أمراً : التزمَهُ ، وشَرَطَ عليه أمراً : ألزمَهُ إيَّاه^(١) .

المراد بشروط "لا إله إلا الله" :

يُراد بشروط "لا إله إلا الله" : الأمور التي يجب على الإنسان أن يلزمها ، حتى يُحقق "لا إله إلا الله" ، أو : ما لا تصحَّ شهادة "لا إله إلا الله" إلا بوجودها ، ويجب اجتماعها . منزلة هذه الشروط من شهادة "لا إله إلا الله" :

هذه الشروط بمثابة الأسنان للمفتاح ، فلا يفتح إلا بوجودها .

وقد أشار إلى ذلك عددٌ من علماء الأمة ، منهم الإمام الحسن البصري رحمه الله ، حين قال للشاعر الفرزدق - وهو يذفن امرأته - : "ما أعددت لهذا اليوم" ؟ قال الفرزدق : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . فقال الحسن : "نعم العدة ، إن لا إله إلا الله شروطاً ، فأنيك وقذف المحصنات"^(٢) .

وقيل لو هب بن مئبِّه رحمه الله: أليس "لا إله إلا الله" مفتاح الجنة؟ فقال: "بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان ففتح لك ، وإلا لم يفتح لك"^(٣) . ذكر شروط "لا إله إلا الله" :

ذكر العلماء لكلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" سبعة شروط ، نظمها بعضهم بقوله^(٤) :

علمٌ ، يقينٌ ، وإخلاصٌ ، وصدقٌ مع
محبةً ، وانقيادٍ ، والقبول لها
وزاد بعضهم شرطاً ثامناً ، ونظمه بقوله :

وزيدٌ ثامنُها الكفرانُ منك بما
سوى الإله من الأنداد قد ألها

ويُمكن بيان هذه الشروط في الوقفات التالية :

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٨٦٩ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٤٧٨ .

(٢) انظر : كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي ص ٣٩ . والدين الخالص لصديق حسن خان ١٥٧/١ .

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب في الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله . وقد وصله في تاريخه ٩٥/١ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦٦/١ .

(٤) انظر الشهاداتتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشَّيخ ابن حجرين ص ٧٧ .

الوقفه الأولى : مع الشرط الأول : العلم المنافي للجهل :

المراد بهذا الشرط :

يُراد بهذا الشرط : أن نعلم معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" ، ومدلولها، علماً منافياً للجهل، في النفي والإثبات ؛ فنفي الألوهية عن غير الله ﷻ ، وتبنيها له وحده ؛ بأن نعلم أنه لا معبود بحق غيره .

من الأدلة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ ﴾ [محمد: من الآية ١٩] .

والعلم هنا لا بُدَّ فيه من إقرار القلب ، ومعرفة بما طُلبَ منه علمُهُ .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: من الآية ٨٦] .

أي : إلا من شهدَ — لا إله إلا الله ، وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم^(١) .

٣- قول رسول الله ﷺ : "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"^(٢) .

الوقفه الثانية : مع الشرط الثاني : اليقين المنافي للشك :

المراد بهذا الشرط :

حتى يكون العلم كاملاً ، يجب أن لا يكون فيه شك ولا ريب ؛ فمن علم أن معنى "لا إله إلا الله" : لا معبود بحق إلا الله ، يجب أن لا يرد على علمه شك ولا ريب ، ويجب أن لا يتردد في الإيمان بمدلولها ، وعليه أن يعتقد صحة ما يقوله من أحقية إلهية الله تعالى ، وبطلان إلهية غير الله ﷻ بأي نوع من التأله .

من الأدلة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] ؛ فاشترط لصدق إيمانهم بالله ورسوله : كونهم

لم يرتابوا ؛ أي لم يشكوا . فعلم أنه لا بُدَّ من البعد عن الشك في معنى "لا إله إلا الله" .

(١) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٤٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة .

٢- قول رسول الله ﷺ: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقي الله هما عبداً غير شاكٍ فيهما إلا دخل الجنة"^(١) .

٣- قول رسول الله ﷺ لأبي هريرة ؓ: "أذهب بنعليّ هاتين ، فمن رأيته وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مُستيقناً بما قلبه ، فبشّره بالجنة"^(٢) .

الوقفه الثالثة : مع الشرط الثالث : القبول المنافي للرد :

المراد بهذا الشرط :

يُراد من هذا الشرط : قبول ما اقتضته هذه الكلمة بالقلب واللسان ، وتجنب ردها ؛ لأن من الناس من يعلم معنى "لا إله إلا الله" ، ويوقن بمدلولها ، ولكنه يردّها كبراً وحسداً ؛ فالمشركون كانوا يعرفون معنى "لا إله إلا الله" ، ولكنهم كانوا يستكبرون عن قبوله ، كما حكى ﷺ ذلك عنهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥] ، وقوله: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَحْجِدُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٣٣]^(٣) .

من الأدلة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] .

٢- قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

٣- قول رسول الله ﷺ: "إن مثل ما بعثني الله به ﷻ من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكفاً والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا ورعوا . وأصاب

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاكٍ فيه ، دخل الجنة .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاكٍ فيه ، دخل الجنة .

(٣) انظر : الشهاداتتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن حجرين ص ٨٠-٨١ .

طائفة منها أخرى ، إنما هي قِيَعَانٌ ، لا تُمَسِكُ مَاءً ، ولا تُثَبِّتُ كَلَأً . فذلك مَثَلٌ من فَقْهٍ في دين الله ، ونفعه بما بعثني الله به ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ . ومَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ بِهِ" (١) .

الوقفه الرابعة : مع الشرط الرابع : الانقياد المنافي للترك :

المراد بهذا الشرط :

الانقياد من مستلزمات القبول . ولعلَّ الفرقَ بينه وبين القبول : أن الانقياد هو الاتباع بالأفعال ، والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول . ويلزم منهما جميعاً الاتباع ، ولكنَّ الانقياد هو الاستسلام والإذعان ، وعدم التعقُّب لشيء من أحكام الله (٢) .

من الأدلة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [لقمان آية ٢٢] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾

[النساء : من الآية ١٢٥] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوهُ ﴾ [الزمر: من الآية ٥٤] .

٤- قول رسول الله ﷺ : " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ" (٣) .

الوقفه الخامسة : مع الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب :

المراد بهذا الشرط :

أن يكون صادقاً في قول "لا إله إلا الله" واعتقاد مدلولها ، صدقاً يُنافي الكذب ظاهراً ،

ويمنع من النفاق باطناً ؛

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب فضل من علم . وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب بيان

مَثَلٌ ما بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ من الهدى والعلم . واللفظ لمسلم .

(٢) انظر الشهادتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن حجرين ص ٨١ .

(٣) انقسم العلماء في هذا الحديث بين مصحِّح ومضعِّف ؛ لأنَّ آفته كما ذكروا هو نعيم بن حَمَاد . فانظر

كلامهم الطويل عن هذا الحديث في : جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/٣٩٣-٣٩٥ . ومشكاة

المصابيح للألباني ١/٥٩ . وظلال الجنة بتخريج السنَّة له ص ١٢ .

فلا يُخالف ظاهره باطنه ، بل يتواطأ ظاهره مع باطنه ، وما في داخل قلبه مع ما يقوله بلسانه ، ويجري على جوارحه من الأعمال . وهذا هو الصدق الذي يمنع من النفاق باطناً . كذلك لا يظهر على جوارحه ما يُناقض ما في قلبه من الاعتقاد بمدلول "لا إله إلا الله" ومقتضاها ، واليقين به . وهذا هو الصدق الذي يُباني الكذب ظاهراً .

من الأدلة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ اَلَمْۤ اَحْسَبِ النَّاسَ اَنْ يُّسْرِكُوْا اَنْ يَقُوْلُوْا اَمَّا وَّهُمْ لَا يَفْتَنُوْنَۙ * وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِيْنَۙ ﴾ [العنكبوت: ١-٣] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ اِذَا جَاءَكَ الْمُتَافِقُوْنَ قَالُوْا نَشْهَدُ اِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللّٰهِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّكَ لَرَسُوْلُهُ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّ الْمُتَافِقِيْنَ لَكٰذِبُوْنَۙ ﴾ [المنافقون: ١] ؛ فالمنافقون يقولون بألسنتهم ، لكنهم يُنكرون مدلول الشهادة بقلوبهم . لذلك حكم الله عليهم بالكذب ، وبأن مجرد القول باللسان لا يُنجيهم ، بل هم في الدرك الأسفل من النار .

٣- قول رسول الله ﷺ : " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه ، إلا حرمه الله على النار " (١) .

٤- حين علم رسول الله ﷺ الأعرابي شرائع الإسلام ، وقال له الأعرابي : والله لا أزيد عليها ، ولا أنقص منها ، قال رسول الله ﷺ : " أفلح إن صدق " (٢) .

الوقفه السادسة : مع الشرط السادس : الإخلاص المنافي للشرك :

المراد بهذا الشرط :

يُراد بهذا الشرط : تصفية القلب وتخليصه من كل ما يُضاد معنى "لا إله إلا الله" ، وتصفية العبادة ، وتخليصها من شوائب الشرك والرياء . والإخلاص أن تكون العبادة لله وحده ، دون أن يُصرف منها شيء لغير الله ﷻ ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل (٣) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من خصّ بالعلم قرماً دون قوم .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الزكاة من الإسلام . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب

بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام .

(٣) انظر الشهاداتتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن حجرين ص ٨٣-٨٤ .

من الأدلة على هذا الشرط :

- ١- قول الله ﷻ : ﴿أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: من الآية ٣] ؛ أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له .
- ٢- قول الله ﷻ : ﴿وَمَا أَسْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاءَ﴾ [البينة: ٥] .
- ٣- قول رسول الله ﷺ : "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مِنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ" (١) .
- ٤- قول رسول الله ﷺ : "أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ" (٢) .

الوقفه السابعة : مع الشرط السابع : الحب المنافي للبغض :

المحبة هي مواطأة القلب على ما يرضي الله ﷻ ؛ فيحب ما أحب الله ، ويكره ما كرهه .
المراد بهذا الشرط :

- أن يُحب هذه الكلمة ، ويُحب العمل بمقتضاها ، ويحب أهلها العاملين بها .
ومن هنا قيل : "كلُّ من ادَّعى محبة الله ، ولم يُوافق الله في أمره ، فدعواه باطلة" (٣) .
و"ليس بصادق من ادَّعى محبة الله ، ولم يحفظ حدوده" (٣) .
فالعبد يُحب الله ﷻ ، ويُحب رسوله ﷺ ، ويُحب كلَّ ما يُحبه من الأعمال والأقوال ،
ويُحب أوليائه وأهل طاعته (٤) .
ومتى استقرت كلمة "لا إله إلا الله" في القلب ، فأثمه لا يفضل عليها شيء ؛ إذ حبها يملأ القلب ، فلا يتسع لغيرها ، وعندئذ يجد العبد حلاوة الإيمان .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب المساجد في البيوت ، ، وكتاب الرقاق ، باب العمل الذي ابتغي به وجه الله .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .

(٣) ذكره ابن رجب الحنبلي في كتاب التوحيد ص ٦١ .

(٤) انظر الشهاداتتان : معناها ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن حجرين ص ٨٤ .

من الأدلة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: من الآية ١٦٥]. وللمفسرين في أفعال التفضيل "أشدُّ حُبًّا لله" قولان : أحدهما : الذين آمنوا أشدَّ حُبًّا لله من حبَّ المشركين لله ؛ لأنَّ محبة المؤمنين خالصة ، ومحبة المشركين مشتركة .
وثانيهما : الذين آمنوا أشدَّ حُبًّا لله من محبة المشركين لأناداهم (١) .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [التائدة: من الآية ٥٤] ؛ فالله يُحبُّهم بسبب تمسكهم بدينه وشرعه ، وهم يُحبُّونه ، ويمثلون أوامره ، ويمتثلون نواهيه .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]. يقول الحسن البصري رحمه الله عن هذه الآية: "قال أصحاب النبي ﷺ : يا رسول الله إنا نُحبُّ ربنا حُبًّا شديداً ، فأحبَّ الله أن يجعل لحبه علماً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية" (٢) .

٤- قول رسول الله ﷺ : "ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ مِنْ حِلَاوَةِ الْإِيمَانِ : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما ، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبُّه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النَّار" (٣) .

واجتماع هذه الشروط يُحقِّق حلاوة الإيمان ؛ فيستلذَّ العبد الطاعات ، ويمتثل المشاقَّ ، إذا كان ذلك في سبيل رضا الله ﷻ ، ورضا رسوله ﷺ .

(١) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣٥٩/٢ . .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٧/٢-١٧٨ ، وعزاه إلى ابن جرير ، وابن المنذر عن الحسن البصري .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان

خصال من اتصف بمنَّ وجد حلاوة الإيمان .

الوقفه الثامنة : مع الشرط الثامن : الكفر بما يُعبد من دون الله :

المراد بهذا الشرط :

أن يُعتقد بطلان عبادة مَنْ سوى الله ﷻ، وأن كلَّ المعبودات سوى الله باطلة، وُجِدَتْ نتيجة جهل المشركين وضلالهم. فمن أفرَّهم على شركهم، أو شكَّ في بطلان ما هم عليه، فليس بموحَّد، ولو قال لا إله إلا الله، ولو لم يعبد غير الله^(١).

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رحمه الله عن الكفر بما يُعبد من دون الله : "وهذا من أعظم ما يُبَيَّن معنى لا إله إلا الله ؛ فإنه لم يجعل التلقُّظ بما عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيفَ إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله . فإن شكَّ أو توقَّف لم يحرم ماله ولا دمه ..."^(٢).

من الأدلة على هذا الشرط :

١- قول الله ﷻ : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٢- قول رسول الله ﷺ : "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، حَرَّمَ

مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ"^(٣).

وبعد : فهذه هي شروط "لا إله إلا الله" ، ولا بُدَّ من اجتماعها ، والمداومة عليها

كي يُختتم للعبد بخاتمة حسنة ؛ لأن الأعمال بالخواتيم .

فمَنْ حَقَّقَ المسلم هذه الشروط ، كان من أهل "لا إله إلا الله" القائمين بها علماً وعملاً ،

واستحقَّ محبة الله وثوابه ، والتنعَّم في جنَّات النعيم^(٤).

(١) انظر الشهاداتتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن حجرين ص ٧٨ .

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهَّاب ص ٣٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال النَّاسِ حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٤) انظر للاستزادة عن هذه الشروط : تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله لعبيد الجابري .

المطلب الرابع نواقض "لا إله إلا الله"

النواقض لغة :

النواقض جمع ، مفردة ناقض . يُقال : نَقَضَ الشَّيْءُ نَقْضًا : أفسده بعد إحكامه . وَنَقَضَ مَا أْبْرَمَهُ فَلَانٌ : أبطله . فَالْتَّقَضُ ضِدُّ الْإِبْرَامِ ، ومنه نقض العهد أو اليمين : نكثه ، ونقض الحبل أو الغزل : حل طاقاته ، ونقض البناء : هدمه^(١) .

المراد بنواقض "لا إله إلا الله" :

يُراد بنواقض "لا إله إلا الله" مُفْسِدَاتُهَا ؛ أي الأمور التي إذا فعلها الشخص ، فَسَدَتْ تَوْحِيدُهُ وانتقض^(٢) . فإذا وُجِدَ فِي الْعَبْدِ نَاقِضٌ مِنْ نَوَاقِضِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَكْتَسِبُ أَحْكَامَهُمْ ، بَلْ يُعْطَى أَحْكَامَ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ .

ذكر نواقض "لا إله إلا الله" :

تَنَوَّعَتْ طَرَائِقُ الْعُلَمَاءِ فِي ذِكْرِ هَذِهِ النِّوَاقِضِ ، وَتَقْسِيمَاتِهَا ، وَتَفْرِيْعَاتِهَا . وَتَمَّةٌ تَقْسِيمَاتٍ مُتَعَدِّدَةٌ ، وَكُلُّهَا صَحِيحَةٌ . وَلَكِنِّي سَأَكْتَفِي بِالنِّوَاقِضِ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رِسَالَتِهِ الْمَوْسُومَةِ بِـ "نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ"^(٣) . وَهَذِهِ النِّوَاقِضُ عَشْرَةٌ ، وَالْحَدِيثُ عَنْهَا سَيَكُونُ فِي الْوَقْفَاتِ التَّالِيَةِ :

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٥١ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٨٤٦ . ولسان العرب

لابن منظور ٢٤٢/٧ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٩٤٧ .

(٢) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٩ .

(٣) هذه الرسالة مطبوعة ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قسم العقيدة والآداب ، ص ٣٨٥-٣٨٧ .

الوقفه الأولى : مع الناقض الأول : الإشراف بالله^(١) :

المراد بهذا الناقض :

يقع هذا الناقض إذا صرّف الإنسان شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ ؛ من صلاة ، أو زكاة ، أو ذبح ، أو نذر ، أو نحو ذلك .

يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - : "الشرك هو تشريك غير الله مع الله في العبادة ؛ كأن يدعو الأصنام أو غيرها ، أو يستغيث بها ، أو ينذر لها ، أو يصلي لها ، أو يصوم لها ، أو يذبح لها ..."^(٢) .

ومن العبادة : النذر ، فمن صرّفه لغير الله فقد أشرك . يقول الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله - : "إن الله تعالى مدح الموفين بالنذر ، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب ، أو ترك محرّم ، لا يمدح على فعل المباح المجرد ، وذلك هو العبادة . فمن فعل ذلك لغير الله متقرباً إليه ، فقد أشرك"^(٣) .

من الأدلة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمِمَّا لَطَمِينَ مِنْ أَنْصَارِهِ ﴾ [المائدة: من الآية ٧٢] ؛ فالله ﷻ قد حرّم الجنة على كلّ مشرك ، وجعل النار مأواه الدائم ؛ لأنه ترك القيام بعبوديته ﷻ^(٤) .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيُغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦] ؛ فـ "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ"^(٥) ، كما قال الصادق المصدوق ﷺ .

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصلاً في الباب الثاني من هذا الكتاب .

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٣٢/٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٢٠٣ .

(٤) انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٩١ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار .

الوقف الثانية : مع الناقض الثاني : مَنْ جعل وسائط وشفعاء بينه وبين الله ، يدعوهم مع الله ، أو من دون الله ، أو يسألهم الشفاعة ، أو يتوكل عليهم ^(١) :
المراد بهذا الناقض :

أن يجعل العبد لنفسه واسطةً بينه وبين الله ﷻ ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أو فيما لا يُشرع ولا يجوز للعبد أن يجعله واسطة ؛ كطلب الرحمة والمغفرة ، ودخول الجنة ، وطلب الشفاء ، والرزق من غير الله ﷻ . فهذا من الشرك الأكبر ^(٢) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا الناقض : "فَمَنْ جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ؛ مثل أن يسألهم غفران الذنوب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكرب ، وسدّ الفاقات ، فهو كافر بإجماع المسلمين" ^(٣) ؛ لأن الثمرة التي يُريد أن يصل إليها من يُجيز جعل الوسائط بين العبد وربّه ، هو إثبات الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . وهذا هو الشرك بعينه ^(٤) .
من الأدلة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دَعْوَاهُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الاحقاف: ٥] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَتَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَالِقَهُ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد: ١٤] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ عِدَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر: ٤٠] .

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصلاً في الباب الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) انظر تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد بن محمد القحطاني ص ٤٤ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٢٤ .

(٤) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٣٧ .

الوقفه الثالثة : مع الناقض الثالث : عدم تكفير المشركين ، أو الشك في كفرهم ، أو تصحيح مذهبهم^(١) .

المراد بهذا الناقض :

أمر الله ﷻ رسوله ﷺ في آيات كثيرة بالبعد عن الكفار والمشركين ، والمخالفة لهم ، والبراءة منهم . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٤١] ، وقال ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .
و"مسألة الحكم بتكفير الكافر مبنية على أصل كبير ؛ وهو أن الله تعالى عقد الأخوة والموالاتة والمحبة بين المؤمنين كلهم ، ونهى عن موالاتة الكافرين كلهم ، ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم"^(٢) .

فـ"من لم يكفر المشركين الذين كفرهم وشركهم ظاهر بين" ، فهو كافر ؛ لأن الله تعالى كفرهم في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، فلا يحكم بإسلام المرء حتى يكفر المشركين"^(٣) .
من الأدلة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ٢٣] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ ﴾ [المتحنة: من الآية ١] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: من الآية ٢٢] .

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض مفصلاً في الباب الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواصي ص ٥١ .

(٣) تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد بن محمد القحطاني ص ٥٣ .

الوقفه الرابعة : مع الناقض الرابع : من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه .

المراد بهذا الناقض :

من اعتقد أن هناك ديناً أحسن من الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ ، أو هدياً أكمل من هديه ﷺ ، أو حكماً أفضل من الحكم الذي أتى به من عند ربه ﷻ ، فقد كفر ؛ لأنه كذب ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ فالله ﷻ يقول : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الاسراء: ٩] ، ويقول ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] ، ويقول رسول الله ﷺ : "... وخير الهدى هدى محمد" (١) .

يقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : " من اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه ، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند النزاع ؛ إمّا مطلقاً ، أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغيّر الأحوال ، فلا ريب أنه كفر ؛ لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان ، وصرف نخالة الأفكار ، على حكم الحكيم الحميد" (٢) .

من الأدلة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] ؛ فالله ﷻ طلب من عباده الاحتكام إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ عند وقوع النزاع .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَزَغْنَا أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠] ؛ فأخبر ﷻ أن الاحتكام إلى غير كتابه وسنة نبيه ﷺ إضلال من الشيطان ، وهو من صنيع المنافقين : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ مَرَأَتْ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١] .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] ؛ فنفى الإيمان عمّن لم يرض بحكم الله ﷻ .

(١) تقدّم تخريجه ص ٥ .

(٢) رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم ص ١٤ .

الوقفه الخامسة : مع الناقض الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ .

المراد بهذا الناقض :

بُغْضُ وكرهية الحق من صفات الكفار، كما قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرُ هُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: من الآية ٧٠] ، وهو أيضاً من صفات المنافقين الذين قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَلَا يَنْتَعُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: من الآية ٥٤] .

فمن أبغض وكره ما شرعه الله ﷻ، أو أبغض وكره التكاليف الشرعية - من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها- ، وتمنى أن الله لم يكلفها ، فهذا لا شك في كفره ؛ لأن في صنيعه تركاً للقبول والانقياد والتسليم التي تقدم الحديث عن أنها من شروط لا إله إلا الله (١) .
ولذلك كفر العلماء من أتصف بهذه الصفة ، وقالوا : "تكفير هذا معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام ، والقرآن مملوءٌ من تكفير مثل هذا النوع.." (٢) .

من الأدلة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [عند: ٩] ؛ فهو لاء كرهوا ما أنزل الله من القرآن - رهو ما جاء به النبي ﷺ- ، فلم يقبلوه، بل أبغضوه، ورفضوه، فأحبط الله أعمالهم ، والأعمال لا تحبط إلا بالكفر الذي يناقض الإيمان .

٢- قول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: من الآية ٦٣] . ولا ريب أن من أبغض ما جاء به رسول الله ﷺ مخالفٌ لأمره عليه الصلاة والسلام .

٢- قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما- : "من ترك السنة كفر" (٣) . وقوله ﷻ محمولٌ على الترك مع البُغض والجحود ، أو على ترك منهج النبي ﷺ وطريقته التي أوجب على أمته سلوكها (٤) .

(١) انظر تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام للقطاني ص ٦٩ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٥٢٢ .

(٣) ذكره ابن بطة العكبري في الشرح والإبانة ص ١٢٣ .

(٤) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ٦٨-٦٩ .

الوقفه السادسة : مع الناقض السادس : مَنْ استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ ، أو ثوابه ، أو عقابه .

المراد بهذا الناقض :

من يجرأ بكلام فيه غضٌ من دين الله ، أو تنقُص له ، أو استهزاءً به ، أو تنقُص لرسول الله ﷺ ، أو استهزاءً به ، كفر بإجماع علماء المسلمين^(١) .

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله - : "ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك ؛ فمن استهزأ بالله ، أو بكتابه ، أو برسوله ، أو بدينه، كفر - ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء - إجماعاً"^(٢) .

ويقول الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله - : "اعلم أن العلماء قد أجمعوا على أن من استهزأ بالله ، أو رسوله ، أو كتابه ، فهو كافرٌ ، وكذا إذا أتى بقولٍ أو فعلٍ صريح في الاستهزاء"^(٣) .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله : "فإن الاستهزاء بالله ورسوله كفرٌ مخرجٌ عن الدين ؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله ، وتعظيم دينه ، ورسوله . والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل ، ومناقض له أشدَّ المناقضة"^(٤) .

من الأدلة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَكَذَلِكَ سَأَلْنَاهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَقْتَدِرُوا قُدْرَتَهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

(١) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٥١٣ .

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٦١٧ . وانظر : روضة الطالبين للنووي ٦٤/١٠-٦٥ .

والروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق حسن خان ٢/٢٩٣ . وفتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ١٩٣ .

(٣) الدرر السنوية في الأحوبة النجدية - لعدد من العلماء - ٤٢٨/١٠ .

(٤) تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام الثمان لابن سعدي ٢٥٩/٣ .

هاتان الآيتان حكمتا بكفر المستهزئين بالله ، أو بدينه ، أو بكتابه ، أو برسوله ، ولنزولهما سبباً ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عمر -رضي الله عنهما- ، وفيه : "أن رجلاً قال في غزوة تبوك ، في مجلس : ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء ، أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبين عند اللقاء . فقال رجلٌ في المجلس : كذبت ، ولكنتك منافق ، لأخسبرن رسول الله ﷺ . فبلغ ذلك النبي ﷺ ، ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيته متعلقاً بحَقَبِ (١) ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة (٢) ، وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب . ورسول الله ﷺ يقول : ﴿ أَللَّهِ وَآيَاتِهِ وَمَرْسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ * لا تَقْتَدِرُوا قَدَافِكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ (٣) .

فدلّت هاتان الآيتان على كفر المستهزئ بالله ﷻ ، أو بآياته ، أو برسوله ﷺ .

فائدة : سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : هل تنطبق الآيتان السابقتان على الذين يسخرون ويستهزئون بالذين يعفون لحاهم ، ويلتزمون بدين الله ؟ فأجاب رحمه الله : " هؤلاء الذين يسخرون بالذين يلتزمون بدين الله ، المتفذين لأوامره ، إذا كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشرع ، فإن استهزاءهم بهم استهزاء بالشرعية ، والاستهزاء بالشرعية كفرٌ . أمّا إذا كانوا يستهزئون بهم ، يعنون أشخاصهم -بقطع النظر عما هم عليه من اتباع السنة في الثياب واللحية- ، فإنهم لا يكفرون بذلك ؛ لأن الإنسان قد يستهزئ بالشخص نفسه ، بغض النظر عن عمله وفعله . لكن يجب على كل إنسان أن يحذر من الاستهزاء بأهل العلم ، أو الاستهزاء بأهل الدين الذين يتمسكون بما دلّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (٤) .

(١) حَقَبِ الناقة : الحزام الذي يلي حَقْوِ البعير . أو هو حيلٌ تُشدُّ به الحقيبة (المعجم الوسيط ص ١٨٧) .

(٢) أي تُذمِّيها (المعجم الوسيط ص ٩٥٠) .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ٤٠٩/٦ . وإسناده لا بأس به . وانظر مجموع فتاوى

شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧٢/٧-٢٧٣ . والحذر بمعرفة أن من هزا بالدين كفر لجمال الدين باش ٢٢١-٣٣ .

(٤) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ١٩٦ . وانظر المرجع نفسه ص ١٩٧ .

الوقفة السابعة : مع الناقض السابع : السَّحْرُ ، ومنه الصرفُ والعطفُ^(١) .
السحر من نواقض "لا إله إلا الله" .

ومن السحر أدوية وعقاقير وعُقَدٌ وطلاسم تُؤثِّرُ على بدن المسحور فتجده ينصرف عن زوجته "الصرف" ؛ فيُغضها ويُغض بقاءها معه . أو يعطف قلبه ويميل نحو زوجته أو امرأة أخرى "العطف" ؛ حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء^(٢) .

والدليل على هذا الناقض ، قول الله ﷻ : ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَلَّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سَلِيمَانَ وَمَا كَفَرَ سَلِيمَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْتَرُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَوَجْهِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَبْضُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

الوقفة الثامنة : مع الناقض الثامن : مظاهره المشركين ، ومعاونتهم على المسلمين .
المراد بهذا الناقض :

المقصود من مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين : أن يتخذ البعض الكفار والمشركين أولياء ؛ فيكونوا لهم أنصاراً وأعواناً ضدَّ المسلمين ، وينضمون إليهم ، ويدبُّون عنهم بالمال والسنان والبيان . فهذا كفرٌ يناقض الإسلام .
والله ﷻ هُنا في آيات كثيرة أن تتخذ الكفار والمشركين أولياء .
ومن معاني هذه الولاية التي نُهينا أن نصرِفها لهم : المحبَّة ، والمودَّة الدينيَّة ، والنُّصرة ، والتأييد على المسلمين^(٣) .

(١) سيأتي الحديث عن هذا الناقض بالتفصيل في الباب الثالث من هذا الكتاب .

(٢) انظر : شرح نواقض التوحيد لحسن عواحي ص ٧٨-٨٧ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ٧٩-٨٤ .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/١٦٠-١٦١ .

من الأدلة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّوَعَّا مِنْهُمْ نِقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ؛ أي لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظهراً وأنصاراً ثوالوهم على دينهم، وتظاهر بهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلّوهم على عوراتهم ؛ فإنّه من يفعل ذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر . إلا أن تكونوا في سلطاهم ، فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمرّوا لهم العداوة ، ولا تُشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولا تُعينوهم على مسلم بفعل^(١) .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] ؛ أي لا تتخذوا أيها المؤمنون اليهود والنصارى أولياء، ومن يفعل ذلك منكم فإنّه منهم؛ لأن "التوليّ التام يُوجب الانتقال إلى دينهم، والتوليّ القليل يدعو إلى الكثير ، ثم يتدرّج شيئاً فشيئاً ، حتى يكون العبد منهم"^(٢) .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ؛ فأخبر ﷻ أن المؤمن -الذي لا بُدَّ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما- لا تجده موادّاً لمن حادَّ الله ورسوله ؛ فإن هذا جمع بين ضديّين لا يجتمعان ، ومحبوبُ الله ، ومحبوب معاديه لا يجتمعان^(٣) .

٤- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَتَّخِذُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المتحة : ٩] ؛ فأخبر ﷻ أن من يفعل ذلك -أي من يتولى الكفار- فإنّه ظالم ، "وذلك الظلم يكون بحسب التوليّ ، فإن كان تولى تاماً ، كان ذلك كفراً مُخرجاً عن دائرة الإسلام"^(٤) .

(١) انظر جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ٢٢٧/٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٠٤/٢ .

(٣) انظر قاعدة في المحبة لابن تيمية ص ٨٩-٩٠ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٥٧/٧ .

الوقفة التاسعة : مع الناقض التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعُّ الخروج عن شريعة محمد ﷺ ، كما وسع الخضر عليه السلام الخروج عن شريعة موسى عليه السلام .
المراد بهذا الناقض :

يعتقد البعض أن بالإمكان الخروج عن شريعة نبينا محمد ﷺ ومخالفته ، والاستغناء عن متابعتها في عموم أحواله أو بعضها ، زاعمين أن في قصة الخضر عليه السلام حجة لهم (١) .
ولا ريب أن هذا الاعتقاد كفرٌ مُخرجٌ عن الملة . يقول الشيخ موسى بن أحمد المقدسي :
"من اعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ ، أو لا يجب عليه أتباعه ، أو أن له أو لغيره خروجاً عن أتباعه وأخذ ما بُعث به ، أو قال : أنا مُحتاجٌ إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة . أو قال : إن من الأولياء من يسعُّ الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ، أو أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديهِ ، فهو كافر" (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد ﷺ كما كان الخضر مع موسى عليه السلام ، فإنه يُستتاب ، فإن تاب ، وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ" (٣) .
وقصة الخضر مع موسى قصتها الله علينا (٤) ، وفيها : خرَّق الخضر للسفينة ، وقتله للغلام ، وإقامته للجدار . وقد زعم المحتجون بها أن الخضر خالف موسى عليه السلام وخرج عن شريعته ، وعسن الأمر والنهي الشرعيين . قالوا : وكذلك يسوغ لبعض الناس الخروج عن الشريعة النبوية كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى عليه السلام (٥) .
ومزاعمهم هذه مردودة عليهم من وجوه (٦) :

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٢/١١ .

(٢) الإقناع لطالب الانتفاع لموسى المقدسي ٢٨٧/٤-٢٨٨ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٢/٣ .

(٤) في سورة الكهف ، الآيات ٦٠-٨٢ .

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٠/١١ .

(٦) ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٦٣/١١ .

١- إن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان على الخضر اتباعه ، بل كان مبعوثاً إلى قومه خاصة؛ إلى بني إسرائيل، والخضر عليه السلام ليس من بني إسرائيل. وموسى عليه السلام قَصَدَ الخضر للتعلُّم منه ، والأخذ عنه، وحين لقيه قال له : "أتيتك لتعلمني ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا"^(١) . فلا يُقاس عليه رسولنا ﷺ الذي أرسله الله لجميع الثقلين ؛ الجن والإنس، كما قال ﷺ : "وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثتُ إلى النَّاسِ عامَّةً"^(٢) . ولا يُعتبر صنيع الخضر عليه السلام خروجاً على شريعة موسى عليه السلام . أمَّا من خالف رسول الله ﷺ ، ولم يُطعه في كلِّ ما أمر، أو ينته عمَّا نهى عنه وزجر ، فهو من أُمَّته ، ولا يجوز له مخالفته ، فإن فعل ، فهو خارجٌ عن شريعته عليه الصلاة والسلام لا محالة .

٢- إن قصَّة الخضر عليه السلام ليس فيها مخالفة للشريعة ، بل ما فعله عليه السلام يُباح في الشريعة إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر عليه السلام . ولهذا لمَّا بيَّن الخضر لموسى أسبابها ، وافقه موسى عليه السلام على ذلك ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفاً لشريعة موسى ، لما وافقه بحال^(٣) . أمَّا هذا الذي يُريد الخروج على شريعة محمد ﷺ ، فهو مخالفٌ لشريعته . ويتضح ذلك في الوجه الثالث .

٣- إن ما فعله الخضر عليه السلام كان عن وحي من الله ﷻ ، وليس مجرد خيال أو إلهام . وهذا لا يُمكن أن يكون لأحد بعد رسولنا ﷺ ؛ خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بموته انقطع الوحي . ومن ادَّعى حصوله كفر^(٤) .

إذاً : لا يجوز الخروج على شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بحال ، ومن فعل ذلك ، فهو كافرٌ مرتدٌ ، وهو من أعظم النَّاسِ كفرًا^(٥) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التيمُّم ، باب ١ ، حديث رقم ٣٣٦ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٣/١١ . وشرح نواقض التوحيد لحسن عواجي ص

١٠٠-١٠١ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ١٠٠ .

(٤) انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص ١٣٢ .

(٥) انظر إيغاة اللهفان من مصاديد الشيطان لابن قيم الجوزية ١٢٣/١ .

الوقفه العاشرة : مع الناقض العاشر : الإعراض عن دين الله ، فلا يتعلمه ، ولا يعمل به .

المراد بهذا الناقض :

الإعراض التام عن دين الله ﷻ ، والتولي عن طاعة رسول الله ﷺ ، والامتناع عن الأتباع ، والصدود عن قبول حكم الشريعة ؛ فلا إرادة له في تعلم الدين ، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه^(١) ، ويُعرض إعراضاً كلياً عن جنس العمل الظاهر "الطاعة أو الاتباع" . والإعراض التام الكلي لا يقع إلا ممن تمكن من العلم ومعرفة الحق ، وتمكن من العمل ، فأعرض ، وفرط ، وترك ما أوجبه الله عليه ، من غير عذر . فهذا وأمثاله مفرط بإعراضه عن أتباع داعي الهدى . فإذا ضل ، فإتماً أتى من تفریطه وإعراضه^(٢) .

ويجب أن يُعلم أن الإعراض ليس كله ممّا يُخرج من الملّة ، بل الذي يُكفر بتركه هو الإعراض عن تعلم الإيمان العام المحمل ، والإعراض عن جنس العمل الذي يُعدُّ شرطاً في صحّة الإيمان^(٣) ، فهذا هو الذي يكفر فاعله لأنّه لم يتعلم دين الله ، ولم يعمل به .

يقول العلامة ابن القيم عن الإعراض عن تعلم الإيمان المحمل الذي يُدخل صاحبه في دائرة الإسلام : "والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بالله وبرسوله ، وأتباعه فيما جاء به . فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم ، وإن لم يكن كافراً مُعانداً ، فهو كافراً جاهلاً"^(٤) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإعراض عن العمل : "وقد تبين أن الدين لا بُدَّ فيه من قول وعمل ، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه ، أو بقلبه ولسانه ، ولم يؤدِّ واجباً ظاهراً ، ولا صلاة ، ولا زكاة ، ولا صياماً ، ولا غير ذلك من الواجبات"^(٥) .

(١) انظر : طريق المهجرين وباب السعادتین لابن قيم الجوزية ص ٤١٢-٤١٣ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ١٠٢ .

(٢) انظر : مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ٤٣/١ . والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١٧/٣ .

(٣) انظر : شرح نواقض الإسلام لحسن عواجي ص ١٠٥ . وتيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد القحطاني ص ١٠٢-١٠٣ .

(٤) طريق المهجرين وباب السعادتین لابن قيم الجوزية ص ٤١١ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٢١/٧ .

من الأدلة على هذا الناقض :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [النور: ٤٧-٤٨] ؛ "فنفى الإيمان عمَّن تولَّى عن العمل ، وإن كان قد أتى بالقول" (١) .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢] ؛ فدلَّ على أن من تولَّى عن طاعة الله ﷻ ، وطاعة رسوله ﷺ ، فهو كافر (٢) .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ مَرَّاتٍ مَثَابَعٍ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١] ؛ "فبين سبحانه أن من تولَّى عن طاعة الرسول ﷺ ، وأعرض عن حكمه ، فهو من المنافقين ، وليس بمؤمن" (٣) .

٤- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] ؛ فأخبر ﷻ أن المعرضين في معيشة ضنك ، وضيق ، وأنهم يُحشرون يوم القيامة عمياً .

خاتمة النواقض :

حتمَّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رحمه الله مبحث النواقض بقوله : "ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل ، والجاد ، والخائف ، إلا المكره . وكلها من أعظم ما يكون خطراً ، ومن أكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ، ويخاف منها على نفسه . نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ، وصلى الله على محمد" .

وكلامه - رحمه الله - بعدم التفريق بين الهازل والجاد في محله ، ويُمكنك إدراكه إذا تأملت في سبب نزول الآية ﴿ لَا تَتَذَمُّوهُمُ وَقَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ؛ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزاح واللعب . نسأل الله أن يعصمنا بالتقوى إنه سميع مجيب .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٢/٧ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣٣٨/١ .

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٣٣ .

المبحث الثاني

العبادة . وأنواعها . وأركانها

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى العبادة لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : مفهوم العبودية الشامل في ضوء النصوص الشرعية .

المطلب الثالث : أنواع العبادة .

المطلب الرابع : أركان العبادة .

المطلب الأول

معنى العبادة في اللغة والاصطلاح

العبادة لغة :

العبادة في اللغة : الذلُّ والخُضوعُ . يُقال : عبَدَهُ : ذلَّه . وعبَدَ الطريقَ ، وعبَدَ البعيرَ .
ويُقال : عبَدَ اللهَ عبادةً ، وعبوديةً : انقاد له ، وخضعَ ، وذلَّ^(١) .

يقول الشاعر طرفة بن العبد في معلقته المشهورة ، يصف ناقته :

تباري عناقاً ناجيات وأتبع
وظيفاً وظيفاً فوق مور مُعبَدٍ^(٢)
ومور مُعبَدٍ : أي ترابٍ مُمهَّدٍ مُذللٍ^(٣) .

العبادة اصطلاحاً :

والعبادة في الاصطلاح : اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبهُ اللهَ ويرضاه ، من الأقوال والأعمال
الباطنة والظاهرة^(٤) .

وهي تتضمن غاية الذلِّ لله تعالى ، بغاية المحبة له ﷻ ؛ فمن خضعَ لإنسان مع بُغضه له لا
يكون عابداً له ، ولو أحبَّ شيئاً ولم يخضع له لم يكن له عابداً؛ كما قد يُحبُّ ولده وصديقه^(٥) .
فالعبادة -إذاً- تتضمن غاية الحبِّ ، مع غاية الذلِّ ، كذا عرفها العلامة ابن القيم بقوله:
وعبادةُ الرحمن غايةُ حبهُ مع ذلِّ عابده ، هما قُطبان^(٦)

فهي في مفهومها العام تعني : "التذلُّلُ لله محبةً وتعظيماً ، بفعل أو امره ، واجتناب
نواهيه ، على الوجه الذي جاءت به شرائعه"^(٧) .

والله ﷻ أحبُّ إلى عبده المؤمن من كلِّ شيء ، وأعظم عنده من كلِّ شيء .

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٤٠٦ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٥٧٩ .

(٢) انظر شرح المعلقات العشر للزوزني ص ٩٧ .

(٣) انظر أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٠٧ .

(٤) انظر العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٣ .

(٥) انظر المصدر نفسه ص ٣٣-٣٤ .

(٦) انظر النونية لابن القيم -بشرح المرآة- ٩٥/١ .

(٧) المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ٢٥/٢ .

المطلب الثاني

مفهوم العبودية الشامل في ضوء النصوص الشرعية

سبق أن ذكرنا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للعبادة ، بأنها : "اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة" .

فالعبادة على هذا لا تقتصر على أركان الإسلام فحسب؛ من صلاة، وصيام، وزكاة ، وحج . بل إن الإسلام أسبغ على أعمال الإنسان كلها صفة العبادة ، إذا تحقق فيها شرطاً قبول العمل ، وهما^(١) :

أولاً : الإخلاص ؛ بأن يكون العمل خالصاً لوجه الله الكريم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَسْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاءَ ﴾ [البينة: من الآية٥] . فينوي العبد أن يكون عمله ، وقوله ، وإعطاؤه ، ومنعه ، وحبّه ، وبُغضه لله وحده ، لا شريك له ؛ إذ الأعمال لا تقوم إلا بالنيّات ، كما قال ﷺ : "إنما الأعمال بالنيّات"^(٢) ؛ فالنيّة تتحكّم في العمل ، وتقلبه إلى عبادة .

ثانياً : المتابعة ؛ بأن يكون العمل على منهاج رسول الله ﷺ ، وهديه القويم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: من الآية٧] . فالأعمال لا اعتبار لها إلا إذا كانت على الوجه الذي رسمه الشرع . روت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ ، فَهُوَ رَدٌّ"^(٣) . وكلّ عمل بلا متابعة ، فإنّه لا يزيد عامله إلا بُعداً من الله ؛ فإنّ الله ﷻ إنّما يُعبد بأمره ، لا بالأهواء ، ولا الآراء .

والمسلك الحسن ليس في إخلاص العمل لله ﷻ فحسب ، ولا في متابعة الرسول ﷺ فقط ، بل في مجموعهما معاً ، فإنّ الله ﷻ ذكر العمل الصالح ، فقال : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ جَاهِلًا فَسْأَلْ سَأَلَةَ الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّىٰ يَعْلَمَ صَاحِبًا وَمَا كَتَبَ عَلَيْهِمْ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: من الآية١١٠] ، والعمل الصالح هو الخالص الصواب ، فإذا جمع العمل هذين الشرطين ، كان عبادة .

(١) انظرهما في كتاب : تجريد التوحيد المفيد للمقرئ ص ٨٨-٨٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ . وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : "إنما الأعمال بالنيّة" .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على جور ، فالصلح مردود . وصحيح مسلم ، كتاب الأفضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، وردّ محدثات الأمور .

والعبادة تتعدد وتتوَّع لتشمل حياة الإنسان المسلم كلها. وفي هذه الأمثلة بيانٌ لذلك:

١- الله ﷻ لم يقصر وصف الصلاح على العبادات المخصوصة ، بل جعله شاملاً لأعمال أخرى. يقول ﷻ : ﴿ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّبَلَا إِيَّاكَ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُتَّقُونَ نَفَقَةً صَعْبَةً وَلَا كِبْرَةً وَلَا يَقَطِّعُونَ أَوْدِيًا إِيَّاكَ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١].

٢- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله! ذهب أهل الذنور بالأجر، يُصلُّون كما نُصَلِّي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم . قال ﷻ : "أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به : إن بكلِّ تسيحة صدقة ، وكلِّ تكبيرة صدقة ، وكلِّ تحميدة صدقة ، وكلِّ تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة . وفي بُضْع أحدكم صدقة" . قالوا : يا رسول الله ! أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال ﷻ : "أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه فيها وزرٌ ، فكذلك إذا وضعها في الحلال ، كان له أجر" (١) . فأخبر ﷻ أن باب العبادة واسع ، يدخل فيه التسيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . حتى إتيان الرجل امرأته جعل فيه رسول الله ﷺ صدقة؛ لأنَّ في الكفِّ عن المعصية ابتغاء مرضاة الله ﷻ أجر وعبادة ، إذ بإتيان الرجل امرأته يعفِّ نفسه عن الحرام، ويعفِّ أهله أيضاً. فإن انضمَّ إلى ذلك نيةٌ إنجاب الذرية الطيبة ، وتربيتهم التربية الحسنة ، وحسن رعايتهم ، ازدادت دائرة العبادة بازدياد دائرة النية الصالحة .

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ، قال : قال : "إنَّ الله كتبَ الحسنات والسَّيِّئات ، ثمَّ بيَّن ذلك ، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإنَّ هوَّ همَّ بما فعلها ، كتبها الله له عنده عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن همَّ بسَيِّئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإنَّ هوَّ همَّ بما فعلها كتبها الله له سيئة واحدة" (٢) . فبيَّن ﷻ أن النية الطيبة وحدها ، ولو لم يصاحبها عمل ، يوجر الإنسان عليها . فالنية دائماً لها أجرها .

وهكذا تُسع دائرة العبادة بقدر امتداد النية المقرونة بالعمل، حتى تشمل حياة المسلم كلها، في يقظته ومنامه، وفي صمته وكلامه، وفي سعيه لمعاشه ومعاده، ما دام العمل موافقاً لشرع الله ﷻ، وما دامت نيته ابتغاء وجه الله ﷻ .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كلِّ نوع من المعروف .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب من همَّ بحسنة أو بسَيِّئة . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتب .

المطلب الثالث

أنواع العبادة

ذكرنا في المطلب السابق أن دائرة العبادة تتسع بقدر امتداد النية لتشمل حياة الإنسان كلها ، ما دام العمل موافقاً لشرع الله ﷻ ، وما دامت نية العامل : ابتغاء وجه الله ﷻ . فأعمال الإنسان كلها عبادة إذا جمعت شرطي قبول العمل .

وهذه الأعمال التي حَمَلَتْ اسم "العبادة" يُمكن تصنيفها ضمن أنواع متعدّدة :

أولاً : عبادات اعتقاديّة : وهي اعتقاد ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه ، وأخبر رسوله ﷺ عن ربه ؛ من أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وما أشبه ذلك^(١) .

ودليل هذا النوع ، قول الله ﷻ : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَكُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

ثانياً : عبادات قلبية : وهي أعمال القلوب؛ كمحبة الله ، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه ، ورجائه، وإخلاص الوجه له، والصبر على أوامره ونواهيه وأقداره ، والرضا به وله وعنه ، والموالاتة فيه ، والمعاداة فيه ، والإحبات إليه ، والطمأنينة به ، ونحو ذلك من أعمال القلوب التي لا يجوز أن يُقصد بها إلا الله ﷻ^(٢) .

ومن أدلة هذا النوع: قول الله ﷻ: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] ، وقوله ﷻ: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوهُ ﴾ [الزمر: ٥٤] ، وقوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

ثالثاً : عبادات قولية : ومن أجلها : النطق بكلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" ، والدعاء إلى الله ، والذب عنه ، والقيام بذكره ﷻ ، وتبليغ دينه ، وقراءة القرآن ، ونحو ذلك^(٣) .

ومن أدلة هذا النوع: قول الله ﷻ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاتِلِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، وقوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨] ، وقوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] .

(١) انظر تجريد التوحيد المفيد للمقريري ص ١١٧ .

(٢) انظر المصدر نفسه .

(٣) انظر المصدر نفسه .

رابعاً : عبادات بدنية : وتشمل أعمال الجوارح ؛ من صلاة ، وجهاد ، وحج ، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ، ومساعدة العاجز ، والإحسان إلى الخلق ، ونحو ذلك (١) .

ومن أدلة هذا النوع : قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا امْكُفُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] ، وقوله ﷺ : ﴿ تُدَلِّمُونَا نَفْسَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيُطَوُّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩] ، وقوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩] .

خامساً : عبادات مالية : وتشمل إخراج الزكاة من المال ، امتثالاً لأمر الله ، والوفاء بالنذر ، والجهاد بالمال في سبيل الله ﷻ .

ومن أدلة هذا النوع : قول الله ﷻ : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١١٠] ، وقوله ﷻ : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١] ، وقول الله ﷻ : ﴿ يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ [الانسان: ٧] .

إذا : العبادة تشمل جميع مجالات الحياة ، بل تشمل الحياة بأسرها ؛ فالحياة ، والحيا ، والممات لله رب العالمين لا شريك له ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

المطلب الرابع

أركان العبادة وأصولها

تقوم العبادة على أركان ، باجتماعها يحصل كمال العبودية لله ﷻ^(١) .

وهذه الأركان هي : المحبة ، والرجاء ، والخوف ، التي يجب اجتماعها ، ولا يجوز إهمال واحد منها ، كما قال علماؤنا رحمهم الله : " مَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زَنْدِيقٌ ، وَمَنْ عَبْدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مَرَجِيٌّ ، وَمَنْ عَبْدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ ، وَمَنْ عَبْدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحَّدٌ " ^(٢) .

ويمكن بيان هذه الأركان في الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : مع الركن الأول : محبة الله ﷻ :

المحبة أصل دين الإسلام ، وهي نعمة لا يُدرِكها إلا من تقيًا ظلّالها ، ولذة لا يعرف حلاوتها إلا من تذوّقها .

١- المراد بها : يُراد بها محبة المعبود ﷻ ، المتضمنة تقديس مراده ﷻ على كل شيء .

٢- مقاماتها : مقامات العبادة ثلاثة؛ التكميل ، والتفريع ، ودفع الضدّ .

وقد جمعها قول رسول الله ﷺ : " ثلاثٌ من كُنَّ فِيهِ وَجَدَ مِنْ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ " ^(٣) .

ف" ما يجذُّهُ الْمُؤْمِنُ الْوَاحِدُ مِنْ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ تَتَّبِعُ كِمَالِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ ، وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ : تَكْمِيلِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ ، وَتَفْرِيعِهَا ، وَدَفْعِ ضِدِّهَا .

فتكميلها : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سِوَاهُمَا؛ فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا يُكْتَفَى فِيهَا بِأَصْلِ الْحُبِّ ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا " ^(٤) .

(١) انظر معارج الصعود إلى تفسير سورة هود للشنقيطي ص ١٣٦ .

(٢) انظر : العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦١-١٦٢ . وتوحيد الألوهية لمحمد الحمد ص ٣٧ .

(٣) تقدّم تخريجه في ص ٧٥ من هذا الكتاب .

(٤) العبودية لابن تيمية ص ١٥٩-١٦٠ . وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣/٣٦٩ .

وقد دلّ على هذا المقام قوله ﷺ : " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " (١) .

"وتفريعها : أن يُحِبَّ المرء لا يُحِبُّه إلا الله .

ودفعُ ضدها : أن يكره ضداً الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار " (٢) ؛ لأن من محبة الله بغير ما يُغضه ، وأعظم ذلك الكفرُ .

٣- علامتها : للمحبة علامتان ، هما : أتباع الرسول ﷺ ، والجهاد في سبيل الله ﷻ .

أتباع الرسول ﷺ : "فَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِلَّهِ ، لَزِمَ أَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ ﷺ ، فَيُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ ، وَيُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ ، وَيَتَأَسَّىٰ بِهِ فِيمَا فَعَلَ " (٣) . وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول لأُمَّته : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] . فليست المحبة مجرد دعوى باللسان ، بل لا بُدَّ أَنْ يُصَاحِبَهَا الْإِتِّبَاعُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، والسير على هُدهاه .

الجهاد في سبيل الله ﷻ : فمن كان محباً لله ، لزمه أن يُجاهد في سبيله ؛ "لأنَّ الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يُحِبُّه الله من الإيمان والعمل الصالح ، ومن دَفَع ما يُغِضُّهُ الله من الكفر والفسوق والعصيان" (٤) . وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبَنَاتُكُمْ وَأَسْرَابٌ كَسَبْتُمْهَا مِمَّا كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة: ٢٤] ؛ فتوعَّد من كان أهله وماله أحبَّ إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد (٥) .

وحقيقة محبة الله ﷻ لا تتم إلا بموالاته ﷻ ؛ أي بموافقته فيما يُحِبُّ ويكره ؛ فيحبُّ العبد ما يُحِبُّه الله ، ويُغض ما يُغضه الله ﷻ .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حبِّ الرسول ﷺ من الإيمان . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ،

باب وجوب محبة رسول الله ﷺ .

(٢) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦٠ . وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣٦٩/٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٦-١٢٧ .

(٤) العبودية لابن تيمية ص ١٢٧ . وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣٦١/٢ .

(٥) العبودية لابن تيمية ص ١٢٧ .

الوقفة الثانية : مع الركن الثاني : الرجاء :

١- ارتباط الرجاء بالمحبة : على حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء ؛ فكلّ مُحِبّ راج بالضرورة ؛ لأنّ محبته لله ﷻ تحمله على أن يرجو ما عنده ﷻ^(١) .

٢- المراد بالرجاء : أن يرجو العبد ما عند مولاه ﷻ من الأجر، والثواب، والرحمة، والمغفرة ؛ فالعابد والمطيع يرجو الأجر والثواب والقبول، والثائب يرجو الرحمة ومغفرة الذنوب . وهذا الرجاء ينبغي أن يكون بلا يأس من روح الله ، ولا قنوط من رحمته ﷻ ؛ لأنّ الله تعالى ذمّ الأمرين ، فقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ مَرْوَحِ اللَّهِ إِنَّ الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَنْتَظِرْ مِنْ مَرْحَمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] .

٣- المطلوب فيه : المطلوب في الرجاء كماله وغايته ؛ فيرتقي العبد في الرجاء صُعُداً ؛ من رجاء يبعث على الاجتهاد في أداء العبادة طمعاً فيما يؤمله من ثواب ، إلى رجاء يُقدّم فيه لزوم الأحكام الدينية على ما تستلذه النفس وتميل إليه ، إلى رجاء لقاء الخالق ﷻ^(٢) ، كما قال ﷻ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] ، ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لِبَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥] .

٤- من أسباب حصول الرجاء : يحصل الرجاء بأمر ، منها^(٣) :

أ- شهود كرم الله تعالى ، وإنعامه ، وإحسانه إلى عباده .

ب- صدق الرغبة فيما عند الله ﷻ من الثواب والنعيم .

ج- التسلح بصلاح العمل ، والمسابقة في الخيرات .

٥- من الأدلة على الرجاء :

تقدّم أنفاً دليان، هما: قوله ﷻ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] ، ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لِبَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥] .

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٤٤/٢ .

(٢) انظر المصدر نفسه ٥٦-٥٤/٢ .

(٣) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم الريحان ص ١٤٠ .

وتمّة أدلة أخرى ، منها :

أ- قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨] .

ب- قول رسول الله ﷺ : (يقول الله ﷻ : "أنا عند ظنّ عبدي بي")^(١) .

ج- قول رسول الله ﷺ : "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ برّبه"^(٢) .

فالله ﷻ عند ظنّ عبده . وعلى العبد أن يحسن الظنّ برّبه كي لا يُصيّبه القنوط من رحمة الله ، ولا اليأس من روحه ﷻ ؛ فيبقى مُتَطَلِّعاً لما عند الله من الثواب العظيم ، راغباً في نيل ما آذخره لعباده المؤمنين من النعيم المقيم .

الوقفّة الثالثة : مع الركن الثالث : الخوف من الله ﷻ :

١- ارتباط الخوف بالرجاء : الخوف مستلزم للرجاء ، والرجاء مستلزم للخوف ؛ فكلّ راجٍ خائف ، وكلّ خائف راجٍ ؛ فكلّ راجٍ خائفٌ من فوات مرجوّه ، وكلّ خائف يرجو عفو ربّه ومغفرته ، والخوف بلا رجاء يُعتبر يأساً من روح الله وقنوطاً من رحمته^(٣) .

٢- المراد بالخوف : أن يخاف العبد مولاه ﷻ أن يُصيّبه بعقاب عاجلٍ ، أو أجلٍ ؛ فيُصيّبه في الدنيا بما يشاء - سبحانه - من مصيبة ، أو مرض ، أو قتلٍ ، أو نحو ذلك بقدرته ومشيتته . وهذا الخوف لا يجوز تعلّقه بغير الله أصلاً ؛ لأنّ هذا من لوازم الإلهيّة ، فمن اتّخذ مع الله ندّاً يخافه هذا الخوف ، فهو مشرك^(٤) ؛ لأنّ الخوف عبوديّة القلب ، فلا يصلح إلا لله . ويتبع هذا الخوف : الخوف ممّا توعدّ الله به العصاة في الآخرة ، من النكال والعذاب . يقول تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ١٤٤] . وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان ، وإنّما يكون محموداً إذا لم يُوقِع في القنوط من رحمة الله ، أو اليأس من روحه ﷻ^(٥) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ أنزله يعلمه الملائكة يشهدون ﴾ .

وصحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحثّ على ذكر الله تعالى .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الأمر بحسن الظنّ بالله تعالى عند الموت .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٥٣/٢ .

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله ص ٤٨٤ .

(٥) انظر المرجع نفسه ص ٤٨٦ .

والمطلوب في هذا الخوف : ما يحجز العبدَ عن المعاصي ، ويُبعده عن مخالفة أوامر الله . يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله- : " وسمعتُ شيخَ الإسلام ابن تيمية -قدَّسَ اللهُ روحه- يقول : الخوفُ المحمودُ : ما حَجَزَكَ عن محارمِ اللهِ " (١) .

٣- سبب نقص الخوف من الله في نفس العبد: إذا نقص الخوف من الله ﷻ في نفس العبد، فذلك لنقص معرفته برُّبه ﷻ؛ فإنَّ أعرف النَّاسِ باللهِ أحشاهم له ﷻ . وكلِّما ازدادت معرفة العبد برُّبه، كلِّما ازداد له خشية . يقول اللهُ ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: من الآية ٢٨] ، ويقول ﷻ : " واللهِ إني لأرجو أن أكون أحشاكم لله ، وأعلمكم بما أتقى " (٢) ، ويقول : " إنَّ أتقاكم وأعلمكم باللهِ أنا " (٣) ، ويقول : " فواللهِ إني أعلمهم باللهِ ، وأشدُّهم له خشيةً " (٤) ؛ فهو ﷻ أعلمنا باللهِ ﷻ ، وأشدُّنا خشيةً له ؛ فكلِّما ازدادت المعرفة باللهِ ، ازدادت الخشية له ﷻ ، وكذلك العكس ؛ كلِّما نقصت المعرفة باللهِ ، قلَّ الخوف منه (٥) .

٤- حكم الخوف من الله ﷻ: الخوف من الله ﷻ من أجلِّ منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهو فرضٌ على كلِّ أحدٍ (٦) .

٥- من الأدلَّة على هذا الركن :

أ- آيات يأمر الله بها عباده بالخوف منه وخشيته ﷻ . يقول اللهُ ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] . ويقول ﷻ : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ ﴾ [المائدة: من الآية ٤٤] ؛ فأمر ﷻ بالخوف منه ، وجعل ذلك شرطاً في تحقيق الإيمان .

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٥٥١/١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب صحَّة صوم من طلع عليه الفجر وهو حُتِّب .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : " أنا أعلمكم بالله " .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب ما يُكره من التعمُّق والتنازع والغلوِّ في الدين والبدع .

(٥) لاحظ : أنَّ الخشية أخصَّ من الخوف ؛ فإنَّ خشية العلماء لله ، هي خوف مقرون بمعرفة . وانظر

مدارج السالكين لابن القيم ٥٤٩/١ .

(٦) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٥٤٨/١ .

ب- آيات يمدح الله بها عباده ويُثني عليهم بسبب عملهم بهذا الركن . يقول الله ﷻ مُثْنِيًّا عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٧] ، إلى أن قال : ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦١] . ومدح أنبياءه عليهم السلام بهذه العبادة ، فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الانبیاء : من الآية ٩٠] . ومدح ملائكته بقوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل : ٥٠] .

ج- آيات يُخبر فيها ﷻ عن جزاء من عبده بهذا الركن . يقول الله ﷻ : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن : ٤٦] ، ويقول ﷻ : ﴿ وَنَسُكِكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [ابراهيم : ١٤] .

عبادة الله ﷻ بهذه الأركان مجتمعة :

تقدّم أن أهل السنّة والجماعة يعبدون الله ﷻ بأركان العبادة الثلاثة مجتمعة ، ولا يلغون أي ركن منها^(١) . وتقدّم أنهم يُوازنون بينها ، بحيث لا يطغى جانب منها على الآخر^(٢) ؛ فكما أن المسلم يعبد ربه ﷻ حباً له ، وطمعاً في جنّته ، ورجاء لثوابه ، فإنّه كذلك يعبد ﷻ خشيةً له ، وخذراً من ناره ، وخوفاً من عقابه .

وما أجمل كلمات العلامة ابن القيم رحمه الله ، التي يُخبر فيها عن اجتماع هذه الأركان القلبية ، ويتحدّث عن منزلة كل واحد منها ، فيقول : "القلبُ في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر . فالحجبة رأسه ، والخوف والرجاء جناحاه . فمتى سلّم الرأس والجناحان ، فالطائرُ جيّد الطيران . ومتى قطع الرأس مات الطائر . ومتى فقد الجناحان ، فهو عرضة لكل صائد وكاسر" ... إلى أن قال : "أكمل الأحوال : اعتدال الرجاء والخوف ، وغلبة الحب . فالحجبة هي المركب ، والرجاء حاد ، والخوف سائق ، والله الموصِلُ بِنمته وكرمه"^(٣) .

(١) انظر ص ٩٧ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٤١ من هذا الكتاب . وانظر إثارة الحقّ على الخلق لابن المرتضى ص ٣٩١-٣٩٢ .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ١/٥٥٤ .

الباب الثاني

ما يُضادّ هذا التوحيد أو يُنافي كماله

ويشتمل على تمهيد ، وثلاثة فصول :

الفصل الأول : الشرك ، وأنواعه .

الفصل الثاني : الكفر ، وأنواعه .

الفصل الثالث : النفاق ، وأنواعه .

مَهَيِّدًا : بعد أن تحدّثنا في الباب الأول عن التوحيد ، ناسب أن نتكلّم في هذا الباب عن ضده ؛ إذ بضدّها تميّز الأشياء .

والشرك ، والكفر ، والنفاق شرٌّ كلّها ، ومعرفتها سببٌ لتوقّيها ، كما قال الشاعر :

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِن لَتَوَقِّيهِ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعُ فِيهِ

وقبله قال الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : "كان النَّاسُ يسألونَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله

عن الخيرِ ، وكنْتُ أسأله عن الشرِّ ؛ مخافةً أن يُدرِكَنِي" (١) .

من أجل ذا ، كان الحديث في هذا الباب عن أضداد الخير ؛ عن الشرك -الذي هو ضدّ

التوحيد- ، وعن الكفر -الذي هو ضدّ الإسلام- ، وعن النفاق -الذي هو ضدّ الإيمان- ،

كي تُحذَرَ وتُنقَى .

فأقول -ومن الله التوفيق- : الإنسانُ خُلِقَ على فطرة التوحيد والإسلام (٢) ، ولو تُرِكَتْ

هذه الفطرة بعيدة عن المؤثّرات ، لاستمرَّ صاحبها على لزومها .

وإذا تدخّلت المؤثّرات في هذه الفطرة ، فإنّها قد تنحرف عن الخطّ المستقيم ، وعن

الهدى الربانيّ ، إذا تضافر لذلك جملة من عوامل الانحراف .

وإذا وُجِدَ الانحراف ، فإنّه سيأخذ صوراً ثلاثة ، هي :

١- الشرك .

٢- الكفر .

٣- النفاق .

ولنا وقفات مع كلّ واحد من هذه الانحرافات في الفصول القادمة إن شاء الله ..

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام . وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ،

باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

(٢) انظر ص ٤٩-٥١ من هذا الكتاب .

الفصل الأول

الشرك ، وأنواعه

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى الشرك .

المبحث الثاني : أنواع الشرك .

المبحث الثالث : وسائل الشرك المنافية للتوحيد ، أو لكماله .

المبحث الأول

معنى الشرك

معنى الشرك لغة :

الشرك في اللغة : اسمٌ للشيء الذي يكون بين أكثر من واحد، بحيث لا ينفرد به أحدهم .
تقول : قد اشترك الرجلان، وتشاركنا، وشارك أحدهما الآخر. وتقول: اشتركتنا وتشاركنا في كذا . ورغبنا في شرككم ، أي في مشاركتكم . وشركه في الأمر يُشركه ، إذا دخل معه فيه . وأشرك بالله : جعل له شريكاً ، فهو مشرك^(١) .

معنى الشرك في الشرع :

يُعرف الشرك شرعاً بأنه : "صرف حق من حقوق الله لغيره"^(٢) ، أو "مساواة غير الله بالله فيما هو حق لله"^(٣) .

وحق الله : كل ما لا يقدر عليه إلا الله ، فلا يُطلب إلا منه ﷻ . فإذا طلب من غيره ، كان صرفاً لخصائص الله لغيره^(٤) ؛

فمن صرف شيئاً من أسماء الله وصفاته -التي ثبتت لله على ما يليق به- لغير الله ، أو صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ، أو اعتقد أن هناك رباً ومدبراً غير الله ، أو صرف شيئاً من خصائص الربوبية لغير الله ﷻ فقد جعل ذلك الذي صرف له شريكاً لله ﷻ^(٥) .

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٣٢٨ . وتهذيب اللغة للأزهري ١٠/١٦٠ . والقاموس المحيط

للفيروزآبادي ص ١٢٢٠ . ولسان العرب لابن منظور ١٠/٤٤٨ . وتاج العروس للزبيدي ٧/١٤٨ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٣/٦١٤ .

(٣) شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي عواجي ص ١٣ .

(٤) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٣/٦١٤ .

(٥) انظر الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٢٨ .

المبحث الثاني

أنواع الشرك

مَهَيَّنَا : الشرك قد يكون أكبر ، وقد يكون أصغر ، وهو "ينقسم ثلاثة أقسام ، بالنسبة إلى أنواع التوحيد ، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقاً ، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه ، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه" (١) .

يقول الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي : "الشرك نوعان : أكبر وأصغر . فمن خلص منهما ، وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، فالشرك الأكبر : كالسجود ، والنذر لغير الله ، والأصغر : كالرياء ، والحلف بغير الله إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله" (٢) .

فالشرك -إذا- نوعان : أكبر ، وأصغر .

ولكي يكون المسلم على حذر من الوقوع في أيٍّ منهما ، وحتى لا يحكم بالشرك على من لم يقع فيه ، فلا بُدَّ له من معرفة الفرق بين النوعين ، ومن هذه الفروق (٣) :

- ١- الأكبر كفرٌ، والأصغر أكبرُ الكبائر بعد الشرك الكبير .
 - ٢- الأكبر يُخرج صاحبه من الملة، والأصغر لا يُخرجه، وهو يتنافى مع كمال التوحيد.
 - ٣- الأكبر محبطٌ للأعمال كلها، والأصغر يُحبط ما خالط أصله ، أو غلب على العمل .
 - ٤- الأكبر موجبٌ للخلود في النار ؛ فصاحبه إن مات عليه، فهو خالدٌ مخلدٌ في النار أبداً ، والأصغر لا يُوجب ذلك ؛ فإن دخلها فهو كسائر مرتكبي الكبائر .
 - ٥- الأكبر يحلُّ النفوس والأموال ، والأصغر لا يحلُّ ذلك .
 - ٦- الأكبر لا يُغفر لصاحبه إن مات عليه، والأصغر يُدخل صاحبه تحت الموازنة ؛ فإن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة ، وإلا دخل النار ، ومآله الخروج منها .
- وبيان نوعي الشرك يُمكن في المطلبين التاليين :

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٤٣ .

(٢) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران لأحمد آل بوطامي ص ٣٨-٣٩ .

(٣) انظر هذه الفروق في الكتب التالية : شرح نواقض التوحيد لحسن عواجي ص ٢٦ . والأسئلة

والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٣٠ . والجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ٢/٣٢-٣٣ .

والإخلاص والشرك الأصغر لعبد العزيز العبد اللطيف ص ٣٤-٣٨ . وبعض أنواع الشرك الأصغر

للدكتور عواد المعتق ص ١٤-١٥ . والدين الخالص لصديق حسن خان ١/٣٣٨ .

المطلب الأول

الشرك الأكبر

أولاً : تعريف الشرك الأكبر : يُعرّف الشرك الأكبر بأنه : إثبات شريك لله ﷻ في خصائصه ؛ فيجعل الإنسان نداً لله في ربوبيته ، أو في ألوهيته ، أو في أسمائه وصفاته (١) .

ثانياً : حكم الشرك الأكبر ، مع الدليل :

١ - الشرك الأكبر يُخرج من الملّة ، وصاحبه حلال الدم والمال . يقول الله ﷻ عن المشركين : ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥] ، ويقول عنهم : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فَإِذَا أَفْتَلُ النَّاسِ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ . فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دَمَاءَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٢) .

٢ - الشرك الأكبر يُحبط جميع العمل . يقول الله ﷻ : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨] . ويقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَنْ تَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] .

٣ - الشرك الأكبر لا يُغفر لصاحبه إن مات عليه . يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨ ، ١١٦] . أمّا إن تاب قبل الموت ، فإن الله يتوب عليه ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّبِعُوا يُغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [أنفال: ٣٨] .

٤ - صاحب الشرك الأكبر في الآخرة خالدٌ مخلّدٌ في النار . يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: من الآية ٧٢] .

(١) انظر : معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٤٨٣/٢ . فتاوى اللجنة الدائمة ١/٥١٦-٥١٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : فإن تابوا وأقاموا الصلاة . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله . واللفظ للبخاري .

ثالثاً : أقسام الشرك الأكبر : ينقسم الشرك الأكبر إلى ثلاثة أقسام بالنسبة إلى

أنواع التوحيد :

- ١- شرك في الربوبية .
- ٢- شرك في الأسماء والصفات .
- ٣- شرك في الألوهية .

وبيان هذه الأقسام يُمكن في المسائل التالية :

المسألة الأولى

من أقسام الشرك الأكبر : الشرك في الربوبية

الشرك في الربوبية أحد أقسام الشرك الأكبر ، وهو شرك يتعلّق بذات الله ﷻ .

أولاً : تعريفه : هو صرف خصائص الربوبية كلها ، أو بعضها لغير الله ﷻ ، أو تعطيله ﷻ عنها بالكليّة .

وخصائص الربوبية هي: التفرّد بالخلق، والرّزق، والإحياء، والإماتة، والإعطاء، والمنع، والضّرّ، والنفع، وغير ذلك .

ثانياً : نوعاه : الشرك في الربوبية نوعان ؛ شرك تعطيل ، وشرك تمثيل .

١- شرك التعطيل :

تعريفه : هو تعطيل المصنوع عن صانعه ، وتعطيل الصانع عن أفعاله .

ويكون ذلك بتعطيل خصائص الربوبية، وإنكار أن يكون الله ربّ العالمين^(١) .

ومن الأمثلة عليه^(٢) : شرك فرعون الذي عطّل الربوبية ظاهراً؛ ﴿ قَالَ فَرَعَوْنُ

وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] ، وقال لهامان : ﴿ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُلْبِغُ

الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] .

ومن هذا الشرك^(٣) : شرك أهل وحدة الوجود؛ "كأبن عربي، وابن سبعين،

وغيرهم"، الذين يقولون : إنّ الخالق عين المخلوق ؛ فعطلوا الله ﷻ عن أن

يكون ربّ العالمين ، ولم يُفرّقوا بين ربّ ، وعبد .

(١) انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ٢٣١ .

(٢) انظر تجريد التوحيد المفيد للمقرئ ص ٦٩ .

(٣) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ١/٣١٥ .

٢- شرك التمثيل :

تعريفه : هو التسوية بين الله وخلق في شيء من خصائص الربوبية ، أو نسبتها إلى غيره ﷻ^(١) .
ومن الأمثلة عليه^(٢) : شرك النَّصَارَى الذين اتخذوا معه أرباباً ، فجعلوه ثالث ثلاثة ؛ وشرك المجوس القائلين بأنَّ للعالم ربين أحدهما خالق للخير ، والآخر خالق للشر ؛ وشرك الصابئة الذين زعموا أنَّ الكواكب هي المدبِّرة لأمر العالم ؛ وشرك القدرية "مجوس هذه الأمة" القائلين بأنَّ كل إنسان يخلق فعل نفسه ؛ وشرك عبَاد القبور الذين يزعمون أنَّ أرواح الأولياء تتصرَّف بعد الموت ، فتقضي الحاجات ، وتُفَرِّج الكُرْبَات ، وتنصر من دعاها ، وتحفظ من لاذ بحماها . ومثلهم مزاعم غلاة الصوفيَّة في الأولياء : أنَّهم ينفعون ، ويضرُّون ، ويتصرَّفون في الأكوان .. إلخ .

المسألة الثانية

من أقسام الشرك الأكبر : الشرك في الأسماء والصفات

أولاً : تعريفه : هو التسوية بين الله والخلق في شيء من الأسماء والصفات ؛ بأن يجعل لله ﷻ نَدًّا في أسمائه وصفاته ؛ فيُسَمِّيهِ بأسماء الله ، أو يَصِفُهُ بصفاته^(٣) .
ثانياً : نوعاه : الشرك في الأسماء والصفات نوعان ؛ شرك تشبيه ، وشرك اشتقاق .
١- شرك التشبيه :

تعريفه : هو أن يُثَبَّتَ لله تعالى في أسمائه وصفاته من الخصائص ، مثل ما يُثَبَّتَ للمخلوق من ذلك^(٤) .
ومن الأمثلة عليه : قول القائل : إنَّ يديَّ الله مثل أيدي المخلوقين ، واستواءه على عرشه كاستوائهم ، ونحو ذلك^(٤) .

(١) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم البريكان ص ١٤٧ .

(٢) انظر : تجريد التوحيد المفيد للمقرئ ص ٥٥-٥٧ ، ٧٠ . والجواب الكافي لابن القيم ٢٣١-٢٣٢ .

وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٣٨/١ . وتوحيد الربوبية لمحمد إبراهيم الحمد ص ٢١-٢٥ .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ٥١٦/١ . والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص ١٤٧ .

(٤) انظر فتح ربِّ البرية بتلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين ص ٢٠-٢١ .

٢- شرك الاشتقاق :

تعريفه : هو أن يُشتقَّ من أسماء الله ﷻ المختصة به اسماً، ويُسمَّى به غيره.
وهذا من الإلحاد في أسمائه ﷻ^(١) .

ومن الأمثلة عليه : ما فعله المشركون من اشتقاق أسماء لآلهتهم الباطلة من أسماء الإله الحق ﷻ . يقول تعالى : ﴿وَكَلِمَةَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، فـ "يُلْحِدُونَ" : أي يُشركون^(٢) ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : "اشتقوا العزى من العزيز ، واشتقوا اللات من الله"^(٣) .

المسألة الثالثة

من أقسام الشرك الأكبر : الشرك في الألوهية والتعبد

أولاً : تعريفه : هو أن يُجعلَ لله نُدٌّ في العبادة، أو في التشريع ؛ فيصرفَ العبُدَ لغير الله شيئاً من أنواع العبادة التي تُصرفَ لله ، أو يتخذَ غيره مُشرعاً من دونه ، أو شريكاً له ﷻ في التشريع^(٤) .

ثانياً : أنواعه : الشرك في الألوهية والتعبد على أنواع ، منها :

- ١- شرك الدعاء .
- ٢- شرك الشفاعة .
- ٣- شرك النية والإرادة والقصد .
- ٤- شرك الطاعة .
- ٥- شرك المحبة .
- ٦- شرك الخوف .

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٥١٦/١ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة بن دعامة السدوسي . (انظر الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي ٢٧٢/٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس . (الدر المنثور ٢٧١/٣) .

(٤) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٥١٦/١ .

من أنواع الشرك في الألوهية والتعبد

أولاً : شرك الدعاء

أولاً : تعريفه : هو دعاء غير الله ؛ من الأنبياء ، والأولياء ، وغيرهم ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ؛ فمن دعا ، أو استغاث^(١) ، أو استعان^(٢) ، أو استعاذ بغير الله ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ من طلب رزق ، أو شفاء مريض ، أو إحياء ميت ، أو غير ذلك ، فقد أشرك مع الله غيره ، سواء أكان ذلك الغير نبياً ، أو ولياً ، أو جنياً ، أو غير ذلك من المخلوقات^(٣) .

يقول العلامة ابن القيم مُعدداً أنواع الشرك الأكبر : "ومن أنواعه : طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم . وهذا أصل شرك العالم ؛ فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، فضلاً عن استغاث به ، وسأله قضاء حاجته .."^(٤) .

ثانياً : من الأدلة على أن دعاء غير الله شرك :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ؛ فهذا سيقدم على ربه ، فيجازيه بأعماله ، ولا يُنبئه من الفلاح شيئاً ، لأنه كافر^(٥) .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَعُّ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر: ٨] ؛ فلا يُغنيك ما تتمتع به ، إذا كان المال النار^(٦) .

(١) استغاث : أي طلب الغوث ؛ وهو إزالة الشدة . والفرق بينها وبين دعا ؛ أن الاستغاثة تكون من المكروب ، والدعاء يكون من المكروب وغيره . (انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٢١٤) .

(٢) الاستعانة : طلب العون . وقد تكون في جلب منفعة ، أو دفع مضرة .

(٣) انظر : تيسير ذي الجلال والإكرام للفحطاني ص ٢٦ . وبيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة لمحمد ابن عبدالرحمن الخميس ص ١٤ .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ١/٣٧٥ .

(٥) انظر تيسير الكرم الرحمن لابن سعدي ٥/٣٨٦ .

(٦) انظر المرجع نفسه ٦/٤٥٣ .

ثالثاً : نوعاه : قبل التعرُّض لنوعي الشرك في الدعاء ، يُستحسن ذكر نوعي الدعاء ؛ لأنَّ الشرك يقع فيهما ؛ فالدعاء نوعان : دعاء مسألة وطلب ، ودعاء عبادة وثناء^(١) . وفي النوعين طلب التوصل والتقرُّب إلى الله ﷻ ؛ سواء أكان على وجه السؤال لله ﷻ ، والاستعاذة به ، رغبةً إليه في جلب المنافع ودفع المضارِّ ، وهذا دعاء المسألة والطلب . أم كان على وجه عبادته ﷻ ، وطاعته ، وامتنال أمره ، والانتهاز عن هيبه ، وهذا دعاء العبادة والثناء^(٢) . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذين النوعين : "إنَّ المعبود لا بُدَّ أن يكون مالِكاً للنفع والضرِّ ؛ فهو يُدعى للنفع والضرِّ دعاء مسألة ، ويُدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة . فعُلِّم أنَّ النوعين متلازمان"^(٣) ؛ فمن صلَّى ، أو صام ، أو توجَّه إلى الله ﷻ بنوعٍ من أنواع العبادة ، "فقد دعا ربَّه بلسان الحال أن يغفر له ، وأن يُجيره من عذابه ، وأن يُعطيه من نواله" ؛ ومن دعا الله ﷻ وسأله دعاء طلب ومسألة ، فهو راجٍ له ، خائف منه^(٤) . والله ﷻ يقول : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] ؛ فجعل سبحانه الدعاء عبادة . والآن ، وبعد أن عرفنا نوعي الدعاء ، نقول : إنَّ شرك الدعاء يقع في هذين النوعين ؛ إمَّا شركٌ في المسألة والطلب ، أو شرك في العبادة والثناء .

رابعاً : كيف يقع الشرك في هذين النوعين ؟

إذا توجَّه الإنسان بواحد من هذين النوعين لأحد غير الله ﷻ ؛ فقد أشرك . فيقع الشرك في النوع الأول ؛ دعاء العبادة ؛ إذا صرَّف العبد شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ ، يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين : "فمن صرَّف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر كُفراً مُخرجاً عن الملة ؛ فلو ركع

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٧٧٨/٢ . وفتح المجيد شرح كتاب

التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٢٣ .

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٧٧٨/٢ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/١٠-١١ .

(٤) انظر فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص ٣٩٨ .

إنسان ، أو سَجَدَ لشيءٍ يُعَظِّمُهُ كعظيم الله في هذا الركوع أو السجود ، لكان مُشركاً خارجاً عن الإسلام" (١). ويقول الإمام أحمد بن علي المقرئ : "فالشرك به في الأفعال : كالسجود لغيره سبحانه ، والطواف بغير البيت المحرَّم ، وخلق الرأس عبوديةً وخضوعاً لغيره ،.." (٢) ؛ لأن ذلك من خصائص الألوهية ؛ فمن سجد لغيره ﷻ ، أو صرف له لونا من ألوان العبادة فقد جعله الله نداً (٣). كذا لو ذبح لغير الله تعظيماً له ، وتقرباً إليه ، فقد أشرك شركاً أكبر ؛ لأن الذبح عبادة أمر الله ﷻ بها في قوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَسْ ﴾ [الكوثر: ٢] (٤) . ويقع الشرك في النوع الثاني ؛ دعاء المسألة والطلب ، إذا كان المدعو ميتاً ، أو كان السؤال في شيء لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ؛ فلو "كان المدعو حياً قادراً على ذلك فليس بشرك ؛ كقولك : اسقني ماء لمن يستطيع ذلك" (٥) . أمّا "إن كان المدعو ميتاً ، فإن دعاءه شركٌ مخرجٌ عن الملّة" (٦) .

على هذا ، يُقال : ليس دعاء المسألة والطلب كله شركاً ، بل دعاء الإنسان لغيره ينقسم إلى ثلاثة أقسام (٧) : الأول : أن يدعو مخلوقاً بأمرٍ من الأمور التي يُمكن أن يُدركها بأشياء محسوسة معلومة ؛ كسؤال الفقير . فهذا جائز . والثاني : أن تدعو مخلوقاً مطلقاً -سواء كان حياً أو ميتاً- فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ مثل : يا فلان ! اجعل ما في بطن امرأتي ذكراً . فهذا شركٌ أكبر ؛ لأن هذا من فعل الله ﷻ الذي لا يستطيعه البشر ، ولا يقدرون عليه . والثالث : أن تدعو مخلوقاً لا يُجيب بالوسائل الحسية المعلومة ؛ كدعاء الأموات ؛ فهذا شرك أكبر أيضاً ؛ لأن هذا لا يقدر عليه المدعو . ولا يقع مثل هذا النوع من الدعاء إلا إذا اعتقد الداعي في المدعو شيئاً سرّياً يُدبر به الأمور .

(١) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ٣٩٨ .

(٢) تجريد التوحيد المفيد للمقرئ ص ٥٨-٥٩ .

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٧٣ .

(٤) انظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ١٤٨/٢-١٤٩ .

(٥) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ٣٩٨ .

(٦) المرجع نفسه ص ٣٩٩ .

(٧) انظر المرجع نفسه ص ٣٩٣ .

من أنواع الشرك في الألوهية والتعبُد

ثانياً : شرك الشفاعة

تمهيد : هذا اللون من الشرك نتيجة لازمة لشرك العبادة - أحد نوعي شرك الدعاء - ؛ فمن صرّف شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ ، فهو إنّما يفعل ذلك كي يشفع له هذا الغير عند الله ﷻ ، في التجاوز عن الذنوب والسيئات ، أو في تحقيق الآمال ، ونيل الرغبات ، طئناً منه أنّ الأصنام ، أو الأولياء ، أو غيرهم يملكون الشفاعة .

أولاً : تعريف الشفاعة : تُعرّف الشفاعة بأنّها انضمام شيء إلى آخر، ناصراً له، وسائلاً عنه^(١) ؛ فهي مأخوذة من شَفَعَ الشيءَ شَفْعاً ، إذا ضَمَّ مثله إليه، وجعله زوجاً^(٢) .

ثانياً : الشفاعة المعنية هاهنا : الشفاعة المرادة هنا هي تلك التي تتعلّق بالآخرة ؛ كطلب الشفيع مغفرة ذنوب المشفوع له ، أو التجاوز عن سيئاته ، أو غير ذلك .

ثالثاً : كيف يقع شرك الشفاعة ؟ يقع هذا الشرك إذا اتخذ العبد من دون الله أنداداً، فصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة ، أو كلّها ، وتوجّه بهم ، وتقربّ بعبادتهم إلى الله ، زاعماً أن معبوداته هذه تشفع له عند الله ، وتقرّبه منه زلفى .

رابعاً : من أدلّة هذا النوع :

١ - قول الله ﷻ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُتَّبَعُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَفْلَحُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨] ؛ فحكم الله ﷻ بالشرك على من عبّد الشفعاء ، أو دعاهم بقصد الشفاعة^(٣) .

٢ - قول الله ﷻ : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كُنَّا أَوْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤] ؛ فنفى ﷻ أن تشفع لهم هذه الأنداد عند الله ، وأخبر أنّ الشفاعة لله وحده؛ فلا يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه .

٣ - قول الله ﷻ : ﴿ أَلِلَّهِ الَّذِينَ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُرْسِلُوا إِلَى اللَّهِ نَزَّلَ فِي إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣] ؛ فكذبهم وكفرهم بذلك^(٤) .

(١) انظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ١٧١/٢ .

(٢) انظر المعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ٤٨٧ .

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢٧٦ .

(٤) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٩/١ .

٤- قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ تَرَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَنْبَلِكُمْ مَشَأَلُ ذَمِّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهْرِ ﴾ [سبأ: ٢٢]؛ فقطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون قطعاً؛ لأنَّ المشرك "إنَّما يتَّخِذُ مَعْبُودَهُ لِمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَحْصِلُ لَهُ بِهِ مِنَ النِّفْعِ . والنفع لا يكون إلا ممَّن فيه خصلة من هذه الأربع : إمَّا مالكٌ لما يُريد عابده منه، فإن لم يكن مالكاً ، كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً له ، كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً، كان شفيعاً عنده ؛ فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه ؛ فنفي الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه" (١) .

خامساً : ما هي الشفاعة التي يقبلها الله ﷻ ؟ الشفاعة التي تقدَّمت هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، وهي التي نفاها الله ﷻ . ولكنه ﷻ لم ينف الشفاعة مطلقاً ، بل أخبر أنَّ هناك شفاعة مقبولة عنده ؛ وهي الشفاعة الصادرة عن إذنه ، لمن وحَّده . فالشفاعة التي يقبلها ﷻ هي التي جمعت شرطين : أحدهما : إذنه ﷻ بالشفاعة ؛ لأنَّ الشفاعة كلها له وحده ، كما قال : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً ﴾ [المرمئ: ٤٤] ، وقال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ؛ فلا يشفع أحدٌ ؛ لا ملكٌ مقربٌ ، ولا نبيٌ مرسلٌ إلا بإذنه ﷻ . والشَّرْطُ الثَّانِي : أن يرضى ﷻ عن المشفوع فيه . وهذا يتطلب أن يكون من أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَمَرَ نَفْسِي ﴾ [الانبيا: ٢٨] ، وكما قال رسول الله ﷺ : "أسعدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ" (٢) ؛ فشفاعته ﷻ -بعد إذن الله ﷻ له بها- لا ينالها إلا أهل التوحيد الخالص . وهذا عكس ما عند المشركين الذين زعموا أنَّ الشفاعة تُنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء ، وعبادتهم ومواليتهم من دون الله (٣) .

فالشفاعة المثبتة المقبولة -إذاً- هي التي جمعت شرطين ؛ إذن الله ﷻ للشافع أن يشفع ، ورضاه ﷻ عن المشفوع . يقول ﷻ : ﴿ وَكَرَّمْنَا مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ لِقَابِي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يُؤْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] .

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٣٧٢/١ . وانظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢٨٥ .

(٢) تقدَّم تخريجه ص ٧٤ من هذا الكتاب .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٩/١ - ٣٧٠ .

من أنواع الشرك في الألوهية والتعبُد

ثالثاً : شرك الذبيحة والإراحة والمقصود

أولاً : المراد بهذا النوع : هو أن ينوي العبدُ ويُريد ويقصد بعمله جملةً وتفصيلاً غير الله ﷻ . أو هو العمل الصالح للدنيا فقط . أو هو الذي يعمل العمل من غير إيمان ، أو كان غرضه وهدفه الحياة الدنيا فقط^(١) ؛ فمن كان غرضه الدنيا لا غير ، لا يُريد إلا إياها ، ولا يُحب ولا يُبغض إلا من أجلها ، ولا يُوالي ولا يُعادي إلا عليها ، فليس له في الدنيا إلا ما قُدِّر له ، وهو في الآخرة من أهل النار .

ثانياً : دليل هذا النوع : يدل على هذا النوع قول الله ﷻ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَمَتْهَا نَوْفَ إِلَيْهِمْ فَعَمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [مرد: ١٥-١٦] ؛ فهؤلاء لم يعملوا إلا للحياة الدنيا وزينتها فقط ، فليس لهم في الآخرة ثواب ؛ لأنهم لم يُريدوا بعملهم الآخرة ، وإنما أرادوا الدنيا^(٢) .

من أنواع الشرك في الألوهية والتعبُد

رابعاً : شرك الطائفة

تمهيد : سبق أن ذكرنا أن توحيد الألوهية يعني : إفراد الله ﷻ بالعبادة^(٣) . ومن العبادة : "الخضوع له ﷻ في الحكم، وتنفيذ أوامره ظاهراً وباطناً"^(٤) ؛ كما قال ﷻ : ﴿ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تُعْبَدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ وَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠] ؛ فالحكم حق له . ولا يتم الإيمان إلا بتحكيم شرع الله ﷻ ، كما قال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

- (١) انظر : تجريد التوحيد للمقرزي ص ٦٧ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٥٣٧ . وبيان الشرك ووسائله عند علماء الخنابلة للحميس ص ١٤ .
(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٥٣٥ . وفتح الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٥٤٠ .
(٣) انظر ص ٥٩ من هذا الكتاب .
(٤) أضواء البيان للشنقيطي ٣٩٦/١-٣٩٧ .

أولاً : تعريفه : يُعرّف شرك الطاعة بأثمه : مساواة غير الله بالله في التشريع والحكم^(١) . أو طاعة العلماء والأمراء في المعصية ، مع استحلال ذلك^(٢) ؛ فكلّ من أطاع مخلوقاً في تحريم الحلال ، أو تحليل الحرام ، فهو مشركٌ شرك طاعة . يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : "إنّ الذين يتبعون القوانين الوضعيّة التي شرعها الشيطان على السنة أولياته مخالفة لما شرعه الله حلّ وعلا على السنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، أنه لا يشكّ في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته ، وأعماه عن نور الوحي مثلهم"^(٣) .

ثانياً : من أدلّة هذا النوع : يدلّ لهذا النوع أدلّة كثيرة ، منها :

١- قول الله ﷻ : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] ؛ فهؤلاء اتّخذوا علماءهم ، ومشايخهم وقراءهم سادة لهم من دون الله ، يُطيعونهم في معاصي الله ، فيحلّون ما أحلّوه لهم ممّا قد حرّمه الله عليهم ، ويحرّمون ما يُحرّمونه عليهم ، ممّا قد أحلّه الله لهم^(٤) .

٢- عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] ، فقال لرسول الله ﷺ : "إنّا لسنا نعبدهم ! قال ﷺ : "أليس يُحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه ، ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه؟" قال عديّ : بلى . فقال رسول الله ﷺ : "فتلك عبادتهم"^(٥) .

٣- قول الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَزَعْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠] ؛ فسُمّي سبحانه الاحتكام إلى غير شرعه تحاكماً إلى الطاغوت^(٦) .

(١) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص ١٥٥ .

(٢) انظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٥٥٣ . وبيان الشرك ووسائله عند علماء الخنابلة للتحميم ص ١٥ .

(٣) أضواء البيان للشنقيطي ٨٣/٤ - ٨٤ .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٣٥٤/٦ .

(٥) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ، كتاب التفسير ، باب : ومن سورة التوبة . وحسنه .

(٦) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٥٦٧ .

٤- قول الله ﷻ : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] ؛ فنفى ﷻ الإيمان عن المعرضين عن الاحتكام إلى شرعه، وأقسم بنفسه ﷻ أنه لن يؤمن أحدٌ حتى يحكم بما جاء به الرسول ﷺ، وحتى يتنفي عن صدره الضيق والخرج من ذلك .

ثالثاً : من الأمثلة على هذا النوع :

- ١- الطاعة في تحكيم القوانين الوضعيَّة بدلاً من الشريعة الإسلاميَّة ، والاحتكام إليها .
- ٢- الطاعة في تحليل ما علِّم تحريمه من دين الإسلام بالضرورة؛ مثل الربا، والزنا، والتبرج، والسفور ، والقمار ، ونحو ذلك من سائر المعاملات المنصوص على تحريمها ، ولا مجال للاجتهاد فيها .
- ٣- الطاعة في تحريم ما أحلَّ الله وأباحه ؛ مثل أكل اللحوم ، وتعدُّد الزوجات ، والملكيَّة الفرديَّة ، وغير ذلك .

وعن هذه الأمثلة يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله : "الحلال هو ما أحله الله ، والحرام هو ما حرَّمه الله ، والدين هو ما شرعه الله . فكلَّ تشريع من غيره باطل ، والعمل به بدل تشريع الله -عند من يعتقد أنه مثله ، أو خير منه- ، كفرٌ بواح ، لا نزاع فيه" (١) .

خاتمة لهذا النوع : علماء الأمة الإسلاميَّة اتفقوا على أن الحكم لله ﷻ وحده ؛ لأنه المالك للخلق وحده، فله الحكم والأمر فيهم بما شاء . يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله : "... أمَّا استحقاق نفوذ الحكم ، فليس إلا لمن له الخلق والأمر . فإنَّما النافذ حكم المالك على مملوكه ، ولا مالك إلا الخالق ﷻ ، فلا حكم ولا أمر إلا له . أمَّا النبي ﷺ ، والسلطان ، والسيد ، والأب ، والزوج ، فإذا أمروا وأوجبوا ، لم يجب شيءٌ بإيجابهم ، بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم ، لولا ذلك لكان كلُّ مخلوقٍ أوجب على غيره شيئاً ، كان للموجب عليه أن يقلب عليه الإيجاب ؛ إذ ليس أحدهما أولى من الآخر . فإذا : الواجب طاعة الله تعالى ، وطاعة من أوجب الله طاعته" (٢) .

(١) أضواء البيان للشنقيطي ١٦٢/٧ .

(٢) المستصفي لأبي حامد الغزالي ٨٣/١ .

من أنواع الشرك في الألوهية والتعبد خامساً : شرك المحبة

تمهيد : سبق أن ذكرنا أن العبادة تقوم على ثلاثة أركان ، أحدها المحبة^(١) . وهي محبة العبودية التي تستلزم الذل لله ، والخضوع له ، وتعظيمه ، وكمال طاعته ، وإثاره على غيره ﷺ . وهذه المحبة هي المحبة الواجبة ؛ إذ المحبة ثلاثة أنواع ..

أولاً : أنواع المحبة : المحبة ثلاثة أنواع :

١- محبة واجبة : وهي التي سبقت الإشارة إليها ؛ محبة طاعة الله ، والانقياد له^(٢) ؛ وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع ، وكمال الطاعة ، وإثار المحبوب على غيره . فهذه المحبة خالصة لله ، لا يجوز أن يُشرك معه فيها أحد^(٣) .

٢- محبة محرمة ، أو شركية : وهي صرف تلك المحبة الواجبة لله ﷻ ، إلى غيره ؛ فمن أحب غير الله حباً ذل وخضوع ، فقدّم طاعته على طاعة الله ، وآثر محابه على محاب الله ، فقد جعله نداً لله . وعنها يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : "إن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله ، فهو الشرك الأكبر"^(٤) . وهذه المحبة : قليلها وكثيرها يُنافي محبة الله ورسوله ﷺ^(٥) .

٣- محبة طبيعية ، أو حبيبية : وهذه مباحة ، ما لم تصل إلى تعظيم المحبوب إلى الحد الذي لا يليق إلا بالله ﷻ . ومن أمثلة هذه المحبة : حب الإنسان لوطنه ، والوالد لولده ، والزوج لزوجه ، وذو المال للماله ، وغير ذلك . وعنها يقول مولانا ﷻ : ﴿ نَرَيْنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِرِ الْمُعَطَّرَةِ مِنْ ذَهَبٍ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ ﴾ [آل عمران: ١٤] .

ثانياً : كيف يقع الشرك في المحبة ؟ تقدم أن الإنسان إذا صرف المحبة الواجبة لله ﷻ ، لغير الله ﷻ ، فقد أشرك في المحبة .

(١) انظر ص ٩٧ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن للواحدي ١٣٦/١ . والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان ص ٧٤ .

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ص ٧٤ .

(٤) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٨٧ .

(٥) انظر المرجع نفسه ص ٤٧٨ .

ثالثاً : دليل هذا النوع : من الأدلة على هذا النوع : قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: من الآية ١٦٥] . وقد تقدّم معناها (١) .
شبهة ، والردّ عليها : يعترض بعض الواقعيين في هذا النوع من الشرك : بأنهم يُحِبُّونَ اللَّهَ حُبًّا شديداً ، ربّما أشدّ من حبّهم لأندادهم ، فأين الشرك في ذلك ؟ .

وعلى شبهتهم هذه ردّ العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله : " ترى المشرك يُكذِّبُ حاله وعمله قوله ؛ فإنه يقول : لا تحبهم كحبّ الله ، ولا تُسوِّهم بالله . ثم يغضب لهم ولحراماتهم إذا انتهكت أعظم ممّا يغضب لله ، ويستبشر بذكرهم ، ويتشبه به ، سيّما إذا ذُكر عنهم ما ليس فيهم ؛ من إغاثة اللهفات ، وكشف الكربات ، وقضاء الحاجات ، وأنهم الباب بين الله وبين عباده ؛ فإنك ترى المشرك يفرح ، ويُسرُّ ، ويحنُّ قلبه ، وتهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالة . وإذا ذكرت له الله وحده ، وجردت توحيده ، لَحِقَّتْهُ وَحْشَةٌ ، وضيقٌ ، وحرَجٌ ، ورماك بنقص الإلهية التي له ، وربّما عاداك " (٢) .

من أنواع الشرك في الألوهية والتعبّد

ساحساً : شرك الخوف

تمهيد : سبق أن ذكرنا أن العبادة تقوم على ثلاثة أركان ، أحدها الخوف (٣) . وهو عبودية القلب التي لا يجوز تعلقها بغير الله ﷻ ؛ فيخاف العبد مولاه ﷻ أن يُصيبه بما يشاء من العقوبات ، والمصائب ، والأوصاب ؛ ويخاف ممّا توعدّ به العصاة في الآخرة من النكال والعذاب . وهذا هو الخوف الواجب صرفه لله ﷻ ، ولا يجوز أن يُصرف لكائنٍ من كان سوى الله ﷻ .
أنواع الخوف : الخوف أنواعه ثلاثة ، كما الحجّة :

١- خوف واجب : وقلنا هو الخوف من الله ﷻ أن يُصيبك بما يشاء ... والمطلوب فيه :

(١) انظر ص ٧٥ من هذا الكتاب .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٣٧١/١ .

(٣) انظر ص ٩٧ ، ١٠٠ من هذا الكتاب .

أن يحملك على فعل المأمورات ، واجتناب المنهيات والمحظورات . وهذا الخوف يجب أن يكون مقترناً بالرجاء والمحبة ؛ بحيث لا يكون خوفاً باعثاً على القنوط من رحمة الله ، أو اليأس من روح الله ﷻ ؛ "فالؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء ؛ بحيث لا يذهب مع الخوف فقط حتى يقنط من رحمة الله ، ولا يذهب مع الرجاء فقط حتى يأمن من مكر الله ؛ لأن القنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله يُنفيان التوحيد . قال تعالى : ﴿ أَفَأَمَّنُوا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ مَرْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ مَرْحَمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] " (١) .

٢- خوفٌ طبيعي^(٢) : وهو الخوف مما يُخاف منه طبعاً ؛ كالخوف من السبع ، كالأسد ونحوه ، والعدو المباحث ، وغير ذلك ، مع اعتقاد أن النفع والضرر بيد الله وحده . وهذا الخوف مباح ، وهو غير مذموم . وقد وقع لموسى عليه السلام ، يقول تعالى حاكياً عنه : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١] .

٣- الخوف المحرم : وهو قسمان :

الأول : الخوف السري "الاعتقادي" ، وسُمي اعتقادياً لأن محلّه القلب وهو : الخوف من غير الله أن يؤثر فيه ، أو يُصيبه بما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ؛ من مرض ، أو منع رزق ، أو إصابة بفقير ، أو نحو ذلك بقدرته ومشيتته ، كما قال الله عن قوم هود عليه السلام : ﴿ إِنِ قَوْلِ إِلَّا اغْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِكَ بِسُوءِ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود: ٥٤] (٣) .

وهذا الخوف هو الخوف الشركي ؛ فمن وقع فيه وقع في الشرك الأكبر .

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان ص ٦٩-٧٠ .

(٢) انظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٨٩ . والإرشاد للفوزان ص ٦٧ .

(٣) انظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٨٨ . والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح

الأطرم ص ٣٩ . والإرشاد للشيخ صالح الفوزان ص ٦٦ .

الثاني : الخوف العملي^(١) : وهو الخوف من الناس المؤدّي إلى ترك الواجب ، أو المؤدّي إلى عمل المحرّم .
وهذا الخوف حرام ، ويُنافي كمال التوحيد ، وهو خوف أصغر .
ودليله : قول الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ؛
فأخشوهم : أي واتركوا الجهاد. ويشهد لهذا القسم أيضاً قوله ﷻ :
"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ لَا تُغَيِّرَهُ ؟ فيقول : رَبِّ خَشِيَ النَّاسَ . فيقول : إِيَّاي كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى " (٢) .

خاتمة : أنواع الشرك في الألوهية كثيرة تتعلق بعبادته ﷻ ومعاملته ؛ فمن صرّف شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ ، فقد وقع في هذا النوع من أنواع الشرك ، سواء أكانت العبادة المصروفة لغير الله : نذراً ، أو ذبحاً ، أو سجوداً ، أو حبّاً ، أو ذلاً ، أو توكلاً ، أو رجاء ، أو خوفاً ، أو دعاء ، أو غير ذلك .

(١) انظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٨٩ . والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأظم ص ٣٩ . والإرشاد للشيخ صالح الفوزان ص ٦٦ .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٢٧ ، ٢٩ ، ٧٧ ، وابن ماجه في السنن ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وصحّحه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ١٨١٤ . وانظر فتح المجيد ص ٤٨٩ .

المطلب الثاني

الشرك الأصغر

أولاً : تعريف الشرك الأصغر: يُعرّف الشرك الأصغر بأنه : مُساواة غير الله بالله في هيئة الفعل وأقوال اللسان. أو: كل ما أطلق عليه الشرع وصف الشرك، لكنّه لا يُخرج من الملة^(١). يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : "وأما الشرك الأصغر ، فهو جميع الأقوال والأفعال التي يُتوسّل بها إلى الشرك؛ كالعلوّ في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة؛ كالحلف بغير الله ، وكيسر الرياء ، ونحو ذلك"^(٢) .

ثانياً : حكم الشرك الأصغر ، مع دليله :

١- الشرك الأصغر من أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، ومعصية من أكبر المعاصي ، لما فيه من تسوية غير الله بالله ﷻ .

٢- الشرك الأصغر لا ينقض التوحيد ، بل يتنافى مع كماله .

٣- الشرك الأصغر لا يُحبط جميع العمل ، بل يُحبط العمل المصاحب .

٣- الشرك الأصغر إن مات صاحبه عليه، فإنه يموت مسلماً، ولكنّ شركه لا يغفر له -على الراجح من قولَي العلماء- ، بل يُعاقب عليه ، وإن دخل بعد ذلك الجنة^(٣) .

٤- صاحب الشرك الأصغر في الآخرة إن دخل النار لا يُخلّد فيها .

والدليل على الشرك الأصغر : قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]. وقوله ﷻ : "يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي، تركته وشركه"^(٤) .

ثالثاً : من أنواع الشرك الأصغر : ينقسم الشرك الأصغر إلى أنواع ، سأذكر منها بإذن الله :

(١) انظر : المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٢/٢٧ . والإخلاص والشرك الأصغر لعبد العزيز العبد اللطيف ص ٣٠ .

(٢) انظر القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ص ٢٤ .

(٣) انظر : الردّ على البكري لابن تيمية ص ١٤٦ . وتيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله ص ٩٨ . والشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبد الرزاق العباد ص ١٨٨-١٨٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب من أشرك في عمله غير الله .

أولاً ، يسير الرياء

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : تعريف الرياء لغة واصطلاحاً : الرياء في اللغة مشتق من الرؤية . يُقال : فعله رياء ؛ أي ليراه الناس ، فيحصل على الصيت والذكر^(١) .

والرياء اصطلاحاً : إظهار العبادة بقصد رؤية الناس . أو التصنع للمخلوق ؛ كالمسلم الذي يعمل لله ، ويُصلي لله ، ولكنه يُحسن صلاته وعمله ليمتدحه الناس^(٢) .
ووجه المطابقة بين المعنيين : أن المرائي يقصد رؤية الناس لعمله .

ثانياً : حكم الرياء ، مع الدليل : الرياء محرّم بنصّ الكتاب والسنة . فمن الكتاب : قوله ﷺ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: من الآية ١١٠] ، ومن السنة : قوله ﷺ : "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟" قالوا: بلى يا رسول الله . قال : "الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل" (٣) . وقوله ﷺ : "إن أخوف ما أخاف عليكم : الشرك الأصغر ؛ الرياء ؛ يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء" (٤) . وقوله ﷺ : "من صلى يُرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يُرائي فقد أشرك ، ومن صام يُرائي فقد أشرك" (٥) .

ملاحظة : لاحظنا في الحديث الأول أن رسول الله ﷺ سَمَّى الرياء شركاً خفياً ، فما وجه التسمية ؟ الجواب : لأن صاحبه يُظهر أن عمله لله ﷻ ، ويُخفي في قلبه أنه لغيره . أو : لأن صاحبه يقع فيه ، دون أن يُلقى له بالاً . ويشهد لهذا المعنى قوله ﷺ : "الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء" (٦) .

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ٢/٢٠٣-٢٠٤ . والدين الخالص لصديق حسن خان ٢/٣٧٩ .

(٢) انظر : الدين الخالص لصديق خان ٢/٣٧٩ . بيان الشرك ووسائله عند علماء الخنابلة للخميس ص ١٨ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة. وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح ٢٦٠٧ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٤٨، ٢٤٩ . وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ١٥٥٥ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٢٦ . والطبراني في الكبير ٧/٣٣٧ . والحاكم في المستدرک ٤/٣٢٩ ، وصحّحه ، كلهم من حديث شدّاد بن أوس ؓ .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٢٩١ ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يُخرّجه . وصحّح أوّله الألباني في صحيح الجامع ح ٣٧٣٠ .

ثانياً : السمعة

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : تعريف السمعة لغة واصطلاحاً : السمعة في اللغة مشتقة من السماع والإسماع . وهي

ما يُسْمَعُ به من صِيت . يُقال : فعل ذلك رياءً وسمعة ؛ أي ليراه النَّاسُ ويسمعوا به ^(١) .

والسُّمْعَةُ اصطلاحاً : إظهار العبادة بقصد سماع النَّاسِ . أو تَحَدُّثُ الإنسان بأعماله التي

عملها ليمدحه النَّاسُ بها . ويدخل فيه : أن يعمل العمل ليلاً ، ثم يُحَدِّثُ به النَّاسُ في النَّهارِ ^(٢) .

والفرق بين الرياء والسمعة : أن الرياء يتعلَّقُ بحاسة البصر ، والسمعة تتعلَّقُ بحاسة السَّمْعِ ^(٣) .

ثانياً : حكم السمعة ، مع الدليل : السمعة محرمة بنص الكتاب والسنة . فمن الكتاب : قوله ﷺ :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : من الآية ١١٠] ،

ومن السنة : قوله ﷺ : «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» ^(٤) .

ثالثاً : متى ينقلب حكم الرياء والسمعة من شرك أصغر إلى شرك أكبر : يدخل الرياء والسمعة

تحت حكم الشرك الأكبر بأحد ثلاثة أمور :

١- أن يُرَائِي الإنسان ، أو يُسَمِعَ بأصل إيمانه (يُظهر أمام النَّاسِ أَنَّهُ مؤمن ليعصم دمه وماله) .

٢- أن يغلب الرياء أو السمعة على أعمال الإنسان .

٣- أن يغلب على أعماله إرادة الدنيا ، بحيث لا يريد بها وجه الله .

رابعاً : حكم العبادة إذا اتَّصل بها رياء أو سمعة : إذا كان قصد العابد بعبادته مراعاة النَّاسِ من

الأصل ، فهذا يبطل للعبادة . أمَّا إذا طرأ الرياء أو السمعة أثناء العبادة ، فلا يخلو حال العبادة

من أن يكون أوَّلها مرتباً بآخرها - كالصلاة مثلاً- ، فتبطل جميع العبادة إذا لم يُدافع الرياء

أو السمعة وسكن إليهما . أمَّا إذا لم يكن أول العبادة مرتباً بآخرها - كالصدقة مثلاً بمائة

ريال ؛ خمسون منها دخله الرياء- ، فيبطل منها ما خالطه الرياء أو السمعة ^(٥) .

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ٢/٢٠٣-٢٠٤ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٤٥٠ .

(٢) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٢/٣٧٩ .

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر ١١/٣٣٦ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة - وهذا لفظه- ، وكتاب الأحكام ، باب : من :

شاقَّ شقَّ الله عليه . وصحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله .

(٥) انظر فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص ٢٠٠-٢٠١ .

ثالثاً : إراقة الإنسان بعمله الدنيا

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : المراد بهذا النوع: هو أن يعمل الإنسان أعمالاً صالحة مما يُتغنى بها وجهه الله ﷻ ، يُريد بها وجهه الله ﷻ ، ولكن خالط إرادته ونيتته شيئاً آخر ، كإرادة الدنيا، إما لقصد المال أو الجاه ؛ كالذي يُجاهد، أو يتعلم العلم ليأخذ مالاً، أو ليحتلّ منصباً ؛ أو يتعلم القرآن ، أو يُواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد ، أو نحو ذلك من الأعمال^(١) .

ثانياً : حكم هذا النوع، مع الدليل: إرادة الإنسان بعمله الدنيا محرّم، والدليل :

١- من كتاب الله ﷻ: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّهَا نَفَىٰ إِلَيْهَا أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِرُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَّوْا فِيهَا وَبَاطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥-١٦] ؛ فأخبر ﷻ أن من كانت الدنيا همّه وطلبته، حازاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يُفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعطى بها جزاء^(٢) .

٢- ومن السنة : عن أبي هريرة ؓ أن رجلاً قال : يا رسول الله ! رجل يُريد الجهاد ، وهو يتغنى عرضاً من أعراض الدنيا ؟ فقال رسول الله ﷺ : " لا أجر له " . فأعاد عليه ثلاثاً ، والنبي ﷺ يقول : " لا أجر له "^(٣) .

ثالثاً : الفرق بين الرياء والسُّمعة وبين إرادة الإنسان بعمله الدنيا : العامل بهذه الأنواع يعمل العمل الصالح مما يُتغنى به وجهه الله . ولكن المرآتي أو المسع يُريد رؤية الناس أو سماعهم، ويقصد من ذلك أن يمدحوه ويُعظّموه، ويطمع أن ينال الجلالة في أعينهم. أمّا من كان يُريد بعمله الدنيا ، فهو يعمل لأجل الدراهم ، أو لشيء من متاع الدنيا ، فهو أعقل من الأوّل ، وإن كان كلاهما خاسراً - والعياذ بالله-^(٤) .

(١) انظر بعض أنواع الشرك الأصغر للدكتور عواد بن عبدالله المعتق ص ٣١ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤٣٩/٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٢٩٠ ، والحاكم في المستدرک ٢/٨٥ وصحّحه ، وأبو داود في السنن ، كتاب الجهاد ، باب في من يغزو ويلتمس الدنيا . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٤٧٨/٢ .

(٤) انظر : تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٥٣٤-٥٣٥ . وبعض أنواع الشرك الأصغر للدكتور المعتق ص ٣١ .

- رابعاً : أقسام الناس في العمل ، وما يُريدون به : ينقسمون إلى أقسام ، منها :
- ١- قسم يُريدون بأعمالهم الدنيا فقط، ولا إرادة لديهم لله ، ولا همّ لهم له ، ولا طلب للآخرة . وهذا رياء محض ، وهو شركٌ أكبر يقع فيه المنافقون^(١) .
 - ٢- قسم يُريدون بأعمالهم الله ﷻ ، ولكن يُخالط إرادتهم وتبتهم شيئاً آخر ؛ كإرادة الناس -مثل يسير الرياء والسمة- ، أو إرادة المال ، أو المتاع -مثل من يعمل العمل أمام ولي المرأة ليوافق على زواجه منها ، أو يحفظ القرآن من أجل أن يُعَيّن إماماً في المسجد- . وهذا من الشرك الأصغر^(٢) ، وفاعله قد صار بإرادته لهذه الأشياء عبداً لها ، وينطبق عليه قول رسول الله ﷺ: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ والقَطِيفَةَ والخَمِيسَةَ"^(٣)، إن أُعْطِيَ رضي ، وإن لم يُعْطَ لم يَرْضَ"^(٤) .
 - ٣- قسم يعمل بطاعة الله مخلصاً له في ذلك ، ولكنه على عملٍ يكفره كُفراً يُخرجه من الإسلام^(٥) .

رابعاً ، الاستسقاء بالأنواء "النجوم"

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : المراد بالاستسقاء بالأنواء: الاستسقاء: طلب السُّقيا ، والمراد نسبة جيء المطر إلى الأنواء . والأنواء : جمع، مفردة نوء . والأنواء هي منازل النجوم، وهي ثمان وعشرون منزلةً ، يتزل كل ثلاث عشرة ليلة منزلةً منها . وسُمِّي نوءاً من ناء بنوء نوءاً ، إذا هض وطلع- ؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب -مع طلوع الفجر- ، ناء -هض وطلع- أخرى في

(١) تقدّمت الإشارة إلى هذا النوع ص ١٢٠ من هذا الكتاب .

(٢) وهو هذا النوع الذي بين أيدينا .

(٣) القَطِيفَةُ هي الخميصة، وهي ثوبٌ له حَمَلٌ من أي شيء كان. والخميصة هي ثوب خزّ أو صوف معلّم . (انظر : فتح الباري لابن حجر ٢٥٤/١١ . وتيسر العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٥٣٩) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب ما يُتَّقَى من فتنه المال .

(٥) انظر هذا القسم مع بقية الأقسام في : تيسر العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٥٣٦-٥٣٨ . وفتح الحميد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٥٤٠-٥٤١ . وبعض أنواع الشرك الأصغر للمعتق ص ٣٤ .

مقابلها في المشرق ، فتنقضي جميعاً مع انقضاء السنة ؛ (١٣×٢٨=٣٦٤) (١) .
وقد كانت العرب في الجاهلية تزعم أنه مع سقوط المذلة وطلوع رقيها يكون مطراً ،
وينسبون نزوله إليها ، فيقولون : مُطِرْنَا بنوء كذا (٢) ..

ثانياً : حكم هذا النوع ، مع الدليل : الاستسقاء بالأنواء محرّم ، والدليل :

١- من الكتاب : قول الله ﷻ : ﴿ وَجَعَلُونَ مِرْقًا كَدُّ الْكُدِّ بَيْنَ يَدَيْهِمْ لِيُحِطُوا بِالْيَوْمِ الَّذِي يَأْتِيهِمُ الْمَطَرُ الْبَاطِلُ ﴾ [البقرة: ٨٢] ؛
وتفسيرها : ما رواه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ؑ عن رسول الله ﷺ قال :
"﴿ وَجَعَلُونَ مِرْقًا كَدُّ الْكُدِّ ﴾ يقول : شُكْرِكُمْ ، ﴿ الْكُدُّ كَدُّ الْبُؤْسِ ﴾ : تقولون : مُطِرْنَا بنوء
كذا وكذا ، بنجم كذا وكذا" (٣) .

٢- من السنّة : ما رُوِيَ عن زيد بن خالد ؓ قال : صَلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة
الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال : "هل
تدرون ماذا قال ربكم" ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : "قال : أصبح من عبادي مؤمنٌ
بي وكافرٌ . فأما من قال : مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب ،
وأما من قال : مُطِرْنَا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب" (٤) .

ثالثاً : متى يكون الاستسقاء بالأنواء شركاً أكبر ، ومتى يكون شركاً أصغر ؟ المسألة فيها تفصيل ؛

١- من اعتقد أن للنجم تأثيراً - بدون مشيئة الله - ، فينسب المطر إلى النجم نسبة إيجاد
واختراع ، فهذا من الشرك الأكبر .

٢- من اعتقد أن للنجم تأثيراً - بمشيئة الله - ، والله جعل هذا النجم سبباً لتزول المطر ،
وأجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم . فهذا محرّم - على الصحيح - ،
وهو شرك أصغر .

(١) انظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ١٢٩/٢ . وفتح المحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٥٢ .

وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٤٥١ .

(٢) انظر المراجع نفسها .

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ، كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الواقعة ، وقال : حسن

غريب صحيح . وأحمد في المسند ١/١٠٨ ، ١٣١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم . وصحيح مسلم ، كتاب

الإيمان ، باب بيان كفر من يقول مطرنا بالنوء .

يقول الشيخ صديق حسن خان رحمه الله: "من قال: مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا، فلا يخلو : إما أن يعتقد أن له تأثيراً في نزول المطر، فهذا شرك كفر [أي أكبر]، وهو الذي يعتقدده أهل الجاهلية ؛ كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعاً ويدفع عنهم ضرراً . أمّا إذا قال مُطَرْنَا بنوء كذا مثلاً ، مع اعتقاد أن المؤثر هو الله وحده ، لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم ، فالصحيح أنه مجرم"^(١) ، وهو شرك أصغر^(٢) ؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر فيه ، وإنما هو فضلٌ منه ﷻ ورحمة ، يحبسها إذا شاء ، ويُترله إذا شاء"^(٣) .

خامساً : الحلف بغير الله

من أنواع الشرك الأصغر

- أولاً : الأمثلة عليه : كقول الرجل : وحياتي ، والنبي ، وأبي ، والكعبة ، وتربة فلان .. إلخ .
- ثانياً : حكمه ، مع الأدلة : هو محرّم ، وهو شرك أصغر - أصغر في مقابل الأكبر - ، وإلا فهو ليس بصغير؛ إذ هو أكبر من بقية الكبائر . وقد حذّر منه الرسول ﷺ لسدّ الطرق الموصلة إلى الشرك ، ولحماية جناب التوحيد، فيجب على العبد التسليم والإذعان .
- وقد دلّت الأدلة الكثيرة على تحريمه ، وعلى أنه من الشرك ، ومن تلك :
- ١- قول رسول الله ﷺ : "ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، مَنْ كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمّت"^(٤) .
- ٢- جاء رجلٌ إلى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، فقال : احلف بالكعبة . فقال : أحلفُ بربِّ الكعبة، فإنَّ عمرَ كان يحلفُ بأبيه ، فقال له النبي ﷺ : "لا تحلفُ بأبيك، فإنَّه من حلفَ بغير الله فقد أشرك"^(٥) .

(١) الدين الخالص لصديق حسن خان ١٢٩/٢-١٣٠ . وانظر : فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٥٥-٤٥٦ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٤٥٤-٤٥٥ . والمجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٣٩/٢-١٤٠ .

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله ص ٤٥٥ .

(٣) انظر فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٥٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأيمان ، باب لا تحلفوا بآبائكم .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦٩/٢ ، ٨٦ . وأبو داود في السنن ، كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء . والترمذي في الجامع الصحيح ، كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، وحسنه . والحاكم في المستدرک ١٨/١ ، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين .

٣- قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "لأن أحلف بالله كاذباً ، أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً"^(١) .

سؤال : لماذا فضل ابن مسعود رضي الله عنه الحلف بالله كاذباً على الحلف بغيره صادقاً ؟
أجاب الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله عن هذا السؤال بقوله : "لأن الحلف بالله توحيد ، والحلف بغيره شرك ، وإن قُدِّرَ الصدقُ في الحلف بغير الله ، فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق ، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك"^(٢) .

ثالثاً : هل تنعقد يمين الحالف بغير الله تعالى ؟ العلماء مجمعون على أن اليمين لا تنعقد إلا إذا حلف الإنسان بالله تعالى ، أو بأسمائه وصفاته . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وأما الحلف بغير الله ؛ من الملائكة ، والأنبياء ، والمشايخ ، والملوك ، وغيرهم ، فإنه منهى عنه ، غير منعقد باتفاق الأئمة ... فمن حلف بشيخه ، أو بتربته ، أو بحياته ، أو بحقه على الله ، أو بالملوك ، أو بنعمة السلطان ، أو بالسيف ، أو بالكعبة ، أو بأبيه ، أو تربة أبيه ، أو نحو ذلك ، كان منهياً عن ذلك ، ولم تنعقد يمينه باتفاق المسلمين"^(٣) .
وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : "اعلم أن اليمين لا تنعقد إلا بأسماء الله وصفاته ، فلا يجوز القسم بمخلوق"^(٤) .

رابعاً : متى ينقلب الحلف بغير الله إلى شرك أكبر ؟ ينقلب الحلف بغير الله إلى شرك أكبر إذا قام بقلب الحالف تعظيم من حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله تعالى^(٥) .
جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : "فإن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله ، فهو شرك أكبر . فإن كان جاهلاً عُلِّمَ ، فإن أصرَّ فهو والعالم ابتداء سواء ، كل منهما يكون مشركاً شركاً أكبر"^(٦) .

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف ٤٦٩/٨ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٧/٤ ، وقال : "رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح" .

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٥٩٤ . وذكر أنه نقله من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٠٦/١١ .

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ١٢٣/٢ .

(٥) انظر : الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٦) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث ٢٢٤/١ .

ساحداً : قول ما شاء الله وشئتَ ، ولولا الله وأنتَ ، ونحو ذلك

من أنواع الشرك الأصغر

تمهيد : من الشرك في الألفاظ : قول الرجل : ما شاء الله وشئتَ ، ولولا الله وأنتَ ، وما لي إلا الله وأنتَ ، وأنا متوكل على الله عليك ، وحسي الله وأنتَ ، ونحو ذلك من الألفاظ التي تجري على ألسنة الناس ، وفيها تسوية بين الخالق والمخلوق .

أولاً : حكمه ، مع الأدلة : هذا الأمر لا يجوز استعماله ، ولا التهاون في التلطف فيه ؛ لأنه نوعٌ من أنواع الشرك الأصغر ؛ إذ حرف الواو يقتضي التشريك ؛ فحين تقول : جاء أحمد وعليّ تكون قد سوّيتَ بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم - وهو المجيء - ؛ لأنّ الواو وضعت لمطلق الجمع ، وهي لا تُثيد ترتيباً ولا تعقيباً ، ووجودها فيه تسوية بين الخالق والمخلوق . ومعلوم أنّ التسوية بين الخالق والمخلوق شرك ، والله ﷻ ذكر أنّ من أسباب ضلال المشركين كونهم يُسوون الأنداد بربّ العالمين ، قال تعالى حاكياً عنهم قولهم في النار : ﴿ قَالُوا وَهَسُ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ * نالله إن كنا لفي ضلال مبين * ﴿ إِذْ نَسُوا كُفْرَهُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٨] .

وقد دلّت الأدلة الكثيرة على تحريم هذا النوع ، وعلى أنّه من الشرك ، ومن تلك :

١- قول الله ﷻ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢] . فسرها حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - بقوله : "الأنداد هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفا سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا للصوص ، ولولا القطّ في الدار لأتني للصوص ، وقول الرجل : ما شاء الله وشئتَ ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، هذا كلّهُ شرك" (١) .

٢- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء وشئتَ . قال : "أجعلتني لله نداً ، بل ما شاء الله وحده" (٢) .

٣- قول رسول الله ﷺ : "إذا حلفَ أحدُكم فلا يَقُلْ : ما شاء الله وشئتَ . ولكن ليَقُلْ : ما شاء الله ثمّ شئتَ" (٣) .

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيّد . (انظر فتح القدير للشوكاني ٥٢/١ . وتيسر العزيز الحميد للشيخ سليمان ص ٥٨٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٤/١ ، وقال أحمد شاكر رحمه الله ٢٥٣/٣ : إسناده صحيح .

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب الكفارات ، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئتَ . وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه ٣٦٢/١ .

٤- قول رسول الله ﷺ: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان" (١).

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: "هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، فكيف بمن يقول: أنا متوكّل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض... فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش! يتبيّن لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعل لله نداءً بها، فهذا قد جعل من لا يُداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء -بل لعله أن يكون له من أعدائه- نداً لرب العالمين" (٢).

ثانياً: كيف يتقوى هذا الشرك؟ أفضل سبيل للوقاية من هذا الشرك، وعدم الوقوع فيه، هو التزام ما علمنا إياه رسول الله ﷺ من استبدال الواو بـ"ثم"؛ فنعدل عن الواو التي تقتضي تسوية المخلوق بالخالق، إلى "ثم" التي تقتضي الترتيب والتراخي؛ فمثلاً: إذا قلنا: ما شاء وشئت -وعطفنا بالواو-، اقتضى ذلك التسوية بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق، أمّا إذا قلنا: ما شاء الله ثم شئت -وعطفنا بـ"ثم"-، فإنه يقتضي تقدم مشيئة الله ﷻ، وأنها فوق مشيئة المخلوق (٣).

فإذا عطفنا مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق ﷻ بـ"ثم"، فرّقنا بين المشيئتين، وقدمنا مشيئة الخالق ﷻ على مشيئة خلقه.

كذا الحوادث: تُسندها إلى الله ﷻ أولاً، ثم إلى المخلوق؛ فمثلاً إذا أردنا أن نقول: لولا وجود فلان لحصل كذا، نقول: لولا الله، ثم وجود فلان لحصل كذا، مع الاعتقاد بأن الأسباب ليست مستقلة بذاتها في التأثير، وإنما يكون تأثيرها بقدرة الله ومشيئته (٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٨٤/٥، ٣٩٤، ٣٩٨. وأبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب لا يقال خبث نفسي. وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩٤٠/٣.

(٢) الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٣٩-٢٤٠. وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ٣١٢/١.

(٣) انظر دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص ٦٥. وتيسر العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص ٥٩٥.

(٤) انظر بعض أنواع الشرك الأصغر للمعتق ص ٥٠.

سابعاً : الرقي

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : تعريف الرقي : الرقي لغة جمع رقية، وهي العوذة . أو ما يُعرف عند العامة بـ "العزيمة" ، أو "التعوذة" التي يُرقي بها صاحب الآفة - كالحُمى والصَّرَع - ، وتُقرأ على المريض أو اللديغ أملاً في شفائه^(١) .

ولا يبعد المعنى الشرعي للرقية عن المعنى اللغوي كثيراً ؛ فالرقية شرعاً : ما يُقرأ على المريض من الآيات القرآنية ، أو الأدعية المشروعة ، أو غيرها من الأدعية المباحة المحرّبة^(٢) .

ثانياً : نوعا الرقي : الرقي نوعان : شرعية ، وبدعية "وتدخل فيها الشركية" . وتوضح هذين النوعين يُمكن في الوقتين التاليتين :

الوقفه الأولى : مع الرقي الشرعية : الرقي مشروعة بإجماع العلماء إذا تحققت فيها شروط معلومة . شروط الرقية الشرعية : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : "وقد أجمع العلماء على جواز الرقي، عند اجتماع ثلاثة شروط :

أن يكون بكلام الله تعالى ، وبأسمائه وصفاته .

وباللسان العربي ، أو بما يُعرف معناه من غيره .

وأن يعتقد أن الرقية لا تُؤثر بذاتها ، بل بذات الله تعالى"^(٣) .

فالرقية الشرعية لا بُدّ أن تكون :

١- بشيء من كلام الله، أو توسلاً بأسمائه سبحان وصفاته، أو بأدعية مشروعة، أو مباحة.

٢- باللسان العربي ، أو بما يُعرف معناه من أية لغة أخرى .

٣- أن يكون فعلها صادراً عن عقيدة صحيحة بأن الشافي هو الله سبحان ، وأنه هو الضار

والنافع سبحان ؛ فلا يعتقد أنها تشفي بذاتها ، فإذا اعتقد ذلك ، كان شركاً أكبر ، وإن

اعتقد مقارنتها للشفاء - لا يحصل الشفاء إلا بوجودها - كان شركاً أصغر .

(١) انظر من كتب اللغة : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٠٩/٦ . ولسان العرب لابن منظور ٣٣٢/١٣ .

وتاج العروس للزبيدي ١٥٤/١٠ .

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٨٢/١ ، ٣٢٨ ، ، ١٩٥/١٠ .

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٠١/١٦٦ . وانظر أحكام الرقي والتامم للدكتور فهد السحيمي ص ٣٦-٤١ .

أدلة الرقية الشرعية : دلت الأدلة الكثيرة على جواز الرقى إذا تحققت فيها الشروط السابقة. ولكنرة هذه الأدلة صنفتها وفق موضوعها، واقتصرتُ على ذكر مثالٍ أو مثالين لكل موضوع.

١- إقرار رسول الله ﷺ لجماعة من أصحابه عرضوا عليه رُقاهم ؛ فعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كُنَّا نُرَقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ ﷺ: "اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَرِكٌ"^(١). وعن جابر ابن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلَ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقِيَةٌ نُرَقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرِ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى، قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: "مَا أَرَى بِأَسَا. مِنْ اسْتِطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ، فَلْيَفْعَلْ"^(٢).

٢- إقراره ﷺ لفريق من الصحابة فعلوا الرقية ؛ كإقراره ﷺ للرهط الذين نزلوا بأحد أحياء العرب، فُلِدِغَ سَيِّدِ الْحَيِّ، فَرَقَاهُ أَحَدُ الصَّحَابَةِ بِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ جُعَلًا، فَقَالَ ﷺ: "وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ"^(٣).

٣- فعله ﷺ الرقية بنفسه ؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمَعْوَذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ هَنَّ، وَأَمْسَحَ بِيَدِهِ نَفْسَهُ لِبَرَكَتِهَا"^(٤). قال معمر -أحد رواة هذا الحديث-: فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ -رَوَى شَيْخُهُ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ-: كَيْفَ يَنْفُثُ؟ قَالَ: كَانَ يَنْفُثُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ"^(٤).

٤- فعله ﷺ الرقية بغيره ؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، وَاشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي،

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك.

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والحمة والتملة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإحارة، باب ما يُعطى في الرقية، وكتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، وباب النفث في الرقية.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات، وباب النفث في الرقية، وباب المرأة ترقى الرجل.

لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يُغادر سقماً" (١). وعنها -رضي الله عنها- أنه ﷺ كان يقول للمريض: "بسم الله، تُربة أرضنا، يريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا" (١).

٥- أمره ﷺ بالرقية؛ فعن أم سلمة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفة (٢)، فقال: "استرقوا لها، فإن بها النظر" (٣).

وعن أفعاله ﷺ هذه مع الرقية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "كان ﷺ يرقى نفسه، وغيره، ولا يطلب من أحد أن يرقه" (٤).

ملاحظة: لا يتنافى التداوي بالرقى؛ من كتاب الله ﷻ، ومن سنة رسول الله ﷺ مع التوكل؛ لأن الله ﷻ جعل الرقى سبباً لدفع مكروهات كثيرة على لسان رسوله ﷺ، وقد تواتر فعل الرسول ﷺ للرقية بنفسه، وغيره، وأمره بها، وإقراره لصحابته على فعلها (٥). فالرقية مشروعة وهي من الأدوية الناجعة النافعة بإذن الله، إذا انضم إليها صدق القصد من جهة العليل، وقوة التوجه إلى الله من جهة المداوي، مع قوة القلب بالتقوى والتوكل على من يُذهب البأس (٦).

الوقف الثانية: مع الرقى البدعية: وتدخل فيها الشركية؛ لأن من البدع ما يكون شركاً. فالرقية الشركية هي كل رقية اشتملت على شرك؛ كالتقسيم بالمخلوقات من شمس، أو قمر، أو ملائكة، أو جن، أو غير ذلك؛ أو الاستغاثة بالمخلوقات فيما لا يقدر عليه إلا الخالق ﷻ؛ أو المشتملة على دعاء المخلوق من دون الله، ليكشف أمراً لا يكشفه إلا الله ﷻ، فهذا كلها شرك، لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتعاطاه (٧).

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، وباب مسح الراقي الروح بيده اليمنى.

(٢) السفة: حمرة في الوجه يعلوها سواد، أو في وجهها موضع على غير لونه الأصلي (فتح الباري ٢٠٢/١٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية العين.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٢٨/١.

(٥) انظر الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور علي العلياني ص ٣٣.

(٦) انظر: الجواب الكافي لابن القيم ص ٣٥. وفتح الباري لابن حجر ١٠٠/١٠.

(٧) انظر الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للعلياني ص ٥٩-٦١.

- ويدخل في الرقى البدعيّة: ما فقد شرطاً من شروط الرقية الشرعيّة^(١)، ومن ذلك^(٢):
- ١- إذا كانت الرقية سحرية؛ لأن الله حرم السحر، وبين أنه كفر، وأن الساحر لا يفلح أبداً. قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِأَبْلِ هَامِرُوتَ وَمَا رُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ قِسْمَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيُعَلِّمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفِرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَوَجْهِهِ وَمَا هُمْ بِضَاهِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذَنُ اللَّهُ وَيُعَلِّمُونَ مَا يَشْرُقُونَ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ وَكَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] .
 - ٢- إذا كانت الرقية بعبارات غير واضحة ، ومعنى غير مفهوم ، فهي رقية بدعيّة ؛ فإنّ ما لا يعقل معناه ، وما لا يفهم ميناه ، لا يؤمن أن يكون منه شرك ، وما كان مظنة الشرك ، فلا يجوز تعاطيه أبداً - من باب سدّ الذرائع-^(٣) .
 - ٣- ويدخل في هذا : ما كان بعبارات محرّمة ؛ كالسب ، والشتم ، واللعن ؛ فإنّ الله لم يجعل دواء أمة محمد ﷺ فيما حرّمه عليها، يقول ﷺ: "إنّ الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام"^(٤)، وهى ﷺ عن الدواء الخبيث^(٥) .
 - ٤- ألا تكون الرقية على هيئة محرّمة؛ كأن يتقصّد فعلها حال كونه جنبا، أو في مقبرة، أو حمّام ، أو وهو كاشف لعورته ، أو غير ذلك .
 - ٥- ألا يظنّ الراقي ، أو المرقى أنّ الرقية تستقلّ بالشفاء ، أو دفع المكروه وحدها . فإذا اعتقد أنّها تؤثر بذاتها ، فهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنّ الشافي هو الله وحده .

(١) التي تقدّم ذكرها في ص ١٣٧ من هذا الكتاب .

(٢) انظر في ذلك : الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للعلباني ص ٥٩-٧٣ .

(٣) انظر فتح المجد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ١٦٨-١٦٩ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٦٦-١٦٧ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب في الأدوية المكروهة .

(٥) مسند أحمد ٣٠٥/٢ . وسنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب في الأدوية المكروهة . وجامع الترمذي ، كتاب الطب ، باب من قتل نفسه بسم أو غيره . وسنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب النهي عن الدواء الخبيث . وصححه الألباني (انظر صحيح سنن أبي داود ٧٣٣/٢ . وصحيح سنن ابن ماجه ٢٥٥/٢) .

ثامناً : التمام

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : تعريف التمام: التمام لغة جمع تميمية ، وهي خرزات كان الأعراب يُعلقونها على أولادهم لدفع العين بزعمهم . أو قطعة من الجلد أو الورق ، يُكتب عليها أدعية وأوراد ، يُعلقها بعض الناس على مرضاهم ، بغرض دفع شرٍّ متوقع ، أو الشفاء من مرضٍ حاصلٍ وقَع^(١) . ويتضح من تعريف التميمية أنها كانت تتخذ لغرضين :

١- دفع الشرِّ المتوقع ؛ من مرض أو عين ، قبل أن يحصل (كالذي يُعلق على الصبيان ، أو الفرس ، أو المساكن ، أو السيارات ..) .

٢- دفع الشرِّ الذي وقع بالفعل (وهذا الذي يُعلق على المريض ..) .

ثانياً : حكم تعليق التمام : تعليق التمام من باب شرك الأسباب ، وهذا قد يكون أكبر ، وقد يكون أصغر ، حسب حال صاحبه ، ولذلك يُنظر في حال المتعلق، وفي حال المعلق . يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى عن التمام : "قد تكون شركاً أكبر إذا اعتقد معلق التميمية أنها تحفظه، أو تكشف عنه المرض، أو تدفع عنه الضرر، دون إذن الله ومشيتته"^(٢) ، ويقول رحمه الله في موضع آخر : "والصواب أن تعليق التمام ليس من الاستهزاء بالدين ، بل من الشرك الأصغر ، ومن التشبه بالجاهلية . وقد يكون شركاً أكبر على حسب ما يقوم بقلب صاحب التعليق من اعتقاد النفع فيها ، وأنها تنفع وتضرّ دون الله ﷻ ، وما أشبه هذا الاعتقاد . أمّا إذا اعتقد أنها سببٌ للسلامة من العين أو الجنّ ونحو ذلك ، فهذا من الشرك الأصغر ؛ لأنّ الله سبحانه لم يجعلها سبباً ، بل نهي عنها وحذّر ، وبين أنها شركٌ على لسان رسوله ﷺ ، وما ذاك إلا لما يقوم بقلب صاحبها من الالتفات إليها ، والتعلق بها"^(٣) . فتعليق التمام مع اعتقاد أنها سببٌ للسلامة من الشرِّ الواقع أو المتوقع: شرك أصغر . وتعليق التمام مع اعتقاد أنها تنفع وتضرّ دون إذن الله ومشيتته : شرك أكبر .

(١) انظر : فتح الباري لابن حجر ١٠/١٩٦ . ولسان العرب لابن منظور ١٢/٦٩-٧٠ .

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ٢/٣٨٤ .

(٣) قاله رحمه الله معلقاً على حواشي الشيخ حامد الفقي على كتاب "فتح المجد" حاشية رقم ١٣٣ .

ثالثاً : نوعا التمام : التمام نوعان ؛ محرمة ، ومختلفة فيها .

النوع الأول : التمام المحرمة: وهي التي جمعت أحد هذه الأمور (واحد يكفي كي تكون محرمة):

١- ليست من الكتاب ، ولا من السنة ، بل هي من طلاس اليهود ، أو المشركين ، أو مستخدمى الجن ، ونحوهم .

٢- إذا كانت من الخرز، أو الأوتار، أو الخلق من الحديد وغيره -كالأساور-؛ فإن تعليقها محرّم بلا ريب ؛ إذ ليست من الأسباب المباحة ، ولا الأدوية المعروفة^(١) .

٣- إذا كان فيها شرك ؛ كالأستغائة بأحد غير الله ﷻ .

٤- إذا كان صاحبها أو حاملها يعتقد أنها تنفع بذاتها ، وأنه إن رفعها بقي المرض^(٢) .

أدلة التمام المحرمة : جاءت أدلة كثيرة بتحريم التمام التي فيها أحد هذه الأمور السابقة ، ومن هذه الأدلة :

١- قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ

أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨] .

٢- قول رسول الله ﷺ : " مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ " ^(٣) .

٣- قول رسول الله ﷺ : " إِنْ الرُّقْيَ وَالتَّمَامَ وَالتَّوَلَّةَ ^(٤) شَرِكٌ " ^(٥) .

٤- قول رسول الله ﷺ : " مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ " ^(٦) .

(١) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٢ .

(٢) انظر: معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ١/٣٨٤ والتمائم في ميزان العقيدة للدكتور علي العلياني ص ٣٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٥٦ ، والحاكم في المستدرک ٤/٢١٩ . ورواه أحمد ثقات ، كما قال

الهيتمي في مجمع الزوائد ٥/١٠٣ . وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ٤٩٢) .

(٤) التولة : شيء تصنعه المرأة، تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر . (الدين الخالص ٢/٢٣٨) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٨١ . والحاكم في المستدرک ٤/٢١٧ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يُخرجاه،

ووافقه الذهبي . وأبو داود وابن ماجه في السنن ، كلاهما في كتاب الطب ، باب في تعليق التمام .

وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ٣٣١) .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٤/٣١٠-٣١١ . والترمذي في الجامع الصحيح، كتاب الطب ، باب ما جاء في

كراهية التعليق . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/٢٠٨ .

النوع الثاني : التمايم المختلف فيها : وهي التي جمعت الشروط التالية^(١) :

- ١- أن تكون بشيء من القرآن الكريم ، أو بالأدعية الصحيحة .
 - ٢- أن تكون بلغة عربية مفهومة ، أو بلغة أخرى يفهم معناها .
 - ٣- أن تكون خالية من الطلاسم ، والشركيات .
 - ٤- أن يكون صاحبها على عقيدة صافية ؛ بأنه لا يجلب النفع ولا يدفع الضر إلا الله .
- حكم هذا النوع من التمايم : هذا النوع من التمايم قد اختلف العلماء في حكمه ، فرأى بعضهم جوازه ، وبعضهم تحريمه . يقول الإمام أحمد : "التعليق كله يُكره ، والرقي ما كان من القرآن ، فلا بأس به"^(٢) .
- أدلة من قال بتحريم هذا النوع^(٣) :

- ١- عموم النهي الوارد في التمايم ، دون تخصيص نوع منها ؛ فقد جاء المنع من تعليق التمايم دون تفصيل . ولو كان تعليق التمايم مشروعاً ، لبينه رسول الله ﷺ كما بين الرقية وأذن فيها بقوله : "لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك"^(٤) .
- ٢- إن القول بجواز تعليق التمايم المختلف فيها قد يُعطل سنة الرقية المتفق عليها .
- ٣- إن القول بتعليق التمايم متردد بين الجواز والتحريم . وما كان كذلك فالأولى اجتنابه درعاً للمفاسد ، واتقاء للشبهات .
- ٤- تعليق التمايم وسيلة مفضية إلى الشرك؛ فقد يعتقد معلقها أنه لولا التمايم لحصل له كذا وكذا فيحصل فيها تعلق القلب ، فيفضي إلى اعتقاد أنها مؤثرة بذاتها . وهذا شرك . وسد الذرائع واجب ، ودفع المفاسد مقدّم على جلب المصالح^(٥) .

(١) انظر أحكام الرقي والتمايم للدكتور فهد السحيمي ص ٢٤٣ ، ٢٥٣ . .

(٢) مسائل الإمام أحمد برواية الكوسج ١٦٩/٢ . .

(٣) انظر التمايم في ميزان العقيدة للدكتور علي العلياني ص ٤٦-٥٠ .

(٤) تقدّم تخريج هذا الحديث ص ١٣٨ ، ح (١) . .

(٥) انظر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ٣٨٢/١ .

- ٥- يُوَدِّي تعليقها إلى حمل القرآن مِنَّن لا يفقه معناه ، ولا يعرف منزلته ، فلا يُوقِّره ، وقد يُعَرِّضُ آيات القرآن للامتحان ، سَيِّمًا إذا دخل به إلى دورات المياه ، أو الأماكن القذرة . وقد تبقى عليه وهو جُنُب ، كما أنَّها قد تُعَلِّقُ على الأطفال مع تلبَّسهم بالنجاسة .
- ٦- إنَّ غالب من يتعاطاها صناعة واستعمالاً لا يُعرفون بصحَّة الإيمان ، ولا بصلاح العمل .
- ٧- إنَّ عمل التمايم قد صار نوعاً من أنواع الأتجار بكتاب الله ودينه القويم ؛ ففي القول بجوازها فتح الباب أمام الدجَّالين والمشعوذين لعمل التمايم الشركيَّة ، والاتجار بها بحجَّة أنَّها من القرآن الكريم .

والقول بالمنع من تعليق التمايم هو الراجح -والله أعلم- ، لما تقدَّم (١) . وعلى هذا القول عددٌ كبير من الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين . قال إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ) : "كانوا يَكْرَهُونَ التمايم كُلَّها ، من القرآن وغير القرآن" (٢) . ومراده من قوله "كانوا" : أي أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهم من سادات التابعين (٣) .

تاسعاً : التَطْيِيرُ

من أنواع الشرك الأصغر

أولاً : تعريف التَطْيِيرِ : التَطْيِيرُ والطَّيْرَةُ : هي التَشَاوُمُ . وهو مصدر من تَطْيَرُ يَتَطْيَرُ تَطْيِراً وطَّيْرَةً . يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : "وأصل التَطْيِيرِ أَنَّهُمْ كانوا في الجاهليَّة يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأى الطير طار بمنة تيمَّن به واستمرَّ ، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع . وربما كان أحدهم يُهَيِّجُ الطيرَ ليطير، فيعتمدها . فجاء الشرع بالنهي عن ذلك" (٤) .

(١) انظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٥٨/١ .

(٢) المصنَّف لابن أبي شيبة ٣٧٤/٧ .

(٣) انظر : فتح المحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ١٧٦-١٧٧ . وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبد الله ص ١٧٤ .

(٤) انظر : فتح الباري لابن حجر ٢١٢/١٠ . وفتح المحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٤٢٤ .

وكانوا يُسمونه السانح ، والبارح ؛ "فالسانح ما ولأك ميامنه ، بأن يمرّ عن يسارك إلى يمينك . والبارح بالعكس . وكانوا يَتِيمَنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح ؛ لأنه لا يُمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه . وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه . وإلّا ما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له ؛ إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدلّ بفعله على مضمون معنى فيه ، وطلب العلم من غير مظانّه جهل من فاعله" (١) .

ولم يقتصر التطيّر على الطيور والحيوانات ، بل انسحب هذا الاعتقاد على غير الطير ؛ فلقد كانوا يتشاءمون ببعض الأشهر ؛ كشهر صفر الذي كان يمتنع بعضهم عن الزواج فيه أو السفر .

كذلك كانوا يتشاءمون من المرضى ، فيمتنعون عن مجالستهم ، أو ما كلتهم . وكذا كانوا يتشاءمون بذي العاهة ؛ كالأعرج ، والأعور ، وغيرهما .

ثانياً : من الأدلة على تحريم التطيّر :

- ١- قول الله ﷻ عن آل فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ قال فرعون كانوا إذا أصابهم بلاء وقحط تطيروا -تشاءموا- بموسى الطيّار ومن معه، وقالوا: هذا بسبب موسى وأصحابه ، أصابنا بشؤمهم . فأخبر ﷻ أن ما قضى عليهم وقدّر لهم ، إنّما جاءهم من قبل كفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله (٢) . ففي هذه الآية نهي عن التطيّر ، ووعيد فيه (٣) .
- ٢- قول رسول الله ﷺ : " لا عَدْوَى ولا طَيْرَةَ ... " (٤) .

(١) فتح الباري لابن حجر ٢١٢/١٠-٢١٣ . وانظر : الدين الخالص لصديق حسن خان ١٤٢/٢-١٤٣ .

والأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٦٢ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري

(٣) انظر فتح المجدد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٢٤ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الطيرة . وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب لا عدوى .

٣- قول رسول الله ﷺ : "لا طيرة ، وخيرها الفأل" . قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسميها أحدكم" (١) .

ما الفرق بين الطيرة وبين الفأل ؟ الطيرة سوء ظن بالله ﷻ ، وصرف شيء من حقوقه ﷻ لغيره ، وتعلق للقلوب بمخلوق لا ينفع ولا يضر . والفأل حُسن الظن بالله ﷻ ، والرسول ﷺ "إنما كان يُعجبه الفأل ؛ لأنّ التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن ظن به ﷻ ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال" (٢) .

٤- قول رسول الله ﷺ : "الطيرة شرك ، الطيرة شرك . وما منّا إلا ، ولكن الله يذهب بالتوكل" (٣) . وزيادة : "وما منّا إلا ، ولكن الله يذهب بالتوكل" : أي وما منّا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك ، ولكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر ، أذهب الله عنا بتوكلنا عليه وحده (٤) .

ثالثاً : حكم الطيرة : الطيرة محرمة شرعاً ، وهي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد ، لما فيها من سوء الظن بالله ، وتعلق القلوب بغيره ، وصرف شيء من حقوقه لغيره . وتنقلب إلى شرك أكبر إذا اعتقد أنّ هذه الأشياء التي تطير بها فاعلة بنفسها ، أو سبب مؤثر في جلب النفع ودفع الضر . وقد تقدّم قوله ﷺ : "الطيرة شرك .." .

رابعاً : حصول التطير عند بعض المؤمنين ، وعلاجه : الطيرة التي في الأفعال والأقوال تكون من بعض المؤمنين؛ فقد يقع في نفس الإنسان شيء من التطير ، ولكن الله يذهب بالتوكل عليه .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الطيرة ، وباب الفأل . وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشوم .

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٠/٢١٥ . وانظر : حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢/٩٨ . وفتح المجد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٣٤-٤٣٥ . والأسئلة والأجوبة في العقيدة للأطرم ص ٦٥ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطب ، باب في الطيرة ، والترمذي في جامعه ، كتاب السير ، باب ما جاء في الطيرة - وقال : هنا حديث حسن صحيح - ، وابن ماجه في سننه ، كتاب الطب ، باب من كان يعجبه الفأل ، ويكره الطيرة . وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ٤٢٩) .

(٤) انظر فتح المجد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٤٠ .

فالتطير أمرٌ قد يقع من الإنسان ، كما قال ذلك الصحابي لرسول الله ﷺ : ومثلاً أناسٌ يتطيرون . قال ﷺ : "ذلك شيءٌ يجده أحدكم في نفسه ، فلا يصدنكم" (١) ؛ فأخبر ﷺ أن تأذي الإنسان وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته ، لا في التطير به ، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يُطيره ويصدّه (٢) .

والطيرة هي ما أمضاك ، أو ردك ، كما قال رسول الله ﷺ : "من ردته الطيرة عن حاجته ، فقد أشرك" . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : "أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك" (٣) .

وهذا من العلاج ؛ فإن الإنسان إذا "قال ذلك ، وأعرض عما وقع في قلبه ، ولم يلتفت إليه ، كفر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداءً ، لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمن للاعتماد على الله وحده ، والإعراض عما سواه" (٤) .

فعلاج هذا التطير الذي يقع في نفس الإنسان ، يكون بصدق التوكل على الله ﷻ ، واعتقاد أنه وحده هو النافع والضار . ويُضاف إلى صدق الالتجاء : الدعاء الذي علمناه الرؤوف بنا ، الحريص علينا ﷺ ، وقد تقدم : "اللهم لا خير إلا خيرك ..."

وكذلك الدعاء الآخر : "... فإذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك" (٥) ؛ "ففيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضرر ، وهذا هو التوحيد ، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة ، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ، ولا تدفع ضرراً" (٦) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

(٢) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٤٣٠ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٢٠/٢ . والطبراني في المعجم الكبير ١٠٥/٥ . وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ١٠٦٥) .

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٤١ .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطب ، باب في الطيرة . وإسناده ضعيف كما ذكر الألباني في ضعيف الجامع رقم ١٩٩ .

(٦) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٣٨ .

المبحث الثالث

وسائل الشرك المنافية للتوحيد ، أو لكماله

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : التوسُّل البدعي ، مع الإشارة إلى التوسُّل المشروع وأنواعه .

المطلب الثاني : اتخاذ القبور مساجد ، والبناء عليها ، والصلاة إليها .

المطلب الثالث : الغلو في الأنبياء والصالحين ، والتبرك بآثارهم .

المطلب الرابع : الأعياد والاحتفالات البدعيَّة .

مَهَيَّنَا : رسول الله ﷺ حَمَى جناب التوحيد من كل ما ينقضه ، أو يُنقصه ، وحذّر أمته من المساس به ، وسدَّ كلَّ طريق يُؤدِّي إلى نقيضه ، أو يُخدش كماله ، وشبّه حرصه على أمته بقوله : "إنما مثلي ومثل النَّاس كمثل رجلٍ استوقد ناراً، فلماً أضاءت ما حوله جعل الفَرَاش وهذه الدواب التي تقع في النَّار يقعن فيها، فجعل الرجل يحجزهنّ ، ويغلبته ، فيتقحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النَّار : هلمّ عن النار ، هلمّ عن النَّار ، فتغلبوني، تقحّمون فيها"^(١). فهو الرحيم بأمته ﷺ، الرؤوف بهم، الحريص على وقايتهم من سبل الغواية ، وحمايتهم من كلِّ ما يكون سبباً في هلاكهم .

ولكنَّ بعض هذه الأمة عصت نبيّها بفعل بعض ما لهاها عنه وحذرها منه ، وآبعت خطوات الشيطان الذي زَيّن لهم الباطل ودعاهم إليه ، وكانت من نتيجة هذا العصيان: الوقوع في نقيض التوحيد^(٢) ، أو فيما يُنقص من كماله^(٣) .

ولا ريب أن هؤلاء قبل أن يقعوا فيما وقعوا فيه ، كانوا قد سلكوا وسائل حذروا من سلوكها ، وطرقاً كان قد طُلب منهم أن لا يطرقوها .
ومعرفة هذه الوسائل من الأمور المعينة على تجنّبها .
ويُمكن بيان بعضها في المطالب التالية :

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي . وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب شفقتة ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيره ممّا يضرهم .

(٢) نواقض التوحيد هي : الأمور التي إذا وجدت عند العبد خرج من دين الله بالكلية ، وأصبح بسببها كافراً، أو مرتدّاً عن دين الإسلام . وهي كثيرة ، تجتمع في الشرك الأكبر ، والكفر الأكبر ، والنفاق الأكبر . (انظر مذكرة العقيدة الإسلامية للدكتور عبد الله بن حبرين ص ٦١) .

(٣) منقصات التوحيد هي : الأمور التي تُنافي كمال التوحيد ، ولا تنقضه بالكلية . فإذا وُجدت عند المسلم نقص توحيديه ، ولم يخرج من دين الإسلام . وهي المعاصي التي لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر ، أو الكفر الأكبر ، أو النفاق الأكبر . وعلى رأس هذه المعاصي : الشرك الأصغر ، والكفر الأصغر ، والنفاق الأصغر . (انظر المرجع السابق) .

المطلب الأول

التوسل البدعي ، والتوسل الشرعي ، وأنواعه

سبب إدخال التوسل في هذا المبحث : إئنا أدخلنا التوسل في الوسائل المنافية للتوحيد أو لكماله ، لأن التوسل إلى الله بذات أو جاه أحد مخلوقاته محذور من وجهين : أحدهما أنه أقسم على الله في دعائه بأحد مخلوقاته ، ولا يجوز الحلف بغير الله ﷻ كما تقدم^(١) . والمحذور الثاني أنه اعتقد أن لأحد على الله حقاً . وليس للعباد حق على الله إلا ما أوجه ﷻ على نفسه من نصرة المؤمنين ، وإنجاء الموحدين ، وإثابة المطيعين ، واستجابة دعاء الداعين^(٢) .

معنى التوسل لغةً : يُقال : وسَلَ فلانٌ يسألُ إلى الله بالعمل وسلاً : رَغِبَ وتَقَرَّبَ . ووسَّلَ فلانٌ إلى الله ، وتوسَّلَ وسيلةً وتوسيلاً : أي عَمَلَ عملاً تقرب به إليه . وأنا متوسِّل إليه بكذا ، وواسِلٌ ، ووسَّلتُ إليه ، وتوسَّلتُ إلى الله بالعمل : تقَرَّبتُ^(٣) .

معنى التوسل شرعاً : يُعرَّفُ التوسلُ شرعاً بأنه : التقربُ إلى الله ﷻ بطاعته ، وعبادته ، واتباع رسوله ﷺ ، وبكل عمل يُحبُّه ويرضاه^(٤) . أو : عبادة يُراد بها التوصلُ إلى رضوان الله والجنة^(٥) .

من أدلة التوسل الشرعي :

١- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥] ؛ أي تقربوا إلى الله بطاعته ، والعمل بما يُرضيه^(٦) .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ مَرْحَمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُومًا ﴾ [الاسراء: ٥٧] ، والوسيلة : هي القرية^(٧) .

(١) انظر ص ١٣٣-١٣٤ من هذا الكتاب .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/٢٩٤-٢٩٦ .

(٣) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٧٥ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٣٧٨ . ولسان العرب لابن منظور ١١/٧٢٤ . والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥/١٨٥ . والمعجم الوسيط ص ١٠٣٢ .

(٤) انظر التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي ص ١٢ .

(٥) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين ٥/٢٧٩ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/١٥٩ . وتفسير ابن كثير ٢/٥٥ .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٥٥ . وأضواء البيان للشنقيطي ٢/٨٦ .

أقسام التوسُّل : التوسُّل ينقسم إلى قسمين : توسُّل شرعيّ ، وتوسُّل بدعي .
فالتوسُّل الشرعيّ : هو ما كان ثابتاً بالشرع ؛ بأن يدلّ عليه دليل من الكتاب أو السنة ؛
والتوسُّل البدعيّ : هو ما لم يدلّ على جوازه دليلٌ ، أو وُجِدَ الدليل ، ولكنه لم يثبت ،
وَوُجِدَ من الأدلّة الثابتة ما يُناقضه^(١) .

أنواع التوسُّل الشرعي وأدلته

التوسُّل المشروع هو كلّ توسُّل دلّ على جوازه نصّ من الكتاب أو السنّة . والمراد به
هنا : اتخاذ وسيلة لإجابة الدعاء ؛ بأن يجعل الداعي في دعائه ما يكون سبباً في قبوله^(٢) .
وهذا التوسُّل لا يُعلم إلا من طريق الشرع . وهو أنواع ، منها^(٣) :

١- التوسُّل بالله ﷻ ؛ بذاته المقدّسة، أو بأسمائه الحسنى، أو صفاته العلى، أو أفعاله. ودليل
ذلك قوله ﷻ : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَمُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
[الأعراف: ١٨٠]، وقوله ﷻ في دعائه: .. أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته
أحداً من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ...^(٤) .

٢- التوسُّل بالأعمال الصالحة. ودليل ذلك من كتاب الله، قوله ﷻ : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ
الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ومن السنّة : قصة النفر
الثلاثة الذين توسَّلوا بأعمالهم الصالحة ؛ من برّ الوالدين، وترك الفواحش، وأداء الحقوق ،
فاستجاب الله ﷻ لهم^(٥) .

(١) انظر شرح نواقض التوحيد لحسن بن علي العواجي ص ٤١ .

(٢) انظر التوسل حكمه وأقسامه لابن عثيمين والألباني ص ١٣ .

(٣) انظر شرح نواقض التوحيد للعواجي ص ٤٢-٤٣ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٣٩١ ، وقال أحمد شاکر في تحقيقه للمسند رقم ٣٧١٢ : إسناده

صحيح . وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ١٩٩) .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين . (صحيح البخاري ، كتاب الأجر ، باب من استأجر أحريراً

فترك أحره . وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة) .

٣- التوسُّل بدعاء الغير . ودليل ذلك قوله ﷺ حكاية عن أبناء يعقوب الطيبين : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَفْرِكْنَا ذُنُوبَنَا بِمَا كُنَّا حَاطِينَ ﴾ [يوسف: ٩٧] ، ومن السنة دعاؤه ﷺ لعُكَّاشَةَ بنِ مَحْصَنٍ ؓ أن يجعله الله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب - لما سأله ذلك -^(١) . والأدلة على أنواع التوسُّل المشروع من الكتاب والسنة كثيرة جداً ، وما ذكرته قليلٌ من كثير .

التوسُّل البدعي

سبق الحديث عن أنواع التوسُّل المشروع ، وذكرنا منها : التوسُّل بدعاء الغير ، ومثلنا له بصنيع الصحابة ؓ ، وتوسُّلهم بدعاء النبي ﷺ . وهذا النوع هو الذي أسيء فهمه ؛ فظن المخالفون للكتاب والسنة أن المراد التوسُّل بشخصه ﷺ . مع أن الصحابة ؓ ، إنما كانوا يتوسَّلون بدعائه - عليه الصلاة والسلام - حال حياته ؛ كما فعل ذلك الأعرابي الذي دخل عليه وهو يخطب ، فسأله الدعاء^(٢) ؛ وكذلك الصحابي الذي سأله أن يدعو الله أن يجعله ممن يدخلون الجنة بغير حساب^(٣) ، وغير ذلك . وهذا التوسُّل إنما يكون في حياته ﷺ ، أمَّا بعد موته ، فلا يجوز . من أجل هذا لما أجذب الناس في عهد عمر ؓ لم يطلبوا من النبي ﷺ أن يستسقي لهم ، بل استسقى عمر ؓ بالعبَّاس ؓ عمُّ رسول الله ﷺ ، وكان ممَّا قاله : "اللهمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِنَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا"^(٤) . فسقاهم الله ﷻ .

(١) أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين . (صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى

غيره . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة . وصحيح مسلم ، كتاب

صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء .

(٣) تقدَّم تخريجه في ح (١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا .

وهذا توسُّل من الصحابة ﷺ بدعاء العباس ﷺ، لا بذاته حال حياته، وهو شبيهة بتوسُّلهم بدعاء نبيهم ﷺ في حياته . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وأما التوسُّل بالنبي ﷺ والتوجُّه به في كلام الصحابة ﷺ ، فيريدون به التوسُّل بدعائه وشفاعته"^(١) .

والتوسُّل بدعائه ﷺ مقيد بقيدتين : أحدهما : أن يكون التوسُّل حال حياته ﷺ . وهذا يوضحه توسُّل عمر ﷺ بالعباس ﷺ بعد موت النبي ﷺ . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وأما التوسُّل بدعائه وشفاعته - كما قال عمر - ، فإنه توسُّل بدعائه لا بذاته . ولهذا عدلوا عن التوسُّل به ﷺ إلى التوسُّل بعمه العباس . ولو كان التوسُّل بذاته ، لكان هذا أولى من التوسُّل بالعباس ، فلما عدلوا عن التوسُّل به ﷺ إلى التوسُّل بالعباس ، علِمَ أن ما كان يُفعل في حياته قد تعدَّر بموته ، بخلاف التوسُّل الذي هو الإيمان به والطاعة له، فإنه مشروع دائماً"^(٢) . هذا عن القيد الأول . أمَّا الثاني: فهو خاص بالتوسُّل به، وهو النبي ﷺ حال حياته، فلا بُدَّ أن يقوم بعمل ما . وهذا يؤكد أن التوسُّل ليس بذاته ، وإنما هو بدعائه وتضرَّعه إلى الله . ويوضح ذلك فعل النبي ﷺ عندما توسَّل الأعرابي بدعائه وهو على المنبر: رفع يديه، وقال : "اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا"^(٣) .

فالتوسُّل المشروع: ما كان بدعائه ﷺ حال حياته، لا كما فهم من خالف قوله الكتاب والسنة: أنه توسُّل بالشخص أو الذات أو الجاه ، لا بالدعاء ، فأحدثوا عبادة لم ترد في النصوص الشرعية ، فسُمِّيَ ما أحدثوه بدعة، وأطلق على التوسُّل الذي أحدثوه: "التوسُّل البدعي" . وقد تمسَّك هؤلاء بأدلة من تأملها وجدَّ أنها حجة عليهم ، لا لهم . ومن هذه : حديث استسقاء عمر بالعباس ، وقد تقدَّم أنه نصٌّ في أن التوسُّل بدعاء الشخص ، يكون حال حياته ، لا بعد مماته ، بدليل عدول الصحابة ﷺ ، وهم أفضل الأمة عن التوسُّل به ﷺ بعد موته إلى التوسُّل بعمه العباس ﷺ^(٤) .

(١) قاعدة حليلة في التوسُّل والوسيلة لابن تيمية ص ٨٠-٨١ .

(٢) قاعدة حليلة في التوسُّل والوسيلة لابن تيمية ص ٨٢ .

(٣) تقدَّم تخريجه ص ١٥٤ ، ح (٢) من هذا الكتاب .

(٤) انظر ما تقدَّم في هذه الصفحة والتي قبلها . وانظر كتاب التوسُّل حكمه وأقسامه ص ٤٥-٥٧ .

ومنها حديث الأعمى الذي سأل رسولَ الله ﷺ أن يدعو الله له أن يُعافيه، فعلمه رسول الله ﷺ دعاء يدعو به بعد أن يتوضأ ويصلي ركعتين -كوسيلة بين يدي الدعاء-^(١) . وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ، ودلائل نبوته، ودعائه المستجاب ، وما أظهره الله بركة دعائه من الخوارق؛ فإنه ﷺ بدعائه لهذا الأعمى، ردَّ الله ﷻ عليه بصره، لا بتوسل الأعمى بذاته ﷺ وجاهه . ولو كان السرّ في دعاء الأعمى وحده وتوسلته بذات النبي ﷺ وجاهه دون دعائه، لكان كلّ من دعا بهذا الدعاء من العميان مخلصاً، يُعافى من وقته أو بعد حين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وكذلك لو كان كلّ أعمى توسّل به ولم يدع له الرسول ﷺ بمنزلة ذلك الأعمى، لكان عميان الصحابة، أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى . فعُدوهم عن هذا إلى هذا سمع أنّهم السابقون الأوّلون؛ المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فإنهم أعلم منا بالله ورسوله ﷺ ، وما يُشرع من الدعاء وما ينفع ، وما لم يُشرع ولا ينفع وما يكون أنفع من غيره ، وهم في وقت ضرورة ومحمصة وحذب يطلبون تفريج الكربات ، وتيسير العسير ، وإنزال الغيث بكل طريق ممكن - دليلٌ على أن المشروع ما سلّكوه دون ما تركوه"^(٢) .

واستدلال المخالفين بحديث الأعمى على جواز التوسّل بالذات أو الجاه مردود لما يلي:

- ١- إنّ الأعمى إنّما جاء طالباً الدعاء . فالمسألة من بدايتها توسّل بدعاء النبي ﷺ .
- ٢- إنّ رسول الله ﷺ وعده بالدعاء، وهو ﷺ لا يخلف وعده أبداً . وقد دعا له كما وعده .
- ٣- إنّ رسول الله ﷺ علّم الأعمى دعاء يدعو به ، وفيه قوله : "اللهم شفّعني فيّ ، وشفّعني فيه" . والشفاعة هي الدعاء . "شفّعني فيّ" : أي شفّع نبيك ﷺ فيّ ، أي اقبل دعاءه لي بأن تردّ عليّ بصري . "وشفّعني فيه" ؛ أي اقبل دعائي في أن تقبل دعاء النبي ﷺ لي^(٣) .

وثمة أدلة أخرى استدلووا بها، كلّها في مصافّ الموضوعات، التي لا تنهض بها الحجّة^(٤) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٣٨/٤ . والترمذي في جامعه ، كتاب الدعوات ، باب ١١٩ . وقال :

حسن صحيح غريب . والحاكم في المستدرک ٥١٩/١ ، وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٢٦/١ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢٨٧/٢-٣٨٧ . والتوصل إلى حقيقة التوسل للرافعي ص

٢٢٩-٢٣٢ . والتوسل حكمه وأقسامه ص ٥٩-٦٦ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٤/١-٣٦٨ . وكذلك : ما جمعه علي بن حسين أبو

لوز من شبهاتهم في كتاب : التوسل حكمه وأقسامه ص ٧٩-١٠٣ .

المطلب الثاني

اتخاذ القبور مساجد، والبناء عليها، والصلاة إليها

من الوسائل المفضية إلى الشرك

تمهيد: ذكرنا فيما مضى أن رسولنا ﷺ كان حريصاً على حماية جناب التوحيد^(١).

ومن مظاهر حرصه ﷺ، تلك الأحاديث الكثيرة التي قالها يُحذّر أمته عن سلوك الطرق التي تُفضي إلى الشرك؛ من اتخاذ القبور مساجد، أو البناء عليها، أو الصلاة إليها .
ويُمكن تصنيف هذه الأحاديث وفق الموضوعات التالية :

أولاً- أحاديث تنهى عن اتخاذ القبور مساجد ، أو البناء عليها : ومنها :

١- ما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأها بأرض الحبشة ، وما فيها من الصّور، فقال ﷺ : " أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله"^(٢) . ويلاحظ الوعيد في هذا الحديث في قوله ﷺ : " أولئك شرار الخلق عند الله " ، وهذا الوعيد يتناول من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، ومعنى اتخاذها مساجد: أي بناء المساجد عليها^(٣) . ومعلوم أن الفتنة بالقبور كالفتنه بالأصنام ، أو أشدّ . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور ، هي التي أوقعت كثيراً من الأمم ، إمّا في الشرك الأكبر ، أو فيما دونه من الشرك ... فإن الشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر . ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد ..."^(٤) . فنهى ﷺ عن بناء المساجد عليها حسماً لمادة الشرك ، وسدّاً للطرق المفضية إليه .

(١) انظر ص ١٥١ من هذا الكتاب .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : هل تُنبش قبور مشركي الجاهلية ويُتخذ مكانها مساجد ؟ وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر ٥٢٤/١ .

(٤) نقل ذلك عنه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتاب فتح المجد شرح كتاب التوحيد ص ٣١٢ .

٢- ما روته أم المؤمنين عائشة ، وابن عباس رضي الله عنهما ، قالوا : لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : "لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يُحذَّر ما صنعوا . قالت عائشة رضي الله عنها : ولولا ذلك لأبرَزَ قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً^(١) ؛ أي لولا نهي ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور لكُشِفَ قبر النبي ﷺ ، ولم يتخذ عليه الخائل . فلعن -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث من كان قبلنا ، وأنكر عليهم . وإنكاره صنعهم هذا يخرج على وجهين : "أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لهم . والثاني : أنهم يُحوِّزون الصلاة في مدافن الأنبياء والسجود في مقابرهم ، والتوجه إليها حالة الصلاة نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله ، والمبالغة في تعظيم الأنبياء . والأول هو الشرك الجليّ ، والثاني الخفي ، فلذلك استحقوا اللعن"^(٢) .

٣- ما رواه جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، إني أنهيهم عن ذلك"^(٣) . ولهذا النهي منه ﷺ "بالغ المسلمون في سدِّ الذريعة في قبر الرسول ﷺ ، فأعلوا حيطان ثرثته ، وسدُّوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقةً بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين ، فتصوروا الصلاة إليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وتحرفوها حتى التقيا على زاوية مثلث من جهة الشمال ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره"^(٤) .

٤- ما رواه جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال : نهي رسول الله ﷺ أن يُحصَّصَ القبر ، وأن يُقعد عليه ، وأن يُبنى عليه"^(٥) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب ٥٥ . وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٣٢٧ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٤) المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي ٩٣٢/٢ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه .

ويُلاحظ النهي عن البناء على القبور في هذه الأحاديث ، واللعن على ذلك . "فهذا التحذير منه ﷺ ، واللعن عن مشاهة أهل الكتاب في بناء المساجد على قبر الرجل الصالح صريحٌ في النهي عن المشاهة في هذا ، ودليلٌ على الحذر من جنس أعمالهم ؛ حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن تكون من هذا الجنس . ثم من المعلوم ما قد ابتليَ به كثيرٌ من هذه الأمة ؛ من بناء المساجد على القبور ، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء . وكلا الأمرين محرّمٌ ، ملعونٌ فاعله بالمستفيض من السنّة" (١) .

٥- ما رواه أبو الهيثاج الأسدي ، قال : قال لي علي بن أبي طالب ﷺ : ألا أبغثك على ما بغثني عليه رسول الله ﷺ : "أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سوتته" (٢) ؛ ففسي قوله : "أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته" : الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح (٣) . وقوله : "ولا قبراً مشرفاً إلا سوتته" : أي لا يرفع القبر على الأرض رفعاً كثيراً ، ولا يُسنم ، بل يُرفع نحو شبر ، ويُسطح (٤) .

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله : "اعلم أنه اتفق الناس سابقهم ولاحقهم ، وأولهم وآخرهم ، من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هذا الوقت : أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها ، واشتدّ وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها" (٥) . وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : "والتحقيق الذي لا شك فيه : أنه لا يجوز البناء على القبور ، ولا تخصيصها" (٥) ... واستدلّ بالحديثين السابقين .

ثانياً : أحاديث تنهى عن الصلاة إلى القبور ، أو اتخاذها عيداً : ومنها :

الأحاديث التي تقدّمت بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد ، دليلٌ واضحٌ في النهي عن الصلاة إليها؛ لأن من قصد القبور للصلاة عندها ، أو إليها ، فقد اتخذها مساجد وأعياداً ، وارتكب ما نهى الله ورسوله عنه ، ووقع في وسيلة من وسائل الشرك الأكبر (٦) .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢٩٥/١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه .

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٣٦/٧ .

(٤) شرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني ص ١٧ .

(٥) أضواء البيان للشنقيطي ١٧٧/٣-١٧٨ .

(٦) انظر الإرشاد إلى توحيد رب العباد للشيخ عبد الرحمن بن حماد آل عمر ص ٩٧ .

وقد دلت أحاديث كثيرة على تحريم الصلاة إلى القبور، أو اتخاذها عيداً، ومن ذلك :

١- ما رواه أبو مرثد الغنوي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تُصَلُّوا إلى القبور ، ولا تجلسوا إليها" ^(١) ؛ ففيه "تصريحٌ بالنهي عن الصلاة إلى قبر . قال الشافعي رحمه الله : وأكره أن يُعظَّم مخلوقٌ حتى يُجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس" ^(٢) . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذا الحديث : " فلا يجوز أن يُصَلَّى إلى شيء من القبور؛ لا قبور الأنبياء ولا غيرهم، لهذا الحديث الصحيح . ولا خلاف بين المسلمين أنه لا يشرع أن يقصد الصلاة إلى القبر ، بل هذا من البدع المحدثه ، وكذلك قصد شيء من القبور لا سيما قبور الأنبياء والصالحين عند الدعاء . وإذا لم يجوز قصد استقباله عند الدعاء لله تعالى ، فدعاء الميت نفسه أولى أن لا يجوز ، كما أنه لا يجوز أن يُصلي مستقبله ، فلأن لا يجوز الصلاة له بطريق الأولى" ^(٣) .

٢- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلُّوا عليّ ، فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم" ^(٤) . فإذا كان هذا في حق قبره ﷺ الذي هو أفضل قبرٍ على وجه الأرض ، فكيف بقبر غيره من البشر . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذا الحديث : "وجه الدلالة : أن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبرٍ على وجه الأرض . وقد هي عن اتخاذ عيداً . فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان . ثم إنه قرن ذلك بقوله ﷺ : (ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً) : أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة ، فتكون بمنزلة القبور . فأمر بتحريّ العبادة في البيوت ، وهي عن تحريّها عند القبور" ^(٥) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٨/٧ .

(٣) قاعدة حليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٦٧/٢ . وأبو داود في السنن ، كتاب المناسك ، باب زيارة القبور .

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٨٣/١ .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٦٥٧/٢ .

وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله أن من أعظم المحدثات وأسباب الشرك بالقبور : الصلاة عندها ، واتخاذها مساجد ، وبناء المساجد عليها . وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه ^(١) .

ولصحة هذه النصوص وتواترها عن النبي ﷺ ، وتنوع الوعيد الوارد فيها ، أجمع أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من سلف هذه الأمة وجميع من سار على هجهم على تحريم اتخاذ المساجد على القبور ، أو البناء عليها ، أو الصلاة إليها . "ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله ﷺ فاعليه تحذيراً لأئمة أن يفعلوه معه ﷺ ومع الصالحين من أئمة ، قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة ، واعتقدوه قرابة من القربات ، وهو من أعظم السيئات والمنكرات ، وما شعروا أن ذلك محادة لله ورسوله ﷺ" ^(٢) .

ملاحظة : لا يجوز الطواف بالقبور ، ويُعتبر شركاً ؛ لأن الطواف بالكعبة عبادة لله ﷻ ؛ كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَيُطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] ؛ ولا يجوز صرف هذه العبادة لغير الله تعالى . والطواف بالقبور يُعتبر تعظيماً وعبادة لصاحب القبر ، وفيه مضاهاة للطواف بالكعبة . والله ﷻ إنما شرع حج بيته ، والطواف به ، ولم يشرع الطواف عند غيره . فالطواف ببيته ﷻ توحيد وعبادة ونفي للشرك ؛ لأن المعبود بحق أمرنا أن نصرفه إليه في ذلك المكان . قال ﷻ : ﴿ وَكَذَّبُوا أَنَا بِأَسْمَاءِ مَكَانِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج : ٢٦] ^(٣) .

(١) انظر فتح المجد شرح كتاب التوحيد ص ٣١٣ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٣١٥ .

(٣) انظر الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم ص ٥٠ .

المطلب الثالث

الغلوّ في الأنبياء والصالحين ، والتبرّك بأثارهم

من الوسائل المفضية إلى الشرك

تمهيد: أمة محمد ﷺ هي الأمة الوسط ، وهي الأمة المحنّبة للغلوّ والإجحاف ، فلا إفراط عندها ولا تفريط. وقد نُهيت هذه الأمة عن الغلوّ على لسان رسولها ﷺ، في قوله: "إياكم والغلوّ في الدّين ، فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدّين" (١) .
والنهي عن الغلوّ نهي عن الشرك ؛ لأنّ الغلوّ مطيّة الشرك بالله ﷻ ، والشرك بالله أعظم ذنب عُصِيَ الله ﷻ به .

لذلك يجب على أبناء هذه الأمة الحذر منه، لئلا يهلكوا كما هلك من كان قبلهم، فيخسروا دنياهم ، ويوبقوا أحرارهم .

ومن مظاهر الغلوّ الذي نُهينا عنه : الغلوّ في الأنبياء والصالحين ؛ فإنّ الشياطين ما اجتالت البشرية عن فطرّتها التي فطرها الله عليها، إلا بالغلوّ في رجال صالحين، حتى قال قائلاً: ﴿ لَا تَدْرِمُنَّ الْمَكَّةَ وَلَا تَدْرِمُنَّ وِدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَنْعُونَ وَيَنْعُونَ وَسِرًّا ﴾ [نوح: ٢٣] .

وبيان هذا المظهر من مظاهر الغلوّ الذي نُهينا عنه يُمكن في المسائل التالية :

المسألة الأولى : المبالغة في مدح الأشخاص :

المخلوق له منزلة لا يتعدّها . فإن جاوز النَّاس فيها حدّها ، فقد غلّوا فيه . وإنّما حدثت عبادة الأصنام بسبب الغلوّ في المخلوق ، وإنزاله فوق منزلته ، "حتى جعل فيها حظّاً من الإلهية ، وشبّه بالله تعالى . وهذا هو التشبيه الذي أبطله الله ﷻ ، وبعث رسله بإنكاره ، والردّ على أهله" (٢) .

(١) أخرجه النسائي في السنن ، كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى . وابن ماجه في السنن ، كتاب

المناسك ، باب قدر حصى الرمي . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١٧٦/٢ - ١٧٧ .

(٢) الدين الخالص لصديق حسن خان ٤٤٥/٢ .

ورسولنا ﷺ هو سيد ولد آدم ، وأفضل الأنبياء والمرسلين ، وأوّل شافعٍ وأوّل مشفعٍ قد حذرنا من الغلوّ فيه ، والإسراف في مدحه ، حتى قال ﷺ : " لا تُطْرُونِي ^(١) كما أطرت النَّصارى ابن مريمَ ، فإنّما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله " ^(٢) .
 وحين جاءه ناسٌ فقالوا له : يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، قال : " يا أيها النَّاس ! قولوا بقولكم ، ولا يستهويَنَّكم الشيطان ، وأنا محمّد عبد الله ورسوله ما أحبّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ " ^(٣) .
 فإذا كان هذا النهي في حقّه ﷺ : أن لا يُزاد في مدحه ، فغيره أولى أن لا يُزاد في مدحهم .

وليست المبالغة في مدحه ﷺ دليلاً على محبّته ، فإنّ المحبّة إنّما تُعلم بالاتباع ، ولو كان هؤلاء المسرفين في المدح صادقين في حبّه ﷺ ، لامتنعوا عن الغلوّ فيه ؛ لأنّه هُي عن ذلك ، وأمرنا أن ننتهي عمّا هُنا عنه . يقول ﷺ : " فإذا هُيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه ، وإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم " ^(٤) .

ونحن نحبه ﷺ ، وهو أحبّ إلينا من أنفسنا ، وآبائنا ، وأبنائنا ، وأهلينا ، وأموالنا . ونعلم أنّه لا طريق إلى الله إلا بمتابعته ﷺ ، وفعل ما أمر ، والانتهاه عمّا هُي عنه وزجر . فلا نفعل ما هُنا عنه من الغلوّ فيه ، وبمجازة الحدّ في شخصه الكريم .

المسألة الثانية : تصوير الأنبياء والصالحين ، واتخاذ تماثيل لهم :

لقد كان سبب وقوع أوّل شركٍ في بني آدم ، هو الغلوّ في الأشخاص وتقديسهم ، واتخاذ تماثيل لهم ؛ فقد روى البخاري في صحيحه ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

(١) الإطراء : المدح والزيادة في الثناء . (المعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٥٥٦) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلّوا في دينكم ﴾ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٣/٣ ، ٢٤١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

قال : "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أمّا وُدّ فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأمّا سِوَاغُ فكانت لهذيل ، وأمّا يغوثُ فكانت لمراد ، ثمّ لبني غطفان بالجرف عند سبأ ، وأمّا يعوق فكانت لهمدان ، وأمّا نَسْرُ فكانت لحميمير لآل ذي الكلاع ؛ أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً ، وسّموا بأسمائهم ، ففعلوا . فلم تُعبَد ، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلمُ عبَدت" (١) .

ف"أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح عليه السلام ، وكانت الأبناء تبرّ الآباء ، فمات رجلٌ منهم ، فجزع عليه ، فجعل لا يصر عنه ؛ فاتخذ مثلاً على صورته ، فكلمها اشتاق إليه نظره . ثمّ مات فعُلبَ به كما فعلَ ، حتى تتابعوا على ذلك . فمات الآباء ، فقال الأبناء : ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أمّا كانت آهتهم . فعبدوها" (٢) .

فكان تساهلهم في تصوير هؤلاء الصالحين ، وتعليق صورهم في مجالسهم ، من أسباب عبادة ذريّتهم لهذه التماثيل من دون الله تعالى . يقول الإمام القرطبي رحمه الله : "إنّما فعل ذلك أوائلهم ليأتسوا برؤية تلك الصور ، ويتذكروا بها أحوالهم الصالحة ، فيجتهدون كاجتهادهم ، ويعبدون الله تعالى عند قبورهم . فمضت لهم بذلك أزمان . ثمّ إنه خلف من بعدهم خلفٌ جهلوا أغراضهم ، ووسوس لهم الشيطان أن آباءهم وأجدادهم كانوا يعبدون هذه الصور ويُعظّمونها . فعبدوها . فحدّر النبي صلى الله عليه وآله من مثل ذلك ، وشدّد النكير والوعيد على فعل ذلك ، وسدّ الذرائع المؤدّية إلى ذلك" (٣) .

وقد دلّت الأحاديث الكثيرة على تحريم التصوير ، خشية أن يؤدّي تعليقها ، والافتتان بها إلى عبادتها من دون الله تعالى ، ومن هذه الأحاديث :

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿وَدَّوَالسَّوَاعِ وَالْيَغُوثَ وَالْيَعُوقَ﴾ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ٦٦٩/٨ .

(٣) المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي ٩٣١/٢-٩٣٢ . وانظر : الجامع لأحكام القرآن له

١٩٨/١٨-١٩٩ . والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ٢٤٩/٢ .

- ١- ما تقدم عن أبي الهياج الأسدي، من قول علي بن أبي طالب عليه السلام له : ألا أبغثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن لا تدع تمثالاً إلا طمستهُ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويتُهُ" (١) .
- ٢- قوله صلى الله عليه وسلم : "إن أشدَّ النَّاس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون" (٢) . وفيه حرمة تصوير الحيوان . قال النووي : "قال العلماء : تصوير صورة الحيوان حرامٌ شديد التحريم ، وهو من الكبائر ؛ لأنه متوعَّد عليه بهذا الوعيد الشديد ، وسواء صنعه لِمَا يُمتهن أم لغيره ، فصنعه حرام" (٣) .
- ٣- وجاء رجلٌ إلى عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- ، فقال : يا أبا عَبَّاس ! إني إنسانٌ إنَّما معيشتي من صنعة يدي، وإنِّي أصنع هذه التصاوير . فقال ابن عَبَّاس : لا أُحدِّثُكَ إلا ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : "مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ ، وليس ينافخ فيها أبداً" فَرَبَّ الرَّجُل رُبُوءَ شَدِيدَةً وَاصْفَرَ وَجْهَهُ . فقال ابن عباس : ويحك إن أبيتَ إلا أن تصنعَ ، فعليك هذا الشجر ؛ كلُّ شيءٍ ليس فيه روح (٤) .
- ٤- وقد دخل أبو هريرة رضي الله عنه إلى دار مروان بن الحكم ، فرأى فيها تصاويرَ . فقال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قال الله صلى الله عليه وسلم : وَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي ؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً" (٥) .

(١) تقدّم تخريجه ص ١٥٩ من هذا الكتاب .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب عذاب المصوِّرين يوم القيامة . وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتنة بالفرش ونحوه .

(٣) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري ٣٨٤/١٠ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب بيع التصاوير التي ليس فيها روحٌ ، وما يُكره من ذلك . وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ..

(٥) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب نقضُ الصُّور . وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان . واللفظ لمسلم .

المسألة الثالثة : التبرُّك بآثار الأنبياء والصالحين :

التبرُّك : طلبُ البركة . والبركةُ : كثرةُ الخير ، وزيادته ، واستمراره^(١) .
والشيء الذي يُتبرَّكُ به ، قد يكون فيه بركة دينية ، وقد يكون فيه بركة دنيوية ،
وقد يكون فيه بركة دينية ودنيوية معاً .

فمثال الأول : المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، ومسجد رسول الله ﷺ ، والمسجد
الأقصى ، لما فيها من الأجر العظيم لمن صَلَّى فيها ، وغير ذلك .

ومثال الثاني : الماء واللبن ، لما فيهما من المنافع الدنيوية الكثيرة .
ومثال الثالث : القرآن ؛ ففيه منافع دينية ودنيوية كثيرة . ويكفي أن من تمسَّك به
أفلح في الدنيا والآخرة ، وهو شفاء للقلوب والأبدان^(٢) .

والتبرُّك المقصود في هذه المسألة ، هو التبرُّك بالأشخاص ، وهو ينقسم إلى قسمين :
١- تبرُّك بذواتهم . ٢- وتبرُّك بآثارهم .

وكلا النوعين يكون شركاً إذا اعتقد المتبرِّك أن المتبرِّك به يهب البركة بنفسه؛ فيبارك
في الأشياء استقلالاً ، أو يُطلب منه الخير والثَّماء فيما لا يقدر عليه إلا الله .

وإنما قلنا بأنَّه شركٌ لأنَّ الله موجد البركة وواهبها، والعباد سببٌ . يقول ﷺ حين
تفجَّر الماء من بين أصابعه : " البركةُ من الله"^(٣) . ويقول -عليه الصلاة والسلام- مخاطباً
مولاه ﷺ : " والخيرُ كلُّه في يديك"^(٤) .

أمَّا إذا لم يعتقد المتبرِّك في المتبرِّك به أنَّه واهب البركة ، بل نسب ذلك إلى الله ﷻ ، فالأمر
فيه تفصيل؛ لأنَّ المتبرِّك به قد يكون رسول الله ﷺ ، أو يكون غيره من الأولياء والصالحين .

أولاً : المتبرِّك به هو رسول الله ﷺ :

إن كان المتبرِّك به هو رسول الله ﷺ ، فلا شكَّ أن رسولنا ﷺ مباركٌ في ذاته
وآثاره ، كما كان مباركاً في أفعاله^(٥) .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٣٠/١ . وقذيب اللغة للأزهري ٢٣١/١٠ .

(٢) انظر : التبرُّك : أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع ص ٤٣ . ومذكرة العقيدة
الإسلامية للدكتور عبد الله بن حجرين ص ٩٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأشربة ، باب شرب البركة ، والماء المبارك .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(٥) انظر التبرك : أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر الجديع ص ٢٤٣ .

ولقد تبرك صحابته ﷺ بذاته ﷺ ، وبآثاره الحسيّة المنفصلة منه ﷺ في حياته ، وأقرهم ﷺ على ذلك، ولم يُنكر عليهم. ثم إنهم ﷺ تبركوا ومن أتى بعدهم من سلف هذه الأمة الصالح بآثاره ﷺ بعد وفاته ، مما يدلّ على مشروعية هذا التبرك^(١) . فقد تبرّكت أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بيده الشريفة، فكانت تقرأ عليه بالمعوذات حين اشتدّ وجعه ، وتمسح عليه بيده نفسه ، رجاء بركتها -كما قالت-^(٢) . وكان الصحابة ﷺ يمسحون بيديه ﷺ ، ويضعونها على وجوههم رجاء بركتها^(٣) . وكانوا يتبرّكون بشعره ﷺ ، وقد أقرهم على ذلك ، بل إنّه وزّعه عليهم^(٤) . وكانوا يتبرّكون بعرقه^(٥) وبريقه^(٦) ، وبنخامته فيدلكون بها وجوههم وجلودهم^(٧) . وكتب السنّة مليئة بتبرك أولئك الأخيار بسيد المصطفىين الأطهار ﷺ في حياته، وبعد وفاته^(٨) . ولقد كانت أعظم بركة نالوها : اتباعه ﷺ ، والافتداء به ، والسير على منهاجه . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "كما كان أهل المدينة لما قدّم عليهم النبي ﷺ في بركته لما آمنوا به وأطاعوه. فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة . بل كلّ مؤمن آمن بالرسول ﷺ وأطاعه حصل له من بركة الرسول ﷺ بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله"^(٩) .

(١) انظر المرجع نفسه ص ٢٤٤ .

(٢) تقدّم تخريج حديثها في ص ١٣٨ ، ح (٤) من هذا الكتاب .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ،، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي عليه الصلاة والسلام من الناس وتبركهم به .

(٤) انظر صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان أن السنة يوم النحر : أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق .

(٥) انظر صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به .

(٦) انظر صحيح البخاري ، كتاب العقيدة ، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتخنيكه ،، وصحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب استحباب تخنيك المولود عند ولادته .

(٧) انظر صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب .

(٨) انظر تفصيل ذلك في كتاب : التبرك : أحكامه وأنواعه للدكتور ناصر الجديع ص ٢٤٣-٢٦٠ .

(٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/١١٣ .

ثانياً : المتبرك به غير رسول الله ﷺ ؛ من الأولياء والصالحين :
 لم يرد دليل صحيح يُحيز التبرك بغير النبي ﷺ . وهذا يجعل التبرك بأجساد الصالحين
 وآثارهم يدخل في دائرة التبرك البدعي . "لذلك لم يرد عن أحد من أصحاب النبي ﷺ ،
 ولا عن أحد من التابعين أنهم تبركوا بأحد من الصالحين ؛ فلم يتبركوا بأفضل هذه
 الأمة بعد نبيها ، وهو أبو بكر الصديق ﷺ ، ولا بغيره من العشرة المبشرين بالجنة ،
 ولا بأحد من أهل البيت ، ولا غيرهم . ولو كان خيراً لسبقونا إليه ؛ لحرصهم الشديد
 على فعل جميع أنواع البر والخير" (١) .
 وقد أجمعوا كلهم ﷺ على ترك التبرك بجسد أو آثار أحد غير رسول الله ﷺ (٢) .
 فدل ذلك على عدم مشروعية هذا التبرك .

- ولا يجوز أن يُقاس على رسول الله ﷺ أحد من البشر لوجوه (٣) ، منها :
- ١- عدم المقاربة ، فضلاً عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة ؛ فليس أحد من الأولياء
 أو الصالحين يُقاس برسول الله ﷺ في فضله أو بركته . .
 - ٢- عدم تحقق الصلاح ؛ فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب . وهذا أمر لا يمكن الاطلاع
 عليه إلا بنص ؛ كالصحابه الذين أتى الله عليهم ورسوله ، أو أئمة التابعين ، ومن
 اشتهر بصلاح ودين ، كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح .
 أمّا غيرهم ، فغاية الأمر أن نظنّ أنهم صالحون ، فنرجو لهم .
 - ٣- لو ظننّا صلاح شخص ، فلا نؤمن أن يُحتم له بخاتمة سوء . والأعمال بالخواتيم . فلا
 يكون أهلاً للتبرك بآثاره .
 - ٤- أن الصحابة ﷺ لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير رسولنا ﷺ لا في حياته ، ولا بعد
 موته . ولو كان خيراً لسبقونا إليه .
- إذاً : ليس لأحد أن يتبرك بجسد أو آثار أحد كائناً من كان ، لإجماع الصحابة على
 ترك التبرك بأجساد أو آثار غيره ﷺ من الأولياء والصالحين .

(١) مذكرة في العقيدة الإسلامية للدكتور عبد الله بن حبرين ص ٩٥ .

(٢) ممن نقل إجماعهم على ذلك : الإمام الشاطبي في الاعتصام ٩/٨-٩ . والعلامة صديق حسن خطن في
 الدين الخالص ٢/٢٤٩-٢٥٠ ، والشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد ص ١٨٦ . والشيخ
 عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد ص ١٨٨ ، وغيرهم .

(٣) انظرها في تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص ١٨٦ .

المطلب الرابع

الأعياد والاحتفالات البدعية

من الوسائل المفضية إلى الشرك

تمهيد: شرع الله لأمة محمد ﷺ عيدتين سنويتين، وعيداً أسبوعياً، "ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد: عيدٌ يتكرر كل أسبوع، وعيدان يأتيان في كل عام مرةً مرةً، من غير تكرُّر في السنة"^(١)، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى .

فلا يجوز إحداث أعياد أو احتفالات أخرى . بل كلُّ ما أحدث يدخل تحت مسمى البدعة التي نهى عنها رسول الله ﷺ بقوله: "وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ بدعة ضلالة"^(٢) .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: "وأصل هذا أنه لا يُشرع أن يتخذ المسلمون عيداً، إلا ما جاءت الشريعة باتخاذها عيداً، وهو يوم الفطر، ويوم الأضحى وأيام التشريق، وهي أعياد العام، ويوم الجمعة، وهو عيد الأسبوع . وما عدا ذلك فاتخاذها عيداً وموسماً بدعة لا أصل له في الشريعة"^(٣) .

وقد أحدث الناس أعياداً لم يشرعها الله ﷻ، ولا رسوله ﷺ، فابتدعوا في دين الله، وزادوا فيه ونقصوا، وعارضوا بصنيعهم قول الله تعالى: ﴿ أَيُّومَ أَكَلْتُمْ لَحْمَهُ دِينِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِ كُفْرْتُمْ وَمَرْضَيْتُمْ كُفْرَ الْأَسْلَامِ دِيناً ﴾ [المائدة: من الآية ٣] .

وقد قسم الدكتور عبد الله بن جبرين ما أحدثه الناس من الأعياد والاحتفالات إلى ثلاثة أنواع^(٤) :

- (١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ص ٤٨٠ .
- (٢) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة .
- (٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ص ٢٢٨ .
- (٤) انظر مذكرة العقيدة الإسلامية للدكتور عبد الله بن جبرين ص ١٦٦-١٦٩ .

النوع الأول : أيام لم تُعظَّمها الشريعة أصلاً ، ولم يحدث فيها حادث له شأن . ومن أمثلة هذا النوع : ما أُحدث في شهر رجب من عبادات ؛ صلاة ، أو صيام ، أو زكاة ، أو غير ذلك . يقول الحافظ ابن رجب : "فأمَّا الصلاة فلم يصحَّ في شهر رجب صلاةٌ مخصوصةٌ تختصُّ به ، والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أوَّل ليلة جمعة من شهر رجب كذبٌ ، وباطلٌ لا تصحُّ . وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء" (١) .
 "وأما الصيام فلم يصحَّ في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ﷺ" (١) . "وأما الزكاة فقد اعتاد أهل هذه البلاد إخراج الزكاة في شهر رجب ، ولا أصل له في السنة ، ولا عُرف عن أحد من السلف" (٢) .

النوع الثاني : أيام وليالي جاء في الشرع ما يدلُّ على فضلها . فهذه يتقيد المسلم بالعبادات المشروعة فيها ، ولا يُحدث عبادات ليس لها أصلٌ في الشرع . ومن أمثلة هذا النوع ما أُحدث في ليلة النصف من شعبان من صلاة الألفية ، وغير ذلك . وهذه الصلاة المحدثَّة - كما ذكر العلامة ابن القيم - وُضِعَت في الإسلام بعد أربعمئة سنة من هجرة رسول الله ﷺ (٣) .

النوع الثالث : أيام وليالي حدثت فيها حوادث مهمَّة ، ولكن لم يأت في الشرع ما يدلُّ على فضلها ، أو على مشروعية التعبُّد لله أو الاحتفال فيها . ومن أمثلة هذا النوع :
 ١- حادثة الإسراء والمعراج :

فالإسراء والمعراج حادثان ثابتان في كتاب الله ﷻ ، وفي سنة رسول الله ﷺ ، ولكن لم يرد في تحديد وقتها حديث صحيح ولا ضعيف . بل ليس هناك ما يُعتمد عليه في تحديد الشهر الذي حدثتا فيه . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "لم يقدِّم دليلٌ معلومٌ لا على شهرها ، ولا على عشرها ، ولا على عينيها ، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ، ليس فيها ما يُقطع به" (٤) .

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ص ٢٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣١ .

(٣) انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص ٩٩ .

(٤) نقله عنه تلميذه ابن القيم في كتابه : زاد المعاد ٥٧/١ . وانظر فتح الباري لابن حجر ٢٠٣/٧ ، فقد ذكر اختلاف النَّاس الكبير في تحديد وقتها .

ولو ثبت أن هذه الحادثة وقعت في ليلة بعينها، فلا يجوز تخصيصها، أو تفضيلها على غيرها من الليالي بشيء من العبادات، لعدم ورود الشرع بشيء من ذلك. ومن فعل شيئاً من ذلك فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه. يقول الشيخ علي محفوظ رحمه الله عن ابتداع أصحاب هذا العصر احتفالات ما أنزل الله بها من سلطان: "ومنها ليلة المعراج التي شرف الله تعالى هذه الأمة بما شرع لهم فيها. وقد تفنن أهل هذا الزمان بما يأتونه في هذه الليلة من المنكرات، وأحدثوا فيها من أنواع البدع ضروباً كثيرة؛ كالاتتماع في المساجد، وإيقاد الشموع والمصاييح فيها وعلى المنارات، مع الإسراف في ذلك، واجتماعهم للذكر والقراءة، وتلاوة قصة المعراج" (١).

٢- حادثة المولد النبوي:

لم يستطع العلماء تحديد ليلة بعينها وُلِدَ فيها رسولنا ﷺ، بل ولا شهر بعينه، وبينهم في ذلك خلاف مشهور. فمنهم من قال إنه وُلِدَ في رجب، ومنهم من قال في رمضان، ومنهم من قال في ربيع الأول. حتى من قالوا إنه ﷺ وُلِدَ في ربيع الأول اختلفوا في تحديد يوم مولده: أهو الثاني، أو الثامن، أو العاشر، أو الثاني عشر، أو السابع عشر، أو الثامن عشر، أو الثاني والعشرين (٢).

وأسى العبيديون في القرن الرابع الهجري، فجزموا أن مولده ﷺ كان في شهر ربيع الأول؛ في الثاني عشر منه، وأحدثوا الاحتفال فيه (٣)، فخالفوا ما عليه المسلمون طيلة أربعة قرون. على الرغم من عدم وجود ما يُرجح قولهم.

والذي أجمع عليه العلماء: أن الأمة الإسلامية أصيبت في هذا الشهر بأعظم مُصاب، وهو وفاته ﷺ، والذي عليه جمهورهم أيضاً: أنها كانت في الثاني عشر من هذا الشهر (٤).

(١) الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ١٤١.

(٢) انظر في ذلك: الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠٠/١-١٠١. والسيرة النبوية لابن هشام ١٥٨/١.

وتاريخ الإسلام للذهبي - قسم السيرة ص ٢٥-٢٦. والبداءة والنهاية لابن كثير ٣٧٣/٣-٣٨٠.

(٣) انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقرئ ٤٢٣/١-٤٣٣.

(٤) انظر في ذلك: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧٢/٢-٢٧٥. وتاريخ الإسلام للذهبي - قسم السيرة

ص ٥٦٨-٥٧١. وفتح الباري لابن حجر ١٢٩/٨. ولطائف المعارف فيما لمواسم العام من

الوظائف لابن رجب الحنبلي ص ٢١٢.

فمن احتفل بمولده ﷺ في شهر ربيع الأول، وفي الثاني عشر منه، فإنما يحتفل بمصاب الأمة؛ لما تقدم من إجماع العلماء على أن وفاته ﷺ كانت يوم الاثنين، في شهر ربيع الأول، وقول جمهورهم أنها في الثاني عشر منه. وليس من محبته أن نقيم احتفالاً يوم وفاته . ولو فرض أن مولده ﷺ كان في هذا الشهر، وفي الثاني عشر منه، لما جاز لأحد أن يحتفل بهذه المناسبة؛ لعدم ورود دليل شرعي يُحيز ذلك؛ ولأن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوه، مع أنهم أشدّ اتباعاً له ﷺ، وأشدّ حباً ممن أتى بعدهم . وكذلك لم يفعله أهل القرون الثلاثة المفضّلة . فلو كان خيراً لسبقونا إليه . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شأن اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً: "فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له، وعدم المانع فيه لو كان خيراً . ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً، لكان السلف رضي الله عنهم أحقّ به منا؛ فإنهم كانوا أشدّ محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص . وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة، وطاعته، واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بُعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان. فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان" (١) .

"ولا أدلّ على عدم احتفال السلف الصالح بالمولد النبويّ من اختلافهم في تعيين تاريخ ولادته ﷺ، فلو كان يُشرع فيها شيء من العبادات - على سبيل الافتراض - لعينها الصحابة واهتموا بها، ولكانت معلومة مشهورة" (٢) .

"وبالجملة فإنه ينبغي للمسلم الذي يُحبّ الله تعالى، ويحبّ نبيه ﷺ أكثر ممّا يُحبّ نفسه وولده، أن يسير على خطى ومنهج الحبيب محمد بن عبد الله ﷺ - فداه أبي وأمّي -، وأن يُكثر من قراءة وحفظ الكتاب الذي أنزل عليه، ومن حفظ وتدارس سنته وسيرته في كلّ أيام وليالي العام، وأن يُكثر من الصلاة والسلام عليه في جميع الأوقات، وبالأخصّ في كلّ يوم جمعة وليلتها من كلّ أسبوع" (٣) .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٦١٥/٢ .

(٢) التبرك : أنواعه وأحكامه للحدّيع ص ٣٦٣ .

(٣) مذكرة العقيدة الإسلامية للدكتور ابن حجرين ص ١٦٨ .

الفصل الثاني

الكفر ، وأنواعه

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى الكفر .

المبحث الثاني : أنواع الكفر الأكبر .

المبحث الثالث : أنواع الكفر الأصغر .

المبحث الأول

معنى الكفر

معنى الكفر لغةً :

الكفر في اللغة : الجحود . وأصله من الكَفَر ، وهو السَّتْرُ والتغطية . يُقال : كَفَرَ الشيءَ كَفْرًا : سَتَرَهُ وغطَّاه . ويُقال : كَفَرَ الزارعُ البذورَ بالتراب ، غَطَّاهَا وَسَتَرَهَا ، فهو كافر . وكَفَرَ الترابُ ما تحته : غَطَّاه . وكَفَرَ الليلُ الأشياءَ بظلامه ، غَطَّاهَا وَسَتَرَهَا ، فهو كافر . وتَكَفَّرَ بالشيءِ : تَغَطَّى به وتَسَتَّر . وكَفَرَ نعمةَ اللهِ ، وكَفَرَ بها كُفُورًا وكُفْرانًا : حَجَدَهَا وَسَتَرَهَا^(١) .

معنى الكفر في الشرع :

الكفر ضدَّ الإيمان ، ويُعرَّف شرعاً بأنه : جحدُ ما لا يتم الإسلام بدونه . أو جحدُ ما لا يتم كمال الإسلام بدونه^(٢) .
والصلة بين المعنيين : أن جاحد الحق كآئه ساترٌ له ، مغطِّيه ، وجاحد نعم الله : كآئه ساترٌ لها ، مُغَطِّيهَا^(٣) .

ملاحظة هامة :

التكفير من الأحكام الشرعية -التي يُطلقها الشارع- ، فلا يجوز لأحد إطلاقه بمجرد الهوى ، أو بقياسٍ عقليٍّ ، أو نحو ذلك ، بل هو حقٌّ لله ورسوله ﷺ ، فلا يُطلق هذا الوصف على أحدٍ إلا بعد استحقاقه له . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "فإنَّ الإيجاب والتحریم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله ، ليس لأحد في هذا حكمٌ، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله، وتحريم ما حرَّمه الله ورسوله"^(٤) .

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٥٤٧ . ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩/٥ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٦٠٥-٦٠٦ . ولسان العرب لابن منظور ١٤٤/٥ . ومفردات غريب القرآن للأصفهاني ص ٤٣٤ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٧٩١-٧٩٢ .

(٢) انظر : أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي ص ١٤٦ . والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للريكان ص ١٨١ .

(٣) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٦٠٥ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/٥٤٥ .

المبحث الثاني

أنواع الكفر الأكبر

مَهَيَّنَا : الكفر نوعان : كفرٌ أكبر ، وكفرٌ أصغر . فالكفر الأكبر اعتقاديّ ، يُخرج من الإيمان بالكلّية . والكفر الأصغر عمليّ ، يُنافي كمال الإيمان ، ولا يُنافي مطلقه ، فهو لا يُخرج من الإيمان بالكلّية ، بل يُنقص من كماله^(١) .

والحديث في هذا المبحث منصبٌ على الكفر الأكبر ، وهو الاعتقاديّ ، الذي يُنافي الإيمان ، ويُضاده من كلّ وجه، ويُخرج صاحبه عن الدين والملة، ويُوجب له الخلود في النار، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالشُّرَكِيِّينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] .

وإنما قلنا عن هذا النوع إنه اعتقاديّ ، لأنّ مقرّه القلب .
وقلنا إنه يُنافي الإيمان ويُضاده، لأننا عرفنا الإيمان بأنه قولٌ وعملٌ؛ "قول القلب وعمله، وقول اللسان ، وعمل الجوارح" ، فإذا زالت هذه الأربعة ، زال الإيمان بالكلّية ، وإذا زال تصديق القلب ، لم تنفع البقية^(١) . والكافر جاحدٌ غير مصدّق كما بيّنا ذلك آنفاً .
والكفر الأكبر أنواع متعدّدة، من لقي الله بنوع منها، لم يُغفر له، وقد ذكر بعضها العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله: "وأما الكفر الأكبر، فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق ، وكفر إعراض ، وكفر شكّ ، وكفر نفاق"^(٢) .

ومن أنواع الكفر الأكبر أيضاً : كفر البُغض ، والكفر بدعوى علم الغيب .
وسأقتصر على ذكر بعض أنواع الكفر الأكبر - بإذن الله - في المطالب التالية :

(١) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٧ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٦/١ .

المطلب الأول

من أنواع الكفر الأكبر : كفر الجحود

أولاً : تعريفه : هو أن يعرف الإنسان الحق بقلبه ، لكنه لا يُقرّ به ولا يعترف به بلسانه ، وبالتالي لا يتقاد بجوارحه ، فهو جاحدٌ له ظاهراً ، مع معرفته باطناً^(١) .

ثانياً : من الأمثلة عليه ، مع الأدلة :

١- كَفَرُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ؛ حَيْثُ جَحَدُوا اللَّهَ ﷻ بِالْإِسْتِهْمِ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ لَهُ بِقُلُوبِهِمْ. كَمَا قَالَ ﷻ عَنْهُمْ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] ، وَعَلَّلُوا جِحُودَهُمْ بِقَوْلِهِمْ -كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ-: ﴿أَتُؤْمِنُ بِبَشَرٍ مِثْلًا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] .

٢- كَفَرُ الْيَهُودُ؛ حَيْثُ جَحَدُوا نَبِيَّةَ رَسُولِنَا ﷺ، وَكْتَمُوا أَمْرَهُ، وَكْتَمُوا صِفَاتِهِ الْمَرْجُودَةَ فِي كِتَابِهِمْ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ لَهُ كَمَعْرِفَتِهِمْ لِأَنْبَاءِهِمْ، يَقُولُ ﷻ عَنْهُمْ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْزِفُونَهُ كَمَا يَعْزِفُونَ آيَاتِ الْمَعَادِ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] ، وَيَقُولُ ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٨٩] .

ثالثاً : نوعاً كفر الجحود : قَسَمَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ كُفْرَ الْجِحُودِ إِلَى نَوْعَيْنِ : جِحُودٍ مُطْلَقٍ عَامٍّ، وَجِحُودٍ مُقَيَّدٍ خَاصٍّ. "فالمطلق: أن يجحد جملة: ما أنزل الله، وإرساله الرسول. والخاص المقيد: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام ، أو تحريم محرّم من محرّماته ، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خيراً أو خيراً أخير الله به ؛ عمداً، أو تقديماً لقول من خالفه عليه، لغرض من الأغراض"^(٢) .

رابعاً : أمرٌ يجدر التنبيه إليه : من جحد شيئاً ممّا تقدّم ذكره -في أمثلة الجحود الخاص المقيد- "جهلاً ، أو تأويلاً يُعذر فيه صاحبه ، فلا يكفر صاحبه به ؛ كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح. ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله؛ إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً أو تكديماً"^(٣) .

(١) انظر : أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٨ . ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ٣٣٧ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ١/٣٦٧ . والحديث في صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، ح ٧٥٠٨ .

المطلب الثاني

من أنواع الكفر الأكبر : كفر الإباء والاستكبار

أولاً : تعريفه : هو أن يعرف الإنسان الحقَّ بقلبه ، ويعترف به بلسانه ، ولكنه يأبى أن يقبله أو يدين به ؛ إمّا أشراً وبطراً ، وإمّا احتقاراً له ولأهله ، أو لسببٍ آخر^(١) .

ثانياً : من الأمثلة عليه ، مع الأدلّة :

١- كفر إبليس؛ فإنه لم يحدد أمر الله ﷻ ، ولا قابله بالإنكار ، وإمّا تلقاه بالإباء

والاستكبار^(٢) ؛ كما قال ﷻ : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] .

٢- كُفْرُ مَنْ عَرَفَ صَدَقَ الرَّسُولَ ﷺ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ ؛ عَرَفَ ،

وَأَقْرَبَ بِذَلِكَ ، وَلَمْ يَشْكُ فِي صَدَقِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْقُدْ إِلَيْهِ إِبَاءً وَاسْتِكْبَاراً ، أَوْ

أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَتَعْظِيمُ الْآبَاءِ أَنْ يَرْغَبَ عَنْ مَلَّتِهِمْ ، أَوْ يَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ^(٣) .

وخيرٌ من يُمثّل هذه الحال : أبو طالب عمّ رسول الله ﷺ ، الذي عرف صدق

ابن أخيه ، واعترف بذلك قائلاً :

ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمّد

لولا الملامة أو حذار مسبة

من خير أديان البرية ديناً

لوجدتني سمحاً بذلك مبيناً^(٤)

لكنّ هذه المعرفة والإقرار لم ينفعاه ؛ لأنّه أبى أن ينقاد ويقول : "لا إله إلا الله محمّد

رسول الله" ، خشية أن يُقال : ترك دين آباءه وأجداده . وقد سأل العباس ﷺ رسولَ

الله ﷺ عن حال أبي طالب في الآخرة ، فأجابته : "هو في ضحضاحٍ من نار ، ولولا أنا لكان

في الدرك الأسفل من النَّارِ"^(٥) ؛ فهو خالدٌ في النَّارِ ، لكنّ عذابه أهون من غيره .

(١) انظر : أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٩ . ومدخل للدراسة العقيدة الإسلامية

لعثمان جمعة ضميرية ص ٣٣٨ .

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٦/١ .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٤٦١/٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ، والتخفيف عنه بسببه .

المطلب الثالث

من أنواع الكفر الأكبر : الكفر بدعوى علم الغيب

أولاً : تعريفه : هو اعتقاد أن أحداً غير الله تعالى يعلم الغيب . وهو كفرٌ لمعارضته لقوله ﷺ :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥] ،

وقوله ﷺ : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

ثانياً : من الأمثلة عليه : الأمثلة على هذا النوع كثيرة، ويمكن بيان بعضها في المسائل التالية .

المسألة الأولى : السحر :

أولاً : تعريفه : السحر في اللغة: ما خَفِيَ وَلَطَفَ سَبَبُهُ^(١) . وفي الاصطلاح: عزائم ورقى وعقد

وكلام يُتَكَلَّمُ به، أو يُكْتَبُ، أو يُعْمَلُ شيءٌ يُؤَثِّرُ في القلوب والأبدان والعقول ؛ فيمرض،

ويقتل ، ويُفَرِّقُ بين المرء وزوجه^(٢) .

ثانياً : قسما السحر : السحر قسما^(٣) :

قسماً : خيالات تُرْهَبُ بظاهاها ، وتؤثِّرُ في القلوب ، بيد أنه لا حقيقة لها ؛ كسحر

سحرة فرعون . قال تعالى عنه : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه: من الآية ٦٦] .

وقسماً : له حقيقة ؛ كالذي حَدَّثَ لرسول الله ﷺ^(٣) ، حين سحره اليهودي ليبيد بن

أعصم ؛ فعن عائشة - رضي الله عنها- أن النبي ﷺ سَحَرَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ

الشيء، وما يفعله ، حَتَّى أَتَاهُ مَلَكَانُ ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ ﷺ ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رَأْسِهِ ،

فَأَخْبَرَاهُ بِصَنِيعِ الْيَهُودِيِّ ، وَأَنَّهُ سَحَرَهُ فِي مُشْنَطٍ وَمُشَاطَةٍ ؛ جَعَلَهُ فِي وَعَاءٍ طَلَعَ النَّخْلَ ،

وَدَفَنَهُ فِي بَثْرِ ذِي أَرْوَانَ ، فَأَخْرَجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٤) .

(١) انظر : الصحاح للحروري ٦٧٨/٥ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٥١٩ .

(٢) انظر المعنى لابن قدامة ١٥٠/٨ .

(٣) انظر المجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١٣٤/٢ .

(٤) انظر الحديث بطوله في صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب السحر ، وباب: هل يُستخرج السحر،

وفي صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب السحر .

ملاحظة : هذا الذي وقع لرسول الله ﷺ ليس فيه انتقاصاً لشخصه ، بل هو كالأمرض التي كانت

تعتره ﷺ وإصابته به كإصابته بالسَّمِّ ، لا فرق بينهما . (انظر : زاد المعاد لابن القيم ١٢٤/٤) .

ثالثاً : حكم السحر ، مع الدليل : السحر محرّم بالكتاب والسنة والإجماع .

وهو من أكبر الكبائر ، ومن السبع الموبقات .

ودليل ذلك من كتاب الله : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُونَ وَمَارِيتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ قَتْلَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَامِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَكَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] . "فدلّت هذه الآية الكريمة على أن السحر كفرٌ ، وأن السحرة يُفَرِّقُونَ بين المرء وزوجه، كما دلّت على أن السحر ليس بمؤثّر لذاته نفعاً ولا ضراً، وإنما يؤثّر بإذن الله الكوني والقدري ؛ لأنّ الله ﷻ هو الذي خلق الخير والشر . كما دلّت الآية الكريمة على أن الذين يتعلّمون السحر إنّما يتعلّمون ما يضرّهم ولا ينفعهم ، وأنّه ليس لهم عند الله من خلاق - أي من حظّ ونصيب - . وهذا وعيدٌ عظيمٌ يدلّ على شدّة خسارتهم في الدنيا والآخرة ، وأنهم باعوا أنفسهم بأجنس الأثمان" (١) .

ودليل حرمة السحر من السنة : قوله ﷺ : "اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله، والسحر" (٢) . فالسحر من الموبقات . يقول الإمام النووي رحمه الله عن السحر : "عمل السحر حرام ، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدّه النبي ﷺ من السبع الموبقات . ومنه ما يكون كفراً ، ومنه ما لا يكون كفراً ، بل معصية كبيرة . فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر ، فهو كفرٌ ، وإلا فلا . وأمّا تعلّمه وتعليمه فحرام" (٣) . فالسحر قد يكون كفراً إذا كان فيه تعظيم غير الله؛ من الجنّ والشياطين والكواكب وغيرهم، وإذا كان فيه ادّعاء علم الغيب . و"أكثر العلماء على أن الساحر كافرٌ يجب قتله" (٤) ، وحده - كما في الحديث - : "ضربة بالسيف" (٥) . وسئل الإمام أحمد عن الساحر، فقال : "إذا عُرِفَ بذلك، فأقرّ ، يُقتل" (٦) .

(١) رسالة في حكم السحر والكهانة للشيخ ابن باز ص ٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الشرك والسحر من الموبقات .

(٣) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري ١/٢٢٤ . وانظر كلام الحافظ ابن حجر عن حكم السحر وتعلّمه في الموضوع نفسه . وانظر : تفسير ابن كثير ١/٢٥٨ . وأضواء البيان للشنقيطي ٤/٤٥٦ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٨٤/٢٩ .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٢/٨٧١ . والحاكم في المستدرک ٤/٣٦٠ مرفوعاً، ولا يصح رفعه . بل هو موقوف .

(٦) انظر مسائل الإمام أحمد ، برواية ولده عبد الله ص ٢٤٧ . وأحكام أهل الملل للخلخال ص ٢٠٧ .

رابعاً : علاج السحر : يحصل العلاج بأن يُقرأ على المسحور : سورة الإخلاص ، والمعوذتين ، وآية الكرسي ، والآيات التي ذُكرَ فيها السحر ، وخاصة التي في سورة يونس ، في قوله ﷻ : ﴿ مَا جِئْتَهُ بِالسِّحْرِ إِنْ اللَّهُ سَيِّطُلُهُ إِنْ اللَّهُ لَا يَضِلُّ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٨١] ، شريطة أن يصدر ذلك عن إخلاص ، وصدق ، وتوكل ، وإيمان جازم بأن التَّافِعِ والضَّارَّ هو الله ﷻ وحده . ولو أضاف سبع ورقات من السدر الأخضر ، ودقهن ، ووضعهن في ماء تُقرأ فيه تلك الآيات ، ويحسو منها المسحور ثلاث حسوات ، ويغتسل بالباقي ، لكان ذلك أفضل^(١) .

المسألة الثانية : الكهانة

أولاً : تعريف الكاهن : الكاهن هو الذي يدَّعي أنه يعلم الغيب . وهو لفظٌ "يطلق على العراف ، والرَّمَّال ، والذي يضرب بالحصى ، والمنجم"^(٢) ؛ فكل من أخبر عن المغيبات في المستقبل ، فهو كاهن ، وكل من ادَّعى معرفة علم شيء من المغيبات ، فهو إما داخل في اسم الكاهن ، أو مشارك له في المعنى ، فيلحق به^(٣) .

فائدة : سئل الإمام أحمد رحمه الله : الكاهنُ شرٌّ أو الساحر ؟ قال : "كلُّ شرٍّ"^(٤) .

ثانياً : حكم الكهانة ، مع الدليل : الكهانة محرمة بالكتاب ، والسنة ، والإجماع .

يقول الله ﷻ مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ نِعْمَتُ رَبِّكَ كَاهِنٌ وَلَا مَجْنُونٌ ﴾ [الطور : ٢٩] . ووجه الدلالة من هذه الآية على تحريم الكهانة : أن الله ﷻ نفى الكهانة عن نبيه ﷺ ؛ لأنَّ الكهَّانَ يدعون علم الغيب . ومجرد ادعاء علم الغيب كفرٌ بواحٍ ، فاعتبر الله ﷻ السلامة من الكهانة نعمة . ومفهوم ذلك أن الكهانة تتنافى مع نعمة الإسلام^(٥) .

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ٢٣٣/١٠-٢٣٤ . وأضواء البيان للشنقيطي ٤/٤٦٤ . ورسالة في حكم

السحر والكهانة للشيخ ابن باز ص ٨-١٣ . والجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١/١٥٥ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٠/٢١٦ .

(٣) انظر فتح المجد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤١٤ .

(٤) انظر أحكام أهل الملل للخلال ص ٢٠٨ .

(٥) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٧/٤٥٦ .

ومن السنة قوله ﷺ: "ليس منّا مَنْ تُطَيَّرَ أو تُطَيَّرَ له ، أو تكهَّنَ أو تُكُهَّنَ له ، أو سحرَ أو سُحرَ له . ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ" (١) ؛ ففي قوله ﷺ: "أو تكهَّنَ أو تُكُهَّنَ له" : إشارة إلى أن من تلقى الكهانة عمّن يتعاطاها ، فقد برئ منه رسول الله ﷺ. ففيه وعيدٌ وتحذيرٌ من مجرد إتيان الكهّان والعرّافين ونحوهم ممّن يدعون معرفة الغيب - ولو لم يُصدّقهم- . ويشهد لهذا المعنى قوله ﷺ: "من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة" (٢). هذا إذا سأله ولم يُصدّقه. أمّا إذا سأله، وصدّقه ، فالوعيد أشدّ -والعياذ بالله تعالى-، يقول ﷺ: "مَنْ أتى كاهناً فصدّقه بما يقول ، أو أتى امرأة حائضاً ، أو أتى امرأة في دُبُرِها ، فقد برئ مما أنزل الله على محمد ﷺ" (٣) . قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله معلقاً على هذا الحديث : "ظاهر الحديث أنّه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان" (٤) .

فإذا كان هذا حال من أتى الكاهن ، فما هو حال الكاهن نفسه !؟

المسألة الثالثة : التنجيم

أولاً : تعريفه : التنجيم -كما يزعم أهله- : هو الاستدلال على الحوادث الأرضية قبل حدوثها بالنظر في الأحوال الفلكية (٥) ؛ فيخبر أهل هذه الصناعة عمّا سيقع في العالم مستقبلاً، ويزعمون أنّهم استفادوا ذلك من النظر في سير الكواكب في مجاريها ، واجتماعها واقتراها ، زاعمين أنّ لها تأثيراً في العالم السفلي (٦) .

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٧/٥ ، وقال : "ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة" . وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٣٣/٤ : "رواه البزار بإسناد جيد" .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة ، وإتيان الكهان .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطب ، باب في الكاهن . والترمذي في جامعه ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء كراهية إتيان الحائض . وابن ماجه في سننه ، كتاب الطهارة ، باب النهي عن إتيان الحائض .

والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٧٣٩/٢ ، وفي صحيح سنن الترمذي ٤٤/١ .

(٤) فتح المجدد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤١١ .

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩٢/٣٥ .

(٦) انظر التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام للدكتور عبد المجيد المشعبي ص ٣١-٣٣ .

ثانياً حكم التنجيم، مع الدليل: قبل الحديث عن حكم التنجيم، تجدر الإشارة إلى أن التنجيم نوعان: أحدهما: مباح، وهو ما يُعرف بعلم الحساب، أو علم التسيير؛ كعرفة وقت الكسوف، والخسوف، والرصد، وهبوب الرياح، واتجاهاتها، مع الاعتقاد الجازم أن كل شيء يجري في هذا الكون بقضاء الله وقدره. وعند الإخبار بشيء من ذلك يُقيد الكلام بمشيئة الله، وبعبارة التوقع. فهذا قال العلماء بجوازه. ولا يدخل تحت هذه المسألة^(١). أمّا النوع الثاني: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية؛ فيدعي المنجم أنه من خلال النظر في النجوم يمكن أن يعرف ما سيقع في الأرض؛ من نصر قوم، أو هزيمة آخرين، أو موت أو حياة، أو قيام أو زوال، أو خسارة لرجل، وريج لآخر. فهذا النوع هو المراد بهذه المسألة، وهو محرّم، وصاحبه يُعتبر كافراً كُفراً بواحاً إذا اعتقد أن للنجوم تأثيراً ذاتياً في الحوادث الأرضية.

ومن الأدلة على تحريم التنجيم: أن الله ﷻ إنما خلق النجوم زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها. لم يخلقها سبحانه للاستدلال بها على ما يجري على الأرض. يقول الله ﷻ: ﴿وَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]، ويقول ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وقد دلّت السنة على تحريم التنجيم، فمن ذلك: قول رسول الله ﷺ: "من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد"^(٢). وقوله ﷺ: "إن أحوف ما أخاف على أمّتي في آخر زمانها: النجوم، وتكذيب بالقدر، وحيف السلطان"^(٣).

(١) انظر: فتح المحيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٤٤٨. والمجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين ١٤١/٢-١٤٢. والتنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام للدكتور عبد المحيد المشعبي ص ١٦٠-١٦٢، ٣٠٥-٣٢٠.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الطب، باب في النجوم. وابن ماجه في السنن، كتاب الأدب، باب تعلم النجوم. وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٧٩٣، وفي صحيح سنن أبي داود ٧٣٩/٢، وفي صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٥/٢.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٣/٧، وقال: "فيه ليث بن أبي سليم، وهو كُفّن، وبقية رجاله وثقوا". وقال الألباني: "الحديث له شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة في نقدي". (السلسلة الصحيحة ١١٩/٣، رقم ١١٢٧).

المبحث الثالث

أنواع الكفر الأصغر

مَهَيِّتًا: الكفر الأصغر أحد نوعي الكفر. ومن الفروق بينه وبين الكفر الأكبر^(١):

١- الكفر الأكبر يُحِيطُ الْعَمَلُ؛ كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مَعًا كَسْبًا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]. والكفر الأصغر لا يُحِيطُ الْعَمَلُ، وَإِنْ كَانَ يُنْقِصُهُ.

٢- الكفر الأكبر كفر اعتقادي، والكفر الأصغر كفر عملي.

٣- الكفر الأكبر يُخْرِجُ مِنَ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْأَصْغَرُ فَلَا يُخْرِجُ، وَصَاحِبُهُ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ.

٤- الكفر الأكبر إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ. وَالْكَفْرُ الْأَصْغَرُ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ فَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ. وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ إِجَابَةُ الْوَعِيدِ؛ لِأَنَّ نَقُولَ إِنْ اسْتَحْقَاقَهُ لِلْوَعِيدِ لَا يَمْنَعُ الْعَفْوَ عَنْهُ.

٥- الكفر الأكبر يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ؛ كما قال تعالى: ﴿لِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وَالْكَفْرُ الْأَصْغَرُ لَا يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ إِنْ دَخَلَهَا صَاحِبُهُ.

أولاً: تعريف الكفر الأصغر: هو كلّ معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر، مع بقاء اسم الإيمان على عاملها^(٢). فهو معصية عمليّة لا تُخْرِجُ عَنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا تُوجِبُ لِصَاحِبِهَا الْوَعِيدَ بِالنَّارِ، دُونَ الْخُلُودِ فِيهَا. وَسُمِّيَتْ كَفْرًا لِأَنَّهَا مِنْ خِصَالِ الْكَفْرِ^(٣).

ثانياً: من أشهر أنواع الكفر الأصغر: للكفر الأصغر أنواع متعدّدة ضابطها ما تقدّم في التعريف: كلّ معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر، مع بقاء اسم الإيمان على عاملها. وبيان بعض هذه الأنواع يُمكن في المطالب التالية:

(١) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم الريحان ص ١٨٢-١٨٣.

(٢) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٩.

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٣٦٤/١. فتح الباري لابن حجر ٨٣/١-٨٥.

المطلب الأول

من أنواع الكفر الأصغر : كفر النعمة

أولاً : المراد به : نسبة النعم التي أنعم الله ﷻ بها علينا إلى غير المنعم ﷻ ، أو استعمالها في غير مرضات الله ؛ كالإسراف، والتبذير، وشراء المحرمات، أو إعطاء النعم لمن هانا ربنا ﷻ عن إعطائهم ؛ كالسفهاء من الصبيان وغيرهم . قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء: ٥] .

ثانياً : الأدلة عليه : من الأدلة على كفر النعمة :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمًا كَانَتْ أُمَّةً مُطْمَئِنَةً بَأْتِيهَا مِنْ رَبِّهَا مَرْغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢] .

٢- قول الله ﷻ : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣] ؛ فهؤلاء عرفوا نعم الله ﷻ ، وعرفوا أن الله هو المنعم عليهم بها ، ولكنهم جحدوها ، وزعموا أنهم ورثوها كابراً عن كابر^(١) .

٣- قصة الثلاثة : الأبرص، والأقرع، والأعمى، الذين أنعم الله عليهم بإصلاح حالهم وبالمال ، فجدد اثنان منهم نعمة الله، وقالوا : إنما ورثنا هذا المال كابراً عن كابر . واعترف الأعمى بنعم الله ، وقال : " قد كنت أعمى ، فرد الله إلي بصري .. " . فقال له الملك : " أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبك " ^(٢) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ معلقاً على هذا الحديث : " وهذا حديث عظيم ، وفيه معتبر ؛ فإن الأولين جحدوا نعمة الله، فما أقر الله بنعمة ، ولا نسبوا النعمة إلى المنعم بها ، ولا أدبوا حق الله ، فحلّ عليهما السخط . وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله ، ونسبها إلى من أنعم عليه بها ، وأدبى حق الله فيها ، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها ، وهي الإقرار بالنعمة ، ونسبتها إلى المنعم ، وبهذا فيما يجب " ^(٣) .

(١) انظر : جامع البيان للطبري ٦٢٩/٧ . والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ٢٠١/٢-٢٠٢ .
 وفتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن ص ٥٩٢-٥٩٤ .

(٢) الحديث بطوله أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع . ومسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق ، باب رقم ١٠ .

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٦٣٦ .

المطلب الثاني

من أنواع الكفر الأصغر : الطعن في الأنساب والنياحة على الميت

أولاً : المراد بهما : عَيْبُ النسب ، والطعن فيه ، ورفع الصوت بندب الميت ، وتعداد فضائله .
وهما من أنواع الكفر العملي ، لما فيهما من مشاهمة صنيع الكفار في الجاهلية قبل الإسلام^(١) .
ثانياً : من الأدلة عليهما :

١- قول رسول الله ﷺ : " اثنتان في الناس هما بهم كفرٌ : الطعنُ في النسب ، والنياحة على الميت"^(٢)؛ فهاتان الخصلتان بالناس كفرٌ ؛ لأنهما من أعمال الجاهلية ، وهما قائمتان بالناس ، ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله ﷻ^(٣) . يقول الإمام النووي في معنى قوله ﷺ : " هما بهم كفرٌ " : " فيه أقوال أصحها أن معناه : هما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية"^(٤) . فلهذا عدّهما العلماء من جنس الكفر العملي .

٢- قول رسول الله ﷺ : " ليس منّا من ضربَ الخدودَ ، وشقَّ الجيوبَ ، ودعا بدعوى الجاهلية"^(٥) . وقد ذكر رسول الله ﷺ هذه الأصناف الثلاثة ؛ لأنها غالباً ما يفعلها الناس عند نزول المصائب ، وهي من التسخط المنهي عنه ، وفيها إظهار عدم الرضا بقدر الله ، أو الصير على قضائه . ودعوى الجاهلية هي : النياحة ، وندبة الميت ، والدعاء بالويل وشبهه^(٦) . فهذه من أعمال الكفار في الجاهلية قبل الإسلام . من أجل هذا عدّها العلماء من جنس الكفر العملي .

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٥٢٠ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة .

(٣) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٥٢٠ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٧/٢ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ليس منّا من شق الجيوب . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الخدود .

(٦) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١١٠/٢ .

المطلب الثالث

من أنواع الكفر الأصغر : قتال المسلم

أولاً : المراد به : يُراد به : قتال المسلم للمسلم بغير وجه حقّ ، وهو نوعٌ من أنواع الكفر العملي ،
المنافي لكمال الإيمان .

ثانياً : من الأدلة عليه :

- ١- قول رسول الله ﷺ : "سبابُ المسلم فسوقٌ ، وقتاله كفرٌ" (١) ؛ فأطلق ﷺ على قتال المسلم اسم : "الكفر" ، تبييناً على عظم حقّ المسلم ، وبيان حكم من قتله بغير حقّ . وهذا كفرٌ عمليٌّ لأنه شبيه بفعل الكفار ؛ فهو كفر أخوة الإسلام ، لا كفر الجحود (٢) .
- ٢- قول رسول الله ﷺ : "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضكم رقابَ بعضٍ" (٣) . فأطلق ﷺ في هذين الحديثين على قتال المسلمين بعضهم بعضاً اسم "كفر" ، وسُمي من يفعل ذلك "كفاراً" . وليس المراد بالكفر ها هنا الكفر الأكبر المخرج من الملة ؛ لأنّ الله ﷻ أبقى على المتقاتلين من المؤمنين اسم "الإيمان" ، فقال ﷺ : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرِي فَقَاتِلُوا الَّتِي بَغَتْ حَتَّى تَقْبِلَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاعَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْقَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] ، ثم سَمَّاهم مؤمنين ، فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠] ، فأثبت لهم الإيمان ، وأخوة الإيمان ، ولم ينف عنهم شيئاً من ذلك (٤) . فعلم أنّ الكفر هنا كفرٌ عمليٌّ لا يُخرج صاحبه من دائرة الإسلام ، وهو من جنس الكفر الأصغر (٥) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبي ﷺ : "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" .

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٥٤/٢ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبي ﷺ : "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" .

(٤) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٥٠ .

(٥) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٥٥/٢ .

الفصل الثالث

النفاق ، وأنواعه

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى النفاق .

المبحث الثاني : النفاق الأكبر .

المبحث الثالث : النفاق الأصغر .

المبحث الأول

معنى النفاق

معنى النفاق لغةً :

النفاق في اللغة : من "نَفَقَ" ، وهي تدلّ على الإخفاء وعدم الإظهار . ومنه سُمِّيَ السَّرْبُ في الأرض الذي له مخلص إلى مكان نَفَقاً . وقيل لأحد جحري اليربوع : التَّافِقَاءُ والتَّفَقَّةُ ؛ لأنه يكتمه ويُظهر غيره ؛ فإذا أتى من جهة القاصعاء ، ضرب النافقاء برأسه ، فانتفق . يُقال : نافق اليربوع ، إذا أخذ في نفاقائه^(١) .

معنى النفاق في الشرع :

النفاق شرعاً : هو أن يُظهر المرء ما يُوافق الحقَّ ، ويُطن ما يُخالفه . فمن أظهر أمام النَّاسِ ما يدلّ على الحقِّ ، وكان حقيقة أمره أنّه على باطل من الاعتقاد ، أو الفعل ، فهو المنافق ، واعتقاده ، أو فعله هو النفاق^(٢) .

الصلة بين المعنيين :

يُلاحظ أن المنافق قد سترَ اعتقاده ، أو عمله ، وأخفاه ، وأضمره ، فمثله كمثل الضبِّ ؛ يدخل من جحر ظاهر ، ثم إذا شعر بالخطر خرج من باب آخر تتعدّر رؤيته . وكذلك يفعل المنافق : يدخل في الإسلام من باب ظاهر ؛ فينطق بالشهادتين ، ويُصلي مع النَّاسِ ، مع أنّه يكتم خلاف الإسلام ، ويطربص بالمسلمين الدوائر ، ويتنظر ظهور الكفر ، حتى يتخلى عمّا أظهره ، كما قال الله عن المنافقين : ﴿ الَّذِينَ يَسْرِبُونَ بِكُفْرَانٍ فَإِنْ كَانَ لَكُمُ فِتْنَةٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا اللَّهُ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِ عَلَيْكُمْ وَنَمْتَكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١٤١] .

نوعا النفاق : النفاق نوعان : نفاق أكبر "اعتقادي" ، ونفاق أصغر "عملي" .

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٤٨-٦٤٩ . ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٥٤/٥-٤٥٥ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١١٩٥-١١٩٦ . ولسان العرب لابن منظور ٣٥٨/١٠-٣٥٩ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٩٤٢ .

(٢) انظر : المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للريكان ص ١٩٠ . والمعجم الوسيط ص ٩٤٢ .

المبحث الثاني

النفاق الأكبر "الاعتقادي"

أولاً : تعريف النفاق الأكبر : هو أن يُظهرَ الرجلُ للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخٌ من ذلك كله، مكذبٌ به^(١). فهو قد أظهر الانقياد والتصديق ظاهراً ، لكنّه أبي ذلك باطناً^(٢).

ثانياً : حكم النفاق الأكبر : النفاق الأكبر نفاق اعتقاديّ محلّه القلب ، وصاحبه كافر ، خالدٌ مخلدٌ في النار ، بل في الدرك الأسفل منها إن لم يتب^(٣) ، كما قال ﷺ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَكُنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥] .

"وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين ، وكشف أسرارهم في القرآن ، وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر ... فإنّ بليّة الإسلام بهم شديدة جداً ؛ لأنهم منسوبون إليه ، وإلى نصرته وموالاته ، وهم أعداؤه في الحقيقة"^(٤) .

ثالثاً : صفات المنافقين نفاقاً أكبر : قد كشف الله في كتابه أسرار المنافقين ، وهتك أستارهم ، في آيات كثيرة ، نزلت تُخبر عن أوصافهم ، وأهدافهم ، ووسائلهم الدنيئة لهدم الدين ، أو إضعاف المسلمين .

والنفاق الأكبر "الاعتقادي" قد جمع أهله خصلاً كثيرة، وصفات عديدة، سأقتصر على ذكر بعضها، كي لا يقع شيءٌ منها في قلب المؤمن، فيخسر الدنيا والآخرة . فمنها :

١- تكذيب الرسول ﷺ باطناً لا ظاهراً. ودليل هذه الصفة قول الله ﷻ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ بِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [النفاقون: ١] ؛ أي كاذبون فيما أظهروا من شهادتهم، وحلفهم بألسنتهم. فمن قال شيئاً، واعتقد خلافه، فهو كاذب^(٥) .

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ١/٣٧٦-٣٧٧ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ١١٩٦ .

(٢) انظر اعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٤٩ .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ١/٣٧٦ .

(٤) انظر المرجع نفسه ١/٣٧٧ .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/٨٠ :

٢- موالة الكافرين ، وإعانتهم في حربهم ضدّ المسلمين . ودليل هذه الصفة قول الله ﷻ : ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَخُرَجْتُمْ مَعَهُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِيدٌ لِمَ كَاذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١] ؛ فهؤلاء المنافقون أطعموا إخوانهم من أهل الكتاب في نُصرتهم ، وموالاهم على المؤمنين ، وأقسموا أنّهم لن يُطيعوا في عدم نُصرتهم أحداً يعذبهم أو يُخوفهم ، وأنهم سينصروهم ويُعينوهم على المسلمين إن قاتلوهم (١) .

٣- تبييت الشرّ للمسلمين ، وتدبير المكائد لهم . ودليل هذه الصفة قول الله ﷻ : ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨] ؛ فمخافة الخلق عند هؤلاء المنافقين أعظم من مخافة الله ﷻ ، لذلك تجدهم يحرصون بالوسائل المباحة والمحرمّة على تجنّب الفضيحة عند النَّاس ، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم ، ولم يُبالوا بنظره وإطلاعه عليهم ، خصوصاً في حال تبييتهم ما لا يُرضيه من القول (٢) .

٤- المسرّة بانخفاض دين المسلمين ، وكراهية انتصاره . ودليل هذه الصفة قول الله ﷻ : ﴿لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: ٤٨] ؛ فقد طلب هؤلاء المنافقون الشرّ من البداية ، واحتالوا في تشتيت أمر المسلمين وإبطال دينهم ، حتى أظهر الله دينه ، وأعزّ جنده ، والمنافقون كارهون لذلك (٣) . ومن الأدلة أيضاً قوله ﷻ : ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٠] ؛ فقد أخصر ﷻ أن المنافقين إن أصاب رسول الله ﷺ ومن معه نصرٌ وغنيمة ساءهم ذلك ، وإن أصابهم قتل وهزيمة ، قالوا: عمّلنا بالحزم فلم نخرج معكم ، ثم ينقلبون وهم فرحون بمصابكم وسلامتهم (٤) .

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ٣٣٨/٧ .

(٢) انظر المرجع نفسه ١٥٤/٢ .

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤٤٨/٣ .

(٤) انظر المصدر نفسه ٤٥٠/٣ .

المبحث الثالث

النفاق الأصغر "العملي"

أولاً : تعريف النفاق الأصغر : هو تَرْكُ المحافظةِ على أمور الدين سراً ، ومراعاتها علناً^(١) .

ثانياً : حكم النفاق الأصغر : النفاق الأصغر نفاق عمليّ ؛ فصاحبه يدّعي الإيمان بالله ﷻ ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ ، ولكنه يعمل أعمالاً عدّها رسول الله ﷺ من النفاق . وصاحب هذا النوع لا يخرج عن ملة الإسلام في الدنيا ، وهو في الآخرة مستحقّ للوعيد ، لكنه لا يُخلد في النار إن دخلها .

ثالثاً : صفات المنافقين نفاقاً أصغر : ذكر رسول الله ﷺ في أحاديث عديدة علامات ظاهرة ، من اتّصف بها فقد شابه المنافقين في أعمالهم . وإنما بيّنها رسول الله ﷺ وأخبر عنها كي نحذر من هذه الصفات الذميمة ؛ لأنها من علامات النفاق ، ويُخشى أن يكون هذا النفاق العمليّ مؤدياً إلى نفاق في الاعتقاد -والعياذ بالله تعالى-^(٢) .

ومن هذه العلامات :

- ١- الكذبُ في الحديث . فيُحدّث الناس بحديث يُصدّقونه فيه ، وهو كاذب .
- ٢- إخلاف الوعد . فيعد بوعده ، ومن نيّته أن لا يفيّ به ، أو يعدّ ثم يبدو له أن يُخلفه من غير عذرٍ في الخلف^(٣) .
- ٣- خيانة الأمانة . فإذا اتّمن أمانة ، لم يؤدّها .
- ٤- الغدر . فإذا عاهد غدرَ ، ولم يفِ بعهده .
- ٥- الفجور في الخصومة . فيخرج عن الحقّ عمداً ، حتى يُصير الحقّ باطلاً والباطل حقاً^(٤) .

(١) انظر مدخل للدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ٣٤٨ .

(٢) انظر شرح رياض الصالحين للصدقي ٥٧٨/٤ .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٨٢/٢ .

(٤) انظر المصدر نفسه ٤٨٦/٢ .

وهذه العلامات الخمس جمعها رسول الله ﷺ في قوله: "أربعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعُوهَا : إِذَا اتَّيَمَّنَ نَحَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"^(١) ، وفي قوله ﷺ : "آيةُ المنافق ثلاث : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اتَّيَمَّنَ نَحَانَ"^(١) .

تنبيه : النفاق الأصغر "العملي" مقدّمة للنفاق الأكبر "الاعتقادي" ، فمن اتّصف بصفات النفاق العملي، فقد أشبه المنافقين "اعتقاداً" في أعمالهم، ولكنه ليس على كفرهم أو اعتقادهم . وإن كان يُخشى عليه من النفاق الاعتقادي . فالواجب على المؤمن أن يتجنّب هذه الصفات ؛ لأنّ الإيمان ينهى عنها . وعلينا أن نعلم أنّ هذه الصفات إذا اجتمعت في شخص، وغلبت على أعماله، ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها، فهو المنافق الخالص^(٢) -والعياذ بالله- .

نسأل الله أن يُجنّب المسلمين هذا الداء العضال ، إنه جواد كريم .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق .

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٤٧/٢ .

الباب الثالث

عقيدة الولاء والبراء

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : نصوص الولاء والبراء في الكتاب والسنة .

الفصل الثاني : مفهوم الولاء والبراء ، ومنزلته في الدين .

الفصل الثالث : لمن يكون الولاء ؟

الفصل الرابع : ممن يكون البراء ؟

الفصل الخامس : حكم الولاء والبراء .

الفصل الأول

نصوص الولاء والبراء في القرآن والسنة

القرآن الكريم والسنة النبوية مليتان بالأدلة التي تأمر بموالة المؤمنين ، وتنهى عن موالة الكفار، وتحث على البراءة منهم. ونظراً لكثرة هذه النصوص، سأقتصر على ذكر بعضها:

أولاً : من نصوص الولاء والبراء في القرآن الكريم :

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَكَانَ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مَلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِیَّتَ

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠]؛ فهذه فيها "النهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى والتشبه بهم فيما يختص به دينهم" (١).

٢- قول الله ﷻ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا

أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]؛ فهى ﷻ المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين، يُعينونهم على المؤمنين، ويدلّونهم على عوراهم ، وأخبر ﷻ أن من فعل ذلك فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر (٢).

٣- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ

مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]؛ فأخبر ﷻ أن من يُعاضد اليهود والنصارى ويُناصرهم على المسلمين ، فحكمه كحكمهم في الكفر والجزاء (٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن للشيخ ابن سعدي ١/١٣٣ .

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري ٣/٢٢٧ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/١٤١ .

- ٤- قول الله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَظْمِهِمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٌ إِيَّاهُمْ فَكُنْتُمْ فِي الْأَرْضِ وَقَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [أنفال: ٧٣] ؛ فقطع الله الولاية بين الكفار والمؤمنين ؛ فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض ، يتناصرون بدينهم ، ويتعاملون باعتقادهم^(١) .
- ٥- قول الله ﷻ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢] ؛ فأخبر ﷻ أنك لا تجد من يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً حقيقياً ثم تصدر منه موادة لمن حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب^(٢) .
- ٦- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ يَلْعَنُ إِلَهُمُ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَعْمَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المتحنة: ١] ؛ فهى ﷻ عن موالة الكفار ، أو إلقاء المؤدة إليهم ، وأخبر أن ذلك مناف للإيمان ، ومخالف لملة إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو^(٣) .
- ٧- قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ تَسَوَّأُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا تَبْئَسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ [المتحنة: ١٣] ؛ فهى ﷻ عن موالة وموادة ومناصرة الكفار ، وأخبر ﷻ أن هؤلاء الكفار قد حرموا من خير الآخرة ، فليس لهم منها نصيب، ثم حذر عبادة المؤمنين أن يتولواهم ، فيوافقوهم على شرهم وشركهم ، فيحرموا خير الآخرة كما حرموا^(٤) .

(١) انظر المرجع نفسه ٣٧/٨-٣٨ .

(٢) انظر كتاب الإيمان : أركانه ، حقيقته ، نواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين ص ١٨٦ .

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٤٨/٧-٣٤٩ .

(٤) انظر المرجع نفسه ٣٦٣/٧-٣٦٤ .

ثانياً : من نصوص الولاء والبراء في السنة النبوية :

- ١- قول رسول الله ﷺ : " لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام ، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه " (١) .
- ٢- قول رسول الله ﷺ لأحد الصحابة : "أبايعك على أن تعبد الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتُفارق المشركين" (٢) .
- ٣- قول رسول الله ﷺ : "كلّ مسلم على مسلم محرّمٌ ، أخوان نصيران ، لا يقبل الله ﷻ من مشرك بعد ما أسلم عملاً ، أو يُفارق المشركين إلى المسلمين" (٣) .
- ٤- قول رسول الله ﷺ : "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل" (٤) .
- ٥- قول رسول الله ﷺ : "لا تُصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي" (٥) .
- ٦- قول رسول الله ﷺ لرأس المنافقين عبد الله بن أبيّ : "قد كنتُ أمّك عن حبّ يهود" (٦) .
- ٧- قول رسول الله ﷺ : "المرء مع من أحب" (٧) .

-
- (١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، وكيف يُردّ عليهم .
 - (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٦٥/٤ . والنسائي في السنن ، كتاب البيعة ، باب البيعة على فراق المشرك . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٦٣٦ ، وفي صحيح سنن النسائي ٨٧٥/٣ .
 - (٣) أخرجه النسائي في السنن ، والحاكم في المستدرک ٦٠٠/٤ ، وصححه ، ووافقه الذهبي . وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣٦٩ .
 - (٤) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس . والترمذي في الجامع الصحيح ، أبواب الزهد ، باب رقم ٣٢ ، وقال : حديث حسن . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩١٧/٣ ، وفي صحيح سنن الترمذي ٢٨٠/٢ ، وفي السلسلة الصحيحة رقم ٩٢٧ .
 - (٥) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ، أبواب الزهد ، باب ما جاء في صحبة المؤمن . وأبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس . وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٨٥/٢ . وصحيح سنن أبي داود ٩١٧/٣ . وصحيح الجامع رقم ٧٣٤١ .
 - (٦) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الجنائز ، باب في العيادة . وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٩٨/٢ : ضعيف الإسناد ، لكنّ قصة القميص صحيحة .
 - (٧) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب علامة الحب في الله . وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحبّ .

الفصل الثاني

مفهوم الولاء والبراء ، ومنزلته في الدين

بعدما أوردنا في الفصل السابق عدداً من النصوص الشرعية التي تحتّ على موالة المؤمنين ، والبراءة من المشركين والكافرين ، وتنهى عن موالة المشركين والكافرين ومحبتهم ، أو البراءة من المؤمنين ومعادتهم ، لزم أن نتعرّف على معنى الولاء والبراء ، كي يكون المسلم على بينة من أمره ، ومعرفة واضحة لما طُلب منه فعله ، أو تركه . وهذا يستدعي أن نتعرّف على معنى الولاء والبراء في اللغة ، وفي الشرع .

المبحث الأول

معنى الولاء والبراء في اللغة والشرع

أولاً : معنى الولاء لغةً : الولاء مصدر من والى . يوالي ولأء وموالة ، بمعنى : أحبّ ، وقرب ، وأدنى ، وحابى . والمولى : الخليف ، وهو من انضم إليك فعزّ بعزك ، وامتنع بمنعك . وتولّاك الله : أي نصرك . والوليّ ضدّ العدو ، وهو : الحبّ ، والصديق ، والتّصير ، والتابع^(١) . فالولاء على هذا يعني في اللغة : الحبّ ، والذنوّ ، والقرب ، والتّصرة .

ثانياً : معنى البراء لغةً : البراء مصدر من برى يبرأ براء وبراءة ، بمعنى : أبغض ، وتباعد ، وتخلّص . يُقال : بارأت الرجل ، إذا فارقتّه ، وبارأت المرأة ، إذا صالحتها على الفراق . وبرئت من كذا ، إذا تخلّصت منه ، وتنزّهت ، وتباعدت عنه ، وبرئ المريض برءاً وبرءاً ، إذا شفي وتخلّص ممّا به . وبرئ فلان من فلان ، إذا تباعد وتخلّى عنه^(٢) . فالبراء لغة يأتي بمعنى التخلّص ، والتنزّه ، والتباعد ، والتباغض ، والتجافي ، والمفارقة .

(١) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٦٨٩ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٧٣٢ . ولسان

العرب لابن منظور ٤٠٦/١٥-٤١٤ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ١٠٥٧ .

(٢) انظر : أساس البلاغة للزمخشري ص ٣٤ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٤٢ . ولسان العرب

لابن منظور ٣١/١-٣٤ . والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين ص ٤٦ .

ثالثاً : معنى الولاء شرعاً : الولاء في الشرع : هو النصرة ، والمحبة ، والإكرام ، والاحترام ، والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً^(١) ؛ فهو يعني التقرب وإظهار الودّ بالأقوال والأفعال والنوايا لمن يتخذه الإنسان ولياً . "فإن كان هذا التقرب وإظهار الودّ بالأقوال والأفعال والنوايا مقصوداً به الله ورسوله والمؤمنين، فهي الموالاتة الشرعية الواجبة على كل مسلم . وإن كان المقصود بالتقرب وإظهار الودّ بالأقوال والأفعال والنوايا هم الكفار على اختلاف أجناسهم ، فهي موالاتة كفر وردة عن الإسلام إذا صدرت ممن يدعي الإسلام . أمّا الكفار ومن في حكمهم من المرتدين والمنافقين ، فبعضهم أولياء بعض ، فلا يُستغرب منهم ذلك"^(٢) .

رابعاً : معنى البراء شرعاً : البراء في الشرع : هو البُعد ، والخلاص ، والعداوة بعد الأعذار والإنذار^(٣) ؛ فهو يعني بُغض أعداء الله تعالى ، ومعاداتهم ، ومجافاتهم ، والترّي منهم^(٤) ، والتخلُّص من قبائحهم وباطلهم ، والتنحّي عن التشبه بهم^(٥) .

المبحث الثاني

منزلة الولاء والبراء في الدين الإسلامي

لعقيدة الولاء والبراء منزلة عظيمة في الشرع ، تتلخّص فيما يأتي^(٦) :

١- إن عقيدة الولاء والبراء يُردّها المسلم يومياً مرات كثيرة، كلما ردّد كلمة الإخلاص : "لا إله إلا الله" ؛ لأنها تعني البراء من كل ما يُعبّد من دون الله . وهذه الكلمة مرّقت كلّ رابطة ، وأهدرت كلّ وشيجة ، إلا وشيجة العقيدة .

-
- (١) انظر الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد بن سالم الفحطاني ص ٩٢ .
 (٢) كتاب الإيمان : أركانه ، حقيقته ، نواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين ص ١٨٨ .
 (٣) انظر الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد بن سالم الفحطاني ص ٩٢ .
 (٤) انظر حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة لسيد سعيد عبد الغني ص ٣٣ .
 (٥) انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ٣٦٧ .
 (٦) انظر : الموالاتة والمعادات في الشريعة الإسلامية لمحماس بن عبد الله الجلود ص ١٨٧-٣٣٠ . والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم الريكان ص ٢٢٥-٢٢٧ .

- ٢- إنَّ الحَبَّ في الله والبغض في الله شرطٌ من شروط صحَّة "لا إله إلا الله"؛ لأنَّ من شروطها: حُبُّها ، وحبَّ ما دلَّت عليه ، وحبَّ من نطق بها ، ودعا إليها ، وبُغض ما يُضادُّها^(١) .
- ٣- إنَّ عقيدة الموالاة والبراء هي أوثقُ عُرى الإيمان . يقول رسول الله ﷺ : "أوثقُ عُرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحبُّ في الله ، والبُغض في الله"^(٢) .
- ٤- إنَّ تحقيق عقيدة الموالاة والبراء من مكمِّلات الإيمان . يقول رسول الله ﷺ : "مَنْ أَحَبَّ الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان"^(٣) .
- ٥- إنَّ تحقيق عقيدة الموالاة والبراء تحقيقاً تاماً سبب لنيل ولاية الله ﷻ . يقول حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- : "من أحبَّ في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنَّما تُنال ولاية الله بذلك"^(٤) .
- ٦- إنَّها سببٌ لذوق القلب حلاوة الإيمان . يقول رسول الله ﷺ : "ثلاثٌ من كنَّ فيه وجدَّ مهنَ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَف في النَّار"^(٥) .
- ٧- إنَّ الاتِّصاف بصفة الحَبِّ في الله، سببٌ لنيل الأجر العظيم ؛ فالمتحابُّون في الله يُظَلِّهم الله في ظلِّه . يقول ﷺ : "إنَّ الله يقول يوم القيامة : أين المتحابُّون بجلالي ، اليوم أظِّلهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي"^(٦) . والتحابُّ في الله سببٌ لنيل محبَّة الله ﷻ^(٦) .

(١) انظر ما تقدَّم في هذا الكتاب ص ٧٤-٧٥ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤٩٧/١ ، رقم

٢٥٣٩ ، وفي السلسلة الصحيحة رقم ١٧٢٨ .

(٣) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب السنَّة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه . وصححه الألباني

في صحيح سنن أبي داود ٣/٨٨٦ ، وصحيح الجامع الصغير ١٠٣٤/٢ ، رقم ٥٩٦٥ ، وفي السلسلة

الصحيحة رقم ٣٨٠ .

(٤) أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء ٣١٢/١ .

(٥) تقدَّم تخريجُه ص ٧٥ من هذا الكتاب .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب في فضل الحَبِّ في الله .

الفصل الثالث

لمن يكون الولاء ؟

إن المسلم وهو ينشد مرضاة الله ﷺ ، يجب عليه معرفة من الذين يجب عليه ولاؤهم وموالاتهم ، ومن هم الذين يجب أن يصرف لهم الحب ، ويتوجه إليهم بالحب ، حتى ينال رضى الله تعالى (١) .

ولقد بين الله ﷺ لنا في كتابه لمن يُصرف الولاء ، فقال ﷺ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُرَاكِعُونَ * وَمَنْ يَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦] ؛ فمن تولّى الله ﷺ ورسوله ﷺ ، كان تمام ذلك تولّى من تولاه ، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً، وأخلصوا للمعبود بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها ، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم ، وهم خاضعون لله ذليلون . ومن حقق هذه الولاية فإلّه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبودية وولاية ، وحزبه الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة (٢) .

فعلّم من هاتين الآيتين أن التوجه بالولاء يكون : لله -لدينه ﷺ ، ولكتابه- ، ولرسوله -لسنته ، ولهديه وطريقته ﷺ- ، ولعامة المؤمنين .

١- أمّا موالاة الله ﷺ ، فهذه يُطلب فيها أشدها وأكملها ، كما قال ﷺ : ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

٢- أمّا موالاة الرسول ﷺ ، فهذه يُطلب فيها تقدم محبته ﷺ على كل غالٍ وممين ؛ من ولد، ووالد، وأهل ، وعشيرة ، وأموال ، وغير ذلك ، يقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَمْرُؤَاؤُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ

(١) انظر حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة لسيد سعيد عبد الغني ص ٦٤٥ .

(٢) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ ابن سعدي ٣١٠/٢ - ٣١١ .

تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾
[التوبة: ٢٤]. فهذه الآية فيها وجوب محبته ﷺ، وأن محبة الله ورسوله مقدمة على كل محبوب (١).

ومحبته ﷺ سبب لتكميل الإيمان الواجب، كما قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" (٢). وسبب لوجود حلاوة الإيمان في القلب، كما في الحديث: "أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما" (٣).

٣- وأما عامة المؤمنين، فليست موالاتهم بدرجة واحدة، بل هي على درجات. فالمؤمنون الخالصون من الأنبياء، والصدّيقين، والشهداء والصالحين، تجب محبتهم، وفي مقدمتهم سيد ولد آدم ﷺ، "فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والولد والناس أجمعين، ثم زوجته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين، وصحابته الكرام، خصوصاً الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، والمهاجرين، والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ثم التابعون، والقرون المفضلة، وسلف هذه الأمة، وأئمتها؛ كالأئمة الأربعة" (٤).

أما المؤمنون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء يُحبّون من وجه، ويُغضون من وجه، فيجتمع فيهم المحبة والعداوة، "وهم عصاة المؤمنين: يُحبّون لما فيهم من الإيمان، ويُغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك. ومحبّتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم؛ فلا يجوز السكوت على معاصيهم، بل يُنكر عليهم، ويومرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وتقام عليهم الحدود والتعزيرات؛ حتى يكفوا عن معاصيهم، ويتوبوا من سيئاتهم. لكن لا يُغضون بغضاً خالصاً ويُتبرأ منهم، كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يُحبّون ويوالون حباً وموالاتة خالصين كما تقوله المرجئة، بل يُعتدل في شأنهم على ما ذكرنا، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة" (٥).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٥/٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس.

(٣) تقدّم تخرجه في ص ٧٥.

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح الفوزان ص ٣١٧.

(٥) المرجع نفسه ص ٣١٨-٣١٩.

الفصل الرابع

ومن يكون البراءة ؟

لا بُدَّ أن يعرف كلُّ مسلمٍ مَنْ هم الذين يجب البراءة منهم ؛ فيصرف إليهم معاني البراءة التي سبق ذكرها ، وذلك حتى يُحقق الولاء تحقيقاً تاماً ؛ إذ لا ولاء إلا ببراءة .

ومن قرأ نصوص الولاء والبراء في الكتاب والسنة ، والتي سبق ذكر بعضها في الفصل الأول^(١) ، واطَّلَع على تفاسيرها ، تبين له أن الذين يجب البراءة منهم هم : كلٌّ من كفر بالله ﷻ ، وبدينه ، وبرسوله ﷺ ، أو بأحدِهم ، أو حارب كتابَ الله ﷻ ، وشرعه الحنيف ، أو بيَّت لدين الله الشرَّ ، وأضرَّ للمسلمين العداوة ؛ من الكافرين ، والمشركين ، والمنافقين ، والملحدين ، وأشباههم ممَّن يُحادِّثون الله ورسوله ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِهِمْ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا مَرْضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] . فدلَّت الآية الكريمة على عدم محبة ومودة كلِّ من حادَّ الله تعالى ورسوله ﷺ ، بل وأوجبت بُغض هؤلاء ، وإظهار العداوة والبغضاء لهم ، موالاته الله تعالى ، ولسوله ﷺ ، وبراءة من الكافرين ، ومن كفرهم^(٢) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذه الآية : " فأخبر ﷻ أنك لا تجد مؤمناً يوَادُّ المحادِّين لله ورسوله ، فإنَّ نفس الإيمان يُنافي موادَّته ، كما ينفي أحد الضدِّين الآخر . فإذا وُجِدَ الإيمان انتفى ضده ؛ وهو موالاته أعداء الله ، فإذا كان الرجل يُوالي أعداء الله بقلبه ، كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب"^(٣) .

فهؤلاء الكفار ، والمشركون ، والمنافقون والمتردون ، والملحدون على اختلاف أجناسهم ممَّن "يُبغض ، ويُعادى ، بُغضاً ومعاداة خالصين ، لا محبة ولا موالاته معهما"^(٤) .

(١) تقدَّم ذكرها في ١٩٩-٢٠١ من هذا الكتاب .

(٢) انظر حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة لسيد سعيد عبد الغني ص ٦٤٩ .

(٣) كتاب الإيمان لابن تيمية ص ١٧ .

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور الفوزان ص ٣١٨ .

الفصل الخامس

حكم الولاء والبراء

قد أخبرنا مولانا رحمه الله أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، فقال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] ، وأخبرنا رحمه الله أن الكافرين بعضهم أولياء بعض ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ لَإِن تَقُلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَقَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣] ، فقطع رحمه الله بذلك الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، وبين أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، كما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض .

وموالاة المؤمنين تستلزم معاداة الكافرين . ومعاداهم واجبة ، كما أن موالاة المؤمنين واجبة ؛ فمن قال أحب المؤمنين ، لكنني لا أعادي الكافرين ، أو أعاديهم ولا أكفرهم ، فلم يُوال المسلمين حقاً ؛ لأن من شرط موالاة الله ورسوله والمؤمنين بغض أعدائهم ، ومحبة أوليائهم . فمعاداة الكفار - إذا - واجبة على كل مسلم ، وموالاةهم محرمة على المسلمين :

يقول الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق رحمه الله : "فأمّا معاداة الكفار والمشركين ، فاعلم أن الله رحمه الله أوجب ذلك ، وأكد إيجابه ، وحرم موالاةهم ، وشدد فيها ، حتى إنه ليس في كتاب الله حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ، بعد وجوب التوحيد ، وتحريم ضده" (١) . ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله : "يجب أن تعلم : أن الله افترض على المؤمنين عداوة الكفار والمنافقين" ، وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم ، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم" (٢) . ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله (٣) :

أُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدْعِي حُبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي الْإِمْكَانِ
وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحِبَّاهُ أَيْنَ الْحُبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ
شَرَطُ الْحُبَّةِ أَنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحْسِبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِلَا تَقْصَانِ
فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ الْحُبَّةَ مَعَ خِلَافِكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ
لَوْ كَانَ حَيْثُهم لِأَجْلِ اللَّهِ مَا عَادُوا أَحَبَّتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ

(١) سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك للشيخ حمد بن عتيق ص ٣١ .

(٢) أوثق غرى الإيمان للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢٦-٢٧ .

(٣) انظر النونية لابن القيم - شرح الهراس - ١٢٥/٢ .

والمؤمن له أعداء يُغضهم في الله ، وأولياء يُحبهم في الله ؛ لأن الأرض لا تخلو من أعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين؛ فما خَلَّتْ منهم زمن الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ، فكيف بأوقات الفتنة في آخر الزمان . يقول ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَكَوْشَاءَ مَرِيكَ مَا تَقْلُوهُ فَذُوقُوا زَهْرَهُ وَمَا يَحْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢] ، ويقول ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَبَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١] .

تنبيه : لا تعني البراءة من الكفار والمشركين أن تُسيء إلى أهل الذمة الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية ، وتحت حمايتها ، بل لهم من المسلمين حسن المعاملة ، والتسامح معهم ، وعدم إكراههم على الدخول في دين الإسلام ، ووصلهم بقسط من المال على وجه البر والصلة ، كما قال مولانا ﷺ : ﴿ لَا يَتَّكِفُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُعَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨] ، فهذا إحسان وبرٌّ ظاهري يُندب إليه ، شريطة أن لا يصل إلى المودة الباطنية التي نُهينا عنها ؛ من محبتهم ، ونصرهم ، وإعانتهم على المسلمين . والمسلم المؤمن بالله ربًّا ومحمَّد ﷺ رسولاً ، يستطيع أن يجمع بين ما أمر به ، وما نُهي عنه ؛ "فإن برَّهم والإحسان إليهم مأمورٌ به . وودَّهم وتولَّيهم منهيٌّ عنه . فهما قاعدتان : إحداهما محرمة ، والأخرى مأمورٌ بها" (١) . يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله : "إن الله لا ينهى المؤمنين عن برٍّ من لم يُقاتلهم ... وأما موالاتهم ومحبتهم وإكرامهم ، فلم يُرخص الله تعالى في ذلك" (٢) .

نسأل الله أن يعصمنا بالتقوى ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، إنه قريب مجيب . وصلى الله وسلَّم على نبينا محمَّد ، وعلى آله وأصحابه أفضل صلاة وأتم تسليم ، والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ٣٧٤ .

(٢) أوثق عرى الإيمان للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٦٤-٦٥ .

فهرست المصادر والمراجع

- ١- آداب البحث والمناظرة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . أشرف على طبعه : الشيخ عطية محمد سالم . طبع مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ ، المدينة-السعودية .
- ٢- آراء الخوارج الكلامية للدكتور عمار طالي . طبع المكتبة المصرية الحديثة ، الإسكندرية- مصر .
- ٣- أحكام أهل الملل لأحمد بن محمد الخلال . طبع دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، بيروت-لبنان .
- ٤- أحكام الرقي والتمايم للدكتور فهد السحيمي . نشر مكتبة أضواء السلف ، ط ١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، الرياض-السعودية .
- ٥- أساس البلاغة للزمخشري . طبعة دار الفكر ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، بيروت-لبنان .
- ٦- أصول الدين عند الأئمة الأربعة للدكتور ناصر القفاري . دار الوطن للنشر ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ، الرياض-السعودية .
- ٧- أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . طبع دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، بيروت-لبنان .
- ٨- أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي . نشر مكتبة السوادي ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، جدة -السعودية .
- ٩- إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان للعلامة ابن قيم الجوزية . طبع دار المعرفة ، بيروت-لبنان .
- ١٠- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود .
- ١١- إجماع العوام عن علم الكلام لأبي حامد الغزالي . نشر مكتبة الجندي ، القاهرة-مصر .
- ١٢- أوثق عُرى الإيمان للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ . نشر دار طيبة ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م ، الرياض-السعودية .
- ١٣- إثبات الحق على الخلق للعلامة ابن المرتضى . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان .
- ١٤- الإبداع في مضارّ الابتداع لعلي محفوظ . نشر دار الباز ، مكة المكرمة- السعودية .
- ١٥- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، ط ١ ، ١٣٨٧هـ .
- ١٦- الإخلاص والشرك الأصغر لعبد العزيز العبد اللطيف . نشر دار الوطن ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، الرياض- السعودية .
- ١٧- الإرشاد إلى توحيد ربّ العباد للشيخ عبدالرحمن بن حماد آل عمر . نشر دار العاصمة ، ط ٣ ، ١٤١٢هـ ، الرياض-السعودية .

- ١٨- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح الفوزان . نشر دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، الدمام - السعودية .
- ١٩- الأسئلة والأجوبة الأصولية للشيخ سلمان . نشر دار الإشعاع ، ط٨ ، ١٤٠٢هـ ، الرياض .
- ٢٠- الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم . نشر دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، الرياض .
- ٢١- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني . طبع دار الفكر ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، بيروت-لبنان .
- ٢٢- الاعتصام للشاطبي . طبعة دار المعرفة ، ١٤٠٢هـ ، بيروت-لبنان .
- ٢٣- الإقناع لطال الانتفاع لموسى المقدسي . طبع عالم الكتب ، بيروت-لبنان .
- ٢٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ١٣٩٦هـ ، بيروت-لبنان .
- ٢٥- الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت-لبنان .
- ٢٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي . طبع المكتبة العلمية ، بيروت-لبنان .
- ٢٧- بعض أنواع الشرك الأصغر للدكتور عواد المعتق . نشر مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، الرياض- السعودية .
- ٢٨- بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة لمحمد بن عبدالرحمن الخميس . نشر دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، الرياض- السعودية .
- ٢٩- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير . دار نهر النيل للطباعة ، القاهرة- مصر .
- ٣٠- السبدع والسنيهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي . نشر دار الصفا ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، القاهرة - مصر .
- ٣١- تاج العروس للزبيدي . مطبعة الخيرية الجمالية ، ط١ ، ١٣٠٦هـ ، القاهرة- مصر .
- ٣٢- تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي . طبع دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، بيروت-لبنان .
- ٣٣- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . تصوير دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان .
- ٣٤- تجريد التوحيد المفيد للمقريزي . دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مكة المكرمة- السعودية .
- ٣٥- تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران ، للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي . نشر وزارة الأوقاف بقطر .
- ٣٦- تفسير البغوي = معالم التنزيل .
- ٣٧- تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية . طبع دار الريان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ ، القاهرة-مصر .
- ٣٨- تفسير ابن كثير . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة - مصر .

- ٣٩- تهذيب اللغة للأزهري . المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، ١٣٨٤هـ ، القاهرة .
- ٤٠- توحيد الربوبية لمحمد إبراهيم الحمد . نشر دار ابن خزيمة ، ط ١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، الرياض .
- ٤١- توحيد الألوهية لمحمد إبراهيم الحمد . نشر دار ابن خزيمة ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ، الرياض .
- ٤٢- تيسير الإله بشرح شروط لا إله إلا الله لعبيد الجباري . نشر مكتبة الغرباء ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ، المدينة المنورة- السعودية .
- ٤٣- تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام لسعد بن محمد القحطاني . نشر دار إشبيليا ، ط ١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، الرياض- السعودية .
- ٤٤- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ط ٣ ، ١٣٩٧ ، بيروت .
- ٤٥- تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن سعدي . المؤسسة السعودية الرياض .
- ٤٦- التبرك أنواعه وأحكامه لناصر بن عبد الرحمن الجديع . نشر مكتبة الرشد ، ١٤١١هـ ، الرياض .
- ٤٧- التعريفات للحرجاني . دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت- لبنان .
- ٤٨- الثمائم في ميزان العقيدة للعلياني . نشر دار الوطن ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، الرياض-السعودية .
- ٤٩- التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام للدكتور عبد المجيد المشعي . نشر مكتبة الصديق ، ط ١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، الطائف- السعودية .
- ٥٠- كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب . نشر مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية ، ط ٥ ، ١٤٠٤هـ ، المدينة المنورة- السعودية .
- ٥١- التوسل حكمه وأقسامه ، من كلام الشيخين : الألباني ، وابن عثيمين . نشر دار ابن خزيمة ، ط ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، الرياض - السعودية .
- ٥٢- التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي . مؤسسة الدعوة السلفية ، ط ٢ ، حلب- سوريا .
- ٥٣- الثمرات الزكية في العقائد السلفية لأحمد فريد . نشر مكتبة التوعية الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، الجزيرة- مصر .
- ٥٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري . نشر دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٢هـ- بيروت - لبنان .
- ٥٥- جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي . طبع مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، بيروت- لبنان .
- ٥٦- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي . طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، القاهرة- مصر .
- ٥٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . طبع دار الكتب العلمية ، ط ٥ ، ١٤١٧هـ ، بيروت-لبنان .
- ٥٨- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للعلامة ابن قيم الجوزية . نشر مكتبة دار التراث ، ط ٣ ، ١٤١٠هـ ، المدينة المنورة- السعودية .

- ٥٩- الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد للشيخ ابن عثيمين . نشر دار طويق ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ، الرياض- السعودية .
- ٦٠- حقيقة الولاء والبراء لسيد سعيد عبد الغني . طبع دار ابن حزم ، ط ١ ، ١٤١٩هـ ، بيروت .
- ٦١- حياة الحيوان الكبرى للدميري . دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- ٦٢- الحديث النبوي للدكتور محمد لطفي الصباغ . نشر المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٤٠٢هـ ، بيروت- لبنان .
- ٦٣- الحذر بمعرفة أن من هزأ بالدين كفر . لجمال الدين باشا . نشر دار طيبة ، ط ١ ، ١٤١٧هـ ، الرياض- السعودية .
- ٦٤- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، الرياض- السعودية .
- ٦٥- دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل الهراس . مكتبة ابن تيمية .
- ٦٦- الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعدد من العلماء ، ط ٥ ، ١٤١٣هـ .
- ٦٧- الدر المنثور للسيوطي . طبع دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، بيروت- لبنان .
- ٦٨- الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد لصالح بن عبد الله العصيمي . نشر دار ابن خزيمة ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ، الرياض- السعودية .
- ٦٩- الدين الخالص للعلامة صديق حسن خان . نشر مكتبة دار التراث ، القاهرة - مصر .
- ٧٠- رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم . نشر دار الوطن ، ط ٣ ، ١٤١١هـ ، الرياض .
- ٧١- رسالة في حكم السحر والكهانة للشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز . نشر دار الثقافة ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، مكة المكرمة- السعودية .
- ٧٢- روضة الطالبين للنووي . طبع دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، بيروت .
- ٧٣- الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية . شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، الرياض- السعودية .
- ٧٤- الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر دار طيبة ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، الرياض .
- ٧٥- الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للعلياني . نشر دار الوطن ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، الرياض .
- ٧٦- الروضة الندية شرح الدرر البهية للعلامة صديق حسن خان .
- ٧٧- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي . طبع المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٤٠٧هـ ، بيروت .
- ٧٨- زاد المعاد في هدي خير العباد للعلامة ابن قيم الجوزية . طبع مؤسسة الرسالة ، ط ١٥ ، ١٤٠٧هـ ، بيروت - لبنان .
- ٧٩- سبيل النجاة والفكاك لمحمد بن علي بن عتيق . نشر دار طيبة ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، الرياض .

- ٨٠- سنن أبي داود . طبع دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٣٨٨هـ ، بيروت - لبنان .
- ٨١- سنن ابن ماجه . طبع دار الفكر ، بيروت - لبنان .
- ٨٢- سنن النسائي . نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ ، حلب - سوريا .
- ٨٣- السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني . نشر المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت .
- ٨٤- السنة لابن أبي عاصم . نشر المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ ، بيروت .
- ٨٥- السنن الكبرى للبيهقي . تصوير دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت .
- ٨٦- السيرة النبوية لابن هشام . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢ ، ١٣٧٥هـ ، القاهرة - مصر .
- ٨٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإلكائي . نشر دار طيبة ، ط ١ ، الرياض - السعودية .
- ٨٨- شرح رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديقي . دار الريان للتراث ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، القاهرة .
- ٨٩- شرح نوافذ التوحيد لحسن العواجي . طبع مكتبة لينة ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ، مصر .
- ٩٠- شرح الأصول الخمسة لعبدالجبار الهمداني . مطبعة الاستقلال الكبرى ، ط ١ ، ١٣٨٤هـ ، القاهرة .
- ٩١- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي . طبع مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، بيروت .
- ٩٢- شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل الهراس . نشر إدارة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية .
- ٩٣- شرح الكوكب المنير لابن النجار . نشر جامعة أم القرى . تحقيق د. محمد الزحيلي ، ونزيه حماد .
- ٩٤- شرح القصائد العشر . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٩٥- شرح النووي على صحيح مسلم . طبع المكتبة المصرية .
- ٩٦- شفاء العليل للعلامة ابن القيم . طبع دار المعرفة ، بيروت - لبنان .
- ٩٧- الشرح والإبانة لابن بطة العكبري . نشر المكتبة الفيصلية ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، مكة المكرمة .
- ٩٨- الشريعة للأجري . طبع دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت .
- ٩٩- الشهاداتتان : معناهما ، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن حجرين . مطابع دار طيبة ، ط ١ ، ١٤١٠ ، الرياض - السعودية .
- ١٠٠- الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالرزاق العباد . نشر مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، الرياض - السعودية .
- ١٠١- صحيح البخاري . المطبعة السلفية ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ ، القاهرة - مصر .
- ١٠٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني . نشر المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ ، بيروت .
- ١٠٣- صحيح سنن أبي داود للألباني . نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، الرياض .
- ١٠٤- صحيح سنن ابن ماجه للألباني ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط ١ ، الرياض .
- ١٠٥- صحيح سنن النسائي للألباني ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط ١ ، الرياض .

- ١٠٦- صحيح مسلم . نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان .
- ١٠٧- صون المنطق والكلام للسيوطي . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان .
- ١٠٨- الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع عالم الكتب ، ١٤٠٢هـ ، بيروت .
- ١٠٩- الصحاح للجوهري ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ . طبع على نفقة السيد حسن عباس شربتلي .
- ١١٠- الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ ، القاهرة .
- ١١١- طريق المهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية . طبع دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت - لبنان .
- ١١٢- الطبقات الكبرى لابن سعد . نشر إحياء التراث الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت .
- ١١٣- عقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام أبي عثمان الصابوني . نشر الدار السلفية ، ط ١ ، ١٤٠٤ ، الكويت .
- ١١٤- العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر دار الأصالة ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ ، الإسماعيلية- مصر .
- ١١٥- العقيدة الإسلامية وتاريخها للدكتور محمد أمان الجامي . نشر دار المنار ، ط ١ ، ١٤١٤ ، الرياض .
- ١١٦- فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين . نشر مكتبة السنة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، القاهرة .
- ١١٧- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية . نشر دار العاصمة ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، الرياض .
- ١١٨- فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني . طبع دار المعرفة ، بيروت- لبنان .
- ١١٩- فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين . نشر دار الوطن ، ١٤١٢هـ ، الرياض .
- ١٢٠- فتح القدير للشوكاني . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢ ، ١٣٨٣هـ ، القاهرة .
- ١٢١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ ، الرياض .
- ١٢٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن . نشر مؤسسة قرطبة ، ط جديدة ، القاهرة- مصر .
- ١٢٣- الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر مكتبة دار البيان ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت ، دمشق .
- ١٢٤- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق . نشر مكتبة ابن تيمية ، ط ٣ ، ١٤٠٦هـ ، الكويت .
- ١٢٥- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع مكتبة لينه ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، دمنهور- مصر .
- ١٢٦- قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر مكتب التراث العربي ، القاهرة- مصر .
- ١٢٧- قضية التأويل ، وموقف ابن تيمية منها للدكتور السيد الجليلند . نشر الهيئة العامة لشئون الطباعة ، ١٣٩٣هـ ، القاهرة - مصر .

- ١٢٨- القاموس المحيط للفيروزآبادي . طبع مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، بيروت .
- ١٢٩- القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن سعدي . نشر دار الوطن ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، الرياض - السعودية .
- ١٣٠- كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي . نشر المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- ١٣١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة . نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٣٢- كشف الكربة في وصف حال أهل الغربية لابن رجب الحنبلي . نشر المكتبة القيمة ، القاهرة .
- ١٣٣- كلمات في الأخلاق الإسلامية للدكتور كمال محمد عيسى . نشر دار المجتمع ، ط ٢ ، ١٤١٣ ، جدة - السعودية .
- ١٣٤- الكشاف للزمخشري . طبع دار المعرفة ، بيروت - لبنان .
- ١٣٥- لسان العرب لابن منظور . طبعة دار صادر ، بيروت - لبنان .
- ١٣٦- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ، نشر دار ابن كثير ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ، بيروت - لبنان .
- ١٣٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للعلامة السفاريني . نشر المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، بيروت - لبنان .
- ١٣٨- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل . نشر دار الوطن ، الرياض .
- ١٣٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي . طبع دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ ، بيروت .
- ١٤٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز .
- ١٤١- مختار الصحاح للرازي ، طبع دار المعارف ، القاهرة - مصر .
- ١٤٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ١٤٣- مدخل لدراسة العقيدة لعثمان جمعة ضميرية . نشر دار السنة ، ط ٥ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الخبر - السعودية .
- ١٤٤- مذكرة العقيدة الإسلامية للدكتور عبد الله بن حبرين . مطبوعة على الآلة .
- ١٤٥- مذكرة في أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . طبع المكتبة السلفية ، ١٣٩١هـ ، المدينة المنورة - السعودية .
- ١٤٦- مسائل الإمام أحمد بن حنبل برواية ولده عبدالله . نشر المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ ، بيروت - لبنان .
- ١٤٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل . طبع دار صادر ، بيروت - لبنان .
- ١٤٨- مشكاة المصابيح للتبريزي . قام بتحقيقه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . نشر المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت - لبنان .

- ١٤٩- معارج الصعود إلى تفسير سورة هود للشيخ الشنقيطي . نشر دار المجتمع ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، جدة- السعودية .
- ١٥٠- معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي . نشر الدار البيضاء ، القاهرة- مصر .
- ١٥١- معالم التنزيل للبغوي . طبع دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، بيروت .
- ١٥٢- معجم مقاييس اللغة لابن فارس . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٣٨٩هـ ، القاهرة .
- ١٥٣- مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان .
- ١٥٤- مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل . نشر دار الوطن ، الرياض- السعودية .
- ١٥٥- مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري . طبع مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ، القاهرة- مصر .
- ١٥٦- مناقب الإمام الشافعي للبيهقي . طبع دار النصر ، ط١ ، ١٣٩١هـ ، القاهرة- مصر .
- ١٥٧- مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب -قسم العقيدة والآداب- . طبع جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض- السعودية .
- ١٥٨- ميزان الاعتدال للذهبي . طبع دار المعرفة ، ط١ ، ١٣٨٢هـ ، بيروت- لبنان .
- ١٥٩- المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين . نشر دار الوطن ، ١٤١١هـ ، الرياض- السعودية .
- ١٦٠- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده . نشر مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٣٧٧هـ ، القاهرة .
- ١٦١- المستدرک للحاكم النيسابوري . نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب- سوريا .
- ١٦٢- المستصفي في أصول الفقه لأبي حامد الغزالي . طبع دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت- لبنان .
- ١٦٣- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني . نشر المجلس العلمي بكراتشي -باكستان ، ط١ ، ١٣٩١هـ .
- ١٦٤- المعجم الكبير للطبراني . طبع وزارة الأوقاف العراقية ، ط١ ، ١٣٩٩هـ ، بغداد- العراق .
- ١٦٥- المعجم الوسيط ، لجماعة من المؤلفين ، الطبعة الثانية .
- ١٦٦- المغني في أبواب العدل والتوحيد لعبد الجبار الهمداني . طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة- مصر .
- ١٦٧- المفردات للراغب الأصفهاني ، طبع دار المعرفة ، بيروت- لبنان .
- ١٦٨- المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي .
- ١٦٩- المنار النيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية . نشر دار البشائر الإسلامية ، ط٦ ، ١٤١٤ ، بيروت- لبنان .

- ١٧٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقرئزي ، طبع دار صادر ، بيروت- لبنان .
- ١٧١- الموالاتة والمعاداة لحماس الجلعود ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، الرياض- السعودية .
- ١٧٢- الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف لعبدالكافي الأباضي . طبع دار الجليل ، ط ١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، بيروت- لبنان .
- ١٧٣- الموطأ للإمام مالك . نشر دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٦هـ ، بيروت- لبنان .
- ١٧٤- النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ ، بيروت- لبنان .
- ١٧٥- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير . طبع المكتبة العلمية ، بيروت- لبنان .
- ١٧٦- وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد با كرم . نشر دار الراية ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، الرياض- السعودية .
- ١٧٧- الوجوه والنظائر لألفاظ القرآن للدماغاني ، ط بيروت- لبنان .
- ١٧٨- الوسطية في الإسلام : تعريف وتطبيق للدكتور زيد الزيد . نشر دار العاصمة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، الرياض- السعودية .
- ١٧٩- الوسيط في تفسير القرآن للواحدي . طبع دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، بيروت- لبنان .
- ١٨٠- الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر مكتبة ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، الإحساء-السعودية .
- ١٨١- الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد بن سالم القحطاني . نشر دار طيبة ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ ، الرياض- السعودية .

مَشَتْ

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧	تعريف ببعض المصطلحات
٨	معنى العقيدة لغة
٨	معنى العقيدة اصطلاحاً
١٠	مسمى التوحيد من المسميات التي أطلقت على العقيدة
١٠	تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً
١١	مدى المطابقة بين التوحيد والعقيدة
١٢	مؤلفات في العقيدة تحت مسمى التوحيد
١٣	مسمى أصول الدين من المسميات التي أطلقت على العقيدة
١٣	المراد بأصول الدين
١٤	الحقيقة الشرعية لأصول الدين
١٤	مؤلفات في العقيدة تحت مسمى أصول الدين
١٥	مسمى السنة من المسميات التي أطلقت على العقيدة
١٥	تعريف السنة لغة واصطلاحاً
١٦	السنة عند الأصوليين
١٦	المناسبة بين مسمى السنة ومسمى العقيدة
١٧	مؤلفات في العقيدة تحت مسمى السنة
١٧	مسمى الفقه الأكبر من المسميات التي أطلقت على العقيدة
١٧	تعريف الفقه لغة واصطلاحاً
١٨	سبب تسمية العقيدة بالفقه الأكبر
١٨	مؤلفات في العقيدة تحت مسمى الفقه الأكبر

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٩	التعريف بأهل السنة والجماعة
٢١	التعريف بالسلف
٢٢	المراد بالسلف اصطلاحاً
٢٣	مفهوم الخلف عند علماء السلف
٢٤	التعريف بأهل الحديث
٢٤	الحديث في اللغة
٢٤	الحديث في الاصطلاح
٢٥	مصادر العقيدة الإسلامية
٢٦	منزلة العقل ومجالاته في الإسلام
٢٧	درء تعارض العقل الصحيح والنقل الصحيح
٢٨	من خصائص العقيدة الإسلامية
٢٨	التعريف بالخصائص
٢٨	من خصائص العقيدة : أنها توقيفية
٢٨	معنى التوقيف لغة
٢٩	المراد من كون العقيدة الإسلامية توقيفية
٢٩	ما الذي يلزم من كون العقيدة توقيفية
٣٠	من خصائص العقيدة : أنها غيبية
٣٠	معنى الغيب في اللغة
٣٠	المراد من كون العقيدة الإسلامية غيبية
٣٠	ما الذي يلزم من كون العقيدة الإسلامية غيبية

فهرس في المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣١	من خصائص العقيدة : أنها شمولية
٣١	معنى الشمول في اللغة
٣١	المراد من كون العقيدة الإسلامية شمولية
٣١	مظاهر شمولية العقيدة
٣٢	من خصائص العقيدة : أنها وسطية
٣٢	معنى الوسط في اللغة
٣٢	المراد من كون العقيدة وسطية
٣٣	من مظاهر وسطية العقيدة الإسلامية
٣٣	وسطية أمة الإسلام بين الأمم الأخرى
٣٣	١- في توحيد الله ﷻ
٣٤	٢- في أنبياء الله ورسله
٣٤	٣- في الشرائع
٣٤	٤- في أمر الحلال والحرام
٣٥	٥- في العبادة
٣٦	وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق الضالة
٣٧	١- في أسماء الله وصفاته
٣٨	٢- في باب القدر
٣٩	٣- في نصوص الوعد والوعيد
٤١	الرجاء والخوف عند أهل السنة والجماعة
٤١	٤- في باب الأسماء والأحكام

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٤٣	٥- في أصحاب رسول الله ﷺ
٤٥	الباب الأول : التوحيد
٤٧	تعريف التوحيد
٤٨	التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً
٤٩	التوحيد هو الأصل في البشر فطرة
٥٢	الشرك طارئ على البشرية
٥٣	أنواع التوحيد
٥٦	توحيد الربوبية أحد أنواع التوحيد
٥٦	معنى الرب لغة
٥٦	توحيد الربوبية شرعاً
٥٦	الأدلة الشرعية على توحيد الربوبية
٥٧	دلالة الفطرة على توحيد الربوبية
٥٧	موقف المشركين من توحيد الربوبية
٥٧	هل يكفي توحيد الربوبية وحده ؟
٥٨	توحيد الأسماء والصفات أحد أنواع التوحيد
٥٨	تعريف توحيد الأسماء والصفات
٥٨	بعض أصول أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات
٥٩	توحيد الألوهية أحد أنواع التوحيد
٥٩	تعريف توحيد الألوهية
٦٠	منزلة توحيد الألوهية بين أنواع التوحيد

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٦٠	الأدلة الشرعية على توحيد الألوهية
٦١	حكم من لم يأت بهذا النوع من التوحيد
٦١	العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية
٦٢	الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية
٦٥	شهادة أن لا إله إلا الله
٦٧	معنى لا إله إلا الله
٦٨	أركان لا إله إلا الله
٦٩	شروط لا إله إلا الله
٦٥	معنى الشرط في اللغة
٦٩	المراد بشروط لا إله إلا الله
٦٩	منزلة هذه الشروط من شهادة : لا إله إلا الله
٧٠	الشرط الأول : العلم المنافي للجهل
٧٠	المراد به ، والأدلة عليه
٧٠	الشرط الثاني : اليقين المنافي للشك
٧٠	المراد به ، والأدلة عليه
٧١	الشرط الثالث : القبول المنافي للرد
٧١	المراد به ، والأدلة عليه
٧٢	الشرط الرابع : الانقياد المنافي للترك
٧٣	المراد به ، والأدلة عليه
٧٢	الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧٢	المراد به ، والأدلة عليه
٧٣	الشرط السادس : الإخلاص المنافي للشرك
٧٣	المراد به ، والأدلة عليه
٧٤	الشرط السابع : الحب المنافي للبغيض
٧٤	المراد به ، والأدلة عليه
٧٦	الشرط الثامن : الكفر بما يُعبد من دون الله
٧٦	المراد به ، والأدلة عليه
٧٧	نواقض لا إله إلا الله
٧٧	النواقض لغة
٧٧	المراد بنواقض لا إله إلا الله
٧٨	الناقض الأول : الإشراك بالله
٧٩	الناقض الثاني : من جعل وسائط وشفعاء بينه وبين الله
٨٠	الناقض الثالث : عدم تكفير المشركين
٨١	الناقض الرابع : من اعتقد أن غير هدي النبي أكمل من هديه
٨٢	الناقض الخامس : من أبيض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ
٨٣	الناقض السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ
٨٥	الناقض السابع : السحر ، ومنه الصرف والعطف
٨٥	الناقض الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين
٨٧	الناقض التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج ...
٨٨	الناقض العاشر : الإعراض عن دين الله فلا يتعلم ولا يعمل

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩٢	معنى العبادة لغة واصطلاحاً
٩٣	مفهوم العبودية الشامل في ضوء النصوص الشرعية
٩٥	أنواع العبادة
٩٧	أركان العبادة وأصولها
٩٧	الركن الأول : محبة الله
٩٩	الركن الثاني : الرجاء
١٠٠	الركن الثالث : الخوف
١٠٢	عبادة الله بأركان العبادة مجتمعة
١٠٧	الشرك وأنواعه
١٠٩	معنى الشرك في اللغة والشرع
١١٠	أنواع الشرك
١١١	تعريف الشرك الأكبر
١١١	حكم الشرك الأكبر
١١٢	أقسام الشرك الأكبر
١١٢	الشرك في الربوبية : تعريفه ، نوعاه
١١٣	الشرك في الأسماء والصفات : تعريفه ، نوعاه
١١٤	الشرك في الألوهية والتعبد : تعريفه ، وأنواعه
١١٥	١- شرك الدعاء ، تعريفه ، نوعاه
١١٨	٢- شرك الشفاعة ، تعريفه ، والأدلة عليه
١٢٠	٣- شرك النية والإرادة والقصد

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٢٠	٤- شرك الطاعة ، تعريفه ، والأدلة عليه
١٢٣	٥- شرك المحبة
١٢٤	٦- شرك الخوف
١٢٧	الشرك الأصغر
١٢٧	تعريف الشرك الأصغر ، وحكمه ، والدليل عليه
١٢٨	يسير الرياء من أنواع الشرك الأصغر
١٢٨	الرياء لغة واصطلاحاً
١٢٨	حكم الرياء ، مع الدليل
١٢٩	السمعة من أنواع الشرك الأصغر
١٢٩	السمعة لغة واصطلاحاً
١٢٩	حكم السمعة مع الدليل
١٢٩	متى ينقلب حكم الرياء والسمعة إلى شرك أكبر
١٣٠	إرادة الإنسان بعمله الدنيا
١٣١	أقسام الناس في العمل وما يُراد به
١٣١	الاستسقاء بالأنواء من أنواع الشرك الأصغر
١٣٢	حكم هذا النوع ، مع الدليل
١٣٢	متى يكون الاستسقاء بالأنواء شركاً أكبر
١٣٣	الحلف بغير الله من أنواع الشرك الأصغر
١٣٣	الأمثلة عليه ، وحكمه ، مع الدليل
١٣٤	هل تنعقد يمين الحالف بغير الله ﷻ

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٣٤	متى ينقلب الحلف بغير الله إلى شرك أكبر
١٣٥	قول ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت من الشرك الأصغر
١٣٦	حكمه ، وكيف يُتقى
١٣٧	الرقى من أنواع الشرك الأصغر
١٣٧	تعريف الرقى ، ونوعاها
١٣٧	الرقى الشرعية ، وشروطها
١٣٩	الرقى البدعية
١٤١	التمايم من أنواع الشرك الأصغر
١٤١	تعريف التمايم ، وحكم تعليقها
١٤٢	نوعا التمايم
١٤٢	التمايم المحرمة وأدلتها
١٤٣	التمايم المختلف فيها ، وحكمها ، مع الدليل
١٤٤	التطير من أنواع الشرك الأصغر
١٤٥	تعريف التطير ، والأدلة على تحريمه
١٤٦	الفرق بين الطيرة والفأل
١٤٦	حكم الطيرة
١٤٩	وسائل الشرك المنافية للتوحيد أو لكماله
١٥٢	معنى التوسل لغة واصطلاحاً
١٥٣	أنواع التوسل الشرعي ، وأدلتها
١٥٤	التوسل البدعي

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٥٩	أحاديث تنهى عن اتخاذ القبور مساجد
١٦٢	الغلو في الأنبياء والصالحين
١٦٢	المبالغة في مدح الأشخاص
١٦٣	تصوير الأنبياء والصالحين واتخاذ تماثيل لهم
١٦٦	حكم التبرك بآثار الأنبياء والصالحين
١٦٦	التبرك برسول الله ﷺ
١٦٨	حكم التبرك بغير الرسول ﷺ
١٦٨	هل يُقاس على رسول الله ﷺ أحد من البشر؟
١٦٩	الأعياد والاحتفالات البدعية من الوسائل المفضية إلى الشرك
١٧٠	حادثة الإسراء والمعراج
١٧١	حادثة المولد النبوي
١٧٣	الكفر وأنواعه
١٧٥	معنى الكفر لغة واصطلاحاً
١٧٦	أنواع الكفر الأكبر
١٧٧	من أنواع الكفر الأكبر : كفر الجحود : تعريفه ، ونوعه
١٧٨	من أنواع الكفر الأكبر : كفر الإباء والاستكبار
١٧٩	من أنواع الكفر الأكبر : الكفر بادعاء علم الغيب
١٧٩	السحر ، تعريفه ، قسمه
١٨٠	حكم السحر ، مع الدليل
١٨١	علاج السحر

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٨١	الكهانة ، تعريفها ، حكمها ، مع الدليل
١٨٢-١٨٣	التنجيم ، تعريفه ، حكمه ، مع الدليل
١٨٤	أنواع الكفر الأصغر
١٨٤	تعريف الكفر الأصغر ، وبعض أنواعه
١٨٥	كفر النعمة : من أنواع الكفر الأصغر ، المراد به ، والأدلة عليه
١٨٦	الطعن في الأنساب والنياحة على الميت من الكفر الأصغر
١٨٧	قتال المسلم : من أنواع الكفر الأصغر ، المراد به
١٨٩	النفاق وأنواعه
١٩١	معنى النفاق لغة وشرعاً ، ونوعا النفاق
١٩٢	النفاق الأكبر "الاعتقادي" ، تعريفه ، حكمه
١٩٢	صفات المنافقين نفاقاً اعتقادياً
١٩٤	النفاق الأصغر "العملي" ، تعريفه ، حكمه
١٩٤	صفات المنافقين نفاقاً أصغر
١٩٧	عقيدة الولاء والبراء
١٩٩	نصوص الولاء والبراء في الكتاب والسنة
٢٠٢	مفهوم الولاء والبراء لغة وشرعاً
٢٠٣	منزلة الولاء والبراء من الدين
٢٠٥	لمن يكون الولاء
٢٠٧	ممن يكون البراء
٢٠٨	حكم الولاء والبراء